

813
S2464dA

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
6 SEP 1972

Tel. 260458

الكرمي يا الانسانية

تأليف

المفتي الأمريكي الشهير

وليم ساروياف

الصور من وضع دون فريمان

ترجمة

بدر الدين

نشر بالاشتراك
مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بالقاهرة ونيويورك

هذه الترجمة مرخص بها
وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق
ونزلت عنه لدار أخبار اليوم

This is a translation of William Saroyan's

«Human Comedy».

Copyright 1943 by William Saroyan.

Illustrations by courtesy of Don Freeman.



- ١ -

يوليسيس

فى يوم من الأيام وقف الصبى الصغير المدعو يوليسيس ماكولى
عند الجحر الجديد الذى شقه السنجاب فى الفناء الخلفى لداره
الواقعة فى طريق سانتا كلارا بايتاكا من ولاية كاليفورنيا .
وكان سنجاب هذا الجحر قد دفع أمامه شيئا من الطين الرطب
الندى ، وراح يختلس النظر للصبى ، وقد أدرك تماما أن الغلام غريب
عنه ، غير أنه قد لا يكون عدوه . وقبل أن يكمل الصبى استمتاعه
بتلك المعجزة أمامه طار أحد طيور ايتاكا الى شجرة الجوز
القديمة فى الفناء الخلفى ثم استقر على غصن من غصونها وراح يغنى
منتشيا ، فانتقلت دهشة الصبى من الارض الى الشجرة . وجاء
بعد ذلك ، خير من هذا وذاك ، قطار بضاعة راح يصفر ويدوى

بعيدا • وتسمع الصبي للصوت واحس الارض من تحته ترتجف
مع حركة القطار ، فانفجر بعد ومتحركا - كما بدا له - في سرعة
لا تداها سرعة •

وبلغ معبر الخط الحديدي في لحظة مكنته ان يرقب القطار كله
يمر امامه من القاطرة الى المؤخرة • ولوح الصبي للسائق ولكن
السائق لم يرد عليه تحيته ، ولوح خمسة آخرين كانوا في
القطار غير ان واحدا منهم لم يرد عليه • وكان في امكانهم ان يردوا
تحيته ولكنهم لم يفعلوا • واخيرا رأى الصبي زنجا يقف معتمدا
على جانب عربة القطار الاخيرة ، وسمعه يوليسيس يغنى مرتفعسا
بغناؤه فوق ضجيج القطار :

« كفى بك يا فتاتي ، أوه • • • كفى اليوم بكاء ،
فسنغنى أنشودة لبيتنا القديم فى كنتكى ،
لبيتنا القديم فى كنتكى ، هناك بعيدا • • • »

ولوح يوليسيس للزنجا ايضا ، وهناك حدث ذلك الشيء العجيب
الذى لم يكن يتوقعه • ان هذا الرجل ، ذلك الاسود الذى
يختلف عن الآخرين جميعا ، قد رد على يوليسيس تحيته عائجا :
« أنتى عائدا الى بيتى أيها الصبي ، عائدا الى حيث أنتى ! »
وظل الصبي الصغير والزنجا يلوح أحدهما للآخر حتى كاد
القطار يحتفى عن الابصار •

وعند ذلك نظر يوليسيس حوله الى هذا العالم الذى يعيش فيه
فى عزلة عجيبة ، ذلك العالم الغريب الذى غزته الطفيليات
وملائكته بخلفات البشر ، فبدلا معنى له ولكنه مع ذلك جميل
رائع • وهبط الممر الضيق رجل عجوز يحمل على ظهره حزمة
مربوطة ، فلوح يوليسيس له أيضا ، ولكن الرجل كان من
التعب والشيخوخة بحيث لا يستطيع أن ينشط مسرورا
لتودد صبي صغير • وألقى الرجل العجوز على يوليسيس نظرة
وكانما هو والصبي قد أدركهما الموت منذ امد بعيد •

واستدار الصبي الصغير وسار مستأنيا صوب بيته وما زال
يسمع في داخله وهو سائر صوت القطار العابر وغناء الزنجي
وكلماته الفرحة : « اننى عائد الى بيتى أيها الصبي ، عائد الى حيث
أنتمى » . وتوقف يتأمل هذا كله ، ثم راح يتسكع حول شجرة
جميز صينى ويضرب بقدميه ثمارها الصفراء الساقطة المتعفنة
من حولها . وبعد لحظة تبسم الصبي ، فارتسمت على شفثيه
بسمة أسرة مأكولى ، تلك البسمة الوديعه الحكيمه الخفيه التى ترضى
بكل شئ .

وعندما وصل ناصية الطريق واستدار ورأى بيت أسرته ،
بدأ يوليسيس يعدو حاجلا وهو يضرب الارض بأحد عقبيه ،
وتعثر الصبي وأوقعته لعبته ، ولكنه انتصب سريعا على قدميه
وواصل طريقه .

وكانت أمه فى فناء البيت ترمى الطعام للدجاج ، وواته يتعثر
ويقع وينتصب ويعاود الجمل . وقدم هو اليها خفيفا هادئا ،
ووقف الى جانبها قليلا ثم ذهب الى بيت الدجاج يبحث عن البيض .
ووجد بيضة فراح ينظر اليها لحظة ، ثم التقطها وعاد بها الى أمه
وأسلمها لها مترفقا حذرا وفى نفسه معنى لا يستطيع الكبير أن
يدركه ولا الطفل الصغير أن يذكره !!



- ٢ -

هوميير

اعتلى أخوه هوميير مقعد دراجة قديمة وسارت تجاهه صامدة
وسط وحل الطريق الريفى . وكان هوميير ماكولى يرتدى حلة
ساع من سعاة التلغراف واسعة فضفاضة عليه وقبعة ضيقة
لا تسع رأسه . وكانت الشمس تهبط الافق وقد شاعت حولها
سكينة الامسيات الناعسة التى يعتز بها أهل ايثاكا ويحبونها
حبا عميقا . ومن حول الرسول الساعى رقدت زهور الاوركيد
وشجيرات الاعناب فى كل بقعة على تلك الارض العتيقة . أرض
كاليفورنيا . وعلى الرغم من أن هوميير كان يتحرك ويشق طريقه
سريعا فانه كان مستيقظا لكل ما فى المنطقة من سحر لا يفوته
منه شئ . لقد ظل يقول لنفسه عند كل شئ : « أنظر الى هذا . .
أنظر الى الارض ، الى هذه الشجرة ، الى الشمس الى هذه الحشائش ،
الى تلك السحب . . . هل لك أن تنظر ؟ » وبدأ هوميير يزين الارض

- ٦ -

بحركة دراجته وما ترسمه من خطوط ، وكأنما أراد أن يصاحب هذا الوشى بالنغم، فانفجر فجأة يغنى بنشيد بسيط ، فيه الكثير من الفكاهة والمرح . وخيل إليه أنه يسمع هذا النشيد من الاوبرا تعزفه أوتار الاوركسترا بينما يتبعها عزف أمه على « الهارب » وعزف أخته بس على البيانو ، ثم تذكر أخاه ماركوس فخيل إليه أنه أنضم الى المجموعة يرسل النغم فى عذوبة باسمه وحزينة على « الاكورديون » وهكذا التأم شمل الاسرة .

وتلاشت موسيقى هومير أمام جلبه مسرعة صدرت عن ثلاثة أجسام عجيبة راحت تندفع عابرة فى السماء . ورفع الساعى عينيه ينظر اليها ، وإذا به يسقط مباشرة بدراجته وسط قنـاة صغيرة جافة . وقال هومير لنفسه « هذه طائرات ! وعدا كلب أحد المزارعين مسرعا وراءه وأخذ ينبح نباحا مزعجا وكأنه رجل يحمل رسالة . غير أن هومير تجاهل رسالته ولم يفعل الا أن التفت ناحيته مرة واحدة يضل الكلب صائحا « آرب . آرب » . وامتطى دراجته واندفع فى طريقه من جديد .

وعندما وصل الى حدود المنطقة المأهولة من المدينة مر بلوحة لم يقرأها كتب عليها :

« ايتاكا ، كاليفورنيا »

ان شرقت أو غربت ، فليس أفضل من البيت
مرحبا أيها الغريب »

وفى الناصية التالية من الطريق توقف يرقب صفا من عربات الجيش وهى تمر به مليئة بالجنود . ولوح محييا الرجال كما لوح أخوه يوليسيس من قبل لسائق القطار ولأولئك العمال الذين تسللوا الى البربات . ورد عدد كبير من الجنود تحية الساعى ، ولم لا يفعلون ؟



- ٢ -

مكتب التلغراف

كان المساء قد هبط على ايتاكا عندما وصل هومير أخيراً بدراجته امام مكتب التلغراف . وكانت ساعة الواجهة تشير الى الساعة ودقيقتين . وراى هومير مستر سبانجلر مدير المكتب وهو ما زال يعد كلمات برقية ناولها له شباب في نحو العشرين يبدو عليه التعب والاضطراب . ولما دخل هومير المكتب راح يستمع لحديث مستر سبانجلر مع الشاب .

قال سبانجلر : « المجموع ، اربع عشرة كلمة » وتوقف لحظة وهو يرمق الشاب ثم قال له : « أتقصصك النقود ؟ »

ولم يستطع الشاب أن يجيبه من فوره ولكنه سرعان ما قال :
« نعم يا سيدى ، الى حد ما . . . ولكن أُمى سترسل لى مايكفينى لآعود الى بيتى » .

فقال سبانجلر : « طبعاً ، بكل تأكيد ، ولكن أين كنت ؟ »
فاجابه الشاب : « لست ادري ، فى غير ما مكان » وبدأ

يسعل ثم استطرد يسأله : « كم ستستغرق البرقية من الوقت لتصل الى أمى ؟ »

فرد سبانجلر : « لست أدري تماما ، انهم الآن في الشرق في ساعة متأخرة ، وليس من السهل أحيانا تحصيل النقود في مثل هذه الساعة من الليل ، ولكنى سأتعجل لك ارسالها » .. وراح سبانجلر ينقب في جيوبه جميعا دون أن ينظر للشاب مرة أخرى ، وخرج من بحثه بحفنة من العملة المعدنية الصغيرة وورقة واحدة من أوراق البنكنوت وبيضة مسلوقة .

وقال : « هاك ، اذا ما جد جديد » وناول الشاب النقود قائلا : « انك تستطيع أن تردها لى عندما ترسل لك أمك النقود » ، ثم أشار الى البيضة وهو يقول « لقد التقطتها في حانة منذ سبعة أيام ، انها تجلب لى الحظ » .

ونظر الصبى للنقود ثم قال . « ما هذا ؟ »

فقال سبانجلر : انها شىء زهيد .

- شكرا ..

وتوقف الشاب مدهوشا مرتبكا ثم ردد قوله : « شكرا » .. واسرع خارجا من المكتب .

وأخذ سبانجلر البرقية الى وليام جروجان عامل التلفراف في نوبة الليل ورئيس عمال البرق قائلا له : « ارسلها خالصة ياوالى ، سأدفع أنا القيمة » .

فوضع مستر جروجان يده حول الآلة العتيقة وبدأ ينقر البرقية حرفا حرفا :

« السيدة مارجرية ستريكما

١٨٧٤ شارع بيدل

يورك . بنسلفانيا

أمى العزيزة . أرسلنى بمئتين دولارا . أريد ان أعود

.. أنا بخير . وكل شىء حسن ...

جون

وتفحص هومير ماكولى مكتب التوزيع بحثا عن برقيات أو
اشارات تليفونية معدة ، وراح مستر سبانجلر خلال ذلك يرقبه
في تشوق ولذة لا يرتسم على وجهه منهما شيء ، ثم خاطبه
قائلا : « كيف وجدت عمل الساعي ؟ »

فقال له هومير : « كيف وجدته ؟ ! وجدته أفضل الاعمال
جميعا ، فانك مضطر فيه أن ترى ألوانا كثيرة مختلفة من الناس
وأن تذهب الى أماكن عديدة متغيرة » .

فقال سبانجلر : « نعم » . وتوقف قليلا ينظر الى الصبي عن
كثب ثم سألته : « كيف نمت ليلة أمس ؟ »
وأجابه هومير : « حسنا .. لقد كنت متعبا جدا ولكنى
نمت نوما عميقا . »

— « وهل نمت اليوم قليلا فى المدرسة ؟ »

— « نعم ، قليلا »

— « فى أى الدروس ؟ »

— « درس التاريخ القديم . »

وسأله سبانجلر : « وماذا عن الالعاب الرياضية ؟ أقصد انك
لا تستطيع أن تشارك فيها لانك تعمل ؟ »

فقال هومير : « ولكنى أشترك فيها ، اننا نتلقى حصّة فى
التربية البدنية كل يوم . »

فقال سبانجلر : « حقا ؟ . لقد اعتدت أن أعدو فى سباق
الحواجز أيام كنت أذهب الى مدرسة ايتاكا العليا . كنت بطل
الوادی » .. وتوقف مدير مكتب التلغراف قليلا ثم واصل حديثه :
انك حقا تحب هذه الوظيفة ، أليس كذلك ؟ »

فأجابه هومير : « انى سأكون خير ساع عمل فى هذا المكتب . »

فقال سبانجلر : « حسنا . لكن لا تقتل نفسك - لا تسرف فى
سرعتك . اذهب سريعا الى حيث تقصد ، ولكن لا تسرف فى السرعة . »

كن مؤدبا مع الناس جميعا ، وتعلم أن تخلع قبعتك في المصاعد !
وقبل كل شيء آخر اياك أن تفقد برقية •

- « نعم ياسيدى » •

وواصل سبانجلر قوله : « واعلم أن العمل بالليل غير
بالنهار • وانك قد تحمل برقية الى حى الصينيين أو الى بيوت
المزارعين خارج المدينة ، وقد يكون في هذا ما يفزع البعض ، فلاتدع
هذا يفزعك أنت • ان الناس هم الناس دائما • فلاتفزع منهم •
كم عمرك ؟ »

فابتلع هومير ريقه وقال « ست عشرة سنة »

فقال سبانجلر : « نعم ، نعم ، أعلم هذا ، لقد قلت لنا هذا
بالامس ، فمن المفروض علينا ألا نستأجر صبيا حتى يبلغ
السادسة عشرة ، ولكنى رأيت أن أجازف وأجربك • كم عمرك ؟ »
فقال هومير : « أربع عشرة سنة »

فأجاب سبانجلر : « حسنا ، فستبلغ اذن السادسة عشرة فى
عامين »

ورد هومير : « نعم ياسيدى • »

فقال له سبانجلر : « اذا مربك شيء لم تفهمه ، فارجع الى • »

فقال هومير : « نعم ياسيدى ، وتوقف قليلا ثم سأله : « ماذا
عن البرقيات المنشدة » ؟

فأجابه سبانجلر : « لاشيء ، انا لانتلقى كثيرا منها • • على أن
صوتك جميل ، أليس كذلك ؟ »

فقال هومير : « لقد اعتدت أن أغنى فى أول أحد للمدرسة
البرسبتيرية فى ايتاكا • »

فقال سبانجلر : هذا حسن جدا • ان صوتك اذن هو بالضبط
ذلك الصوت الذى نريده لبرقياتنا المنشدة • والآن فلنفرض مثلا
أن مستر جروجان الجالس هناك قد تلقى برقية لتهنئته بعيد ميلاده ،
فكيف اذن تؤديها ؟

فانتقل هومير الى حيث يجلس مستر جروجان وبدأ يغنى :

عيد سعيد

عيد سعيد

عيد سعيد يا عزيزى جروجان

عيد سعيد

فالتفت اليه مستر جروجان قائلا : « شكرا »

وقال سبانجلر لهومير : هذا حسن جدا ، ولكن ما كان يجب أن تقول « يا عزيزى جروجان » . يجب أن تقول . « يا عزيزى مستر جروجان » .. ماذا تنتظر أن تفعل بالخمسة عشر دولارا التى ستتقاضاها فى الاسبوع ؟ »

فأجاب هومير : « أعطيتها لامي . »

فقال سبانجلر : « اتفقنا اذن ، منذ الآن أنت موظف مستديم ، لقد أصبحت عضوا فى هيئة هذا المكتب ، فأرغب مايجرى - واستمع جيدا .. راجع عينيك وأذنيك مفتوحة . »
وراح مدير مكتب التلغراف ينظر لحظة الى لاشى . ثم قال :
ماذا رسمت ، لنفسك من مستقبل ؟ »

ورددهومير : « مستقل » .. وحسب شئ من الحيرة والاضطراب !
لقد ظل طوال حياته مشغولا يوما ودا يوم يرسم هذا المستقبل لنفسه وله كان حتى للغد القريب فحسب . وقال له : حسنا ، لست على يقين من شئ ، ولكننى أظننى أريد أن أصبح رجلا عظيما يوما ما ، مؤلفا موسيقيا مثلا أو رجلا عظيما مثل هذا . . . نعم يوما ما . »

فقال سبانجلر : هذا جميل جدا ، ومكانك هذا خير مكان تبدأ منه . ان الموسيقى فى كل مكان حواليك ، نعم تلك الموسيقى الاصيله التى تنبع مباشرة من العالم ، ومن قلوب الناس . اسمع مفاتيح هذا التلغراف ، أليست موسيقى رائعة ؟

فقال هومير : نعم يا سيدى .

وسأله سبانجلر فجأة : انعرف أين يقع مخبز شاترتون على
برودواى ؟ خذ هذا ربع دولار ، اذهب فاشتر لي من هناك فطيرتين
طازجتين بالتفاح وقشدة جوز الهند . . . الاثنان بربع دولار .

وقال هومير : « نعم يا سيدى » وامسك بربع الدولار الذى
القاء له سبانجلر واندفع خارجا من المكتب ، وراح سبانجلر يتبعه
بنظراته وهو يحلم وكأنه يحزن لأشياء بعيدة متحركة فى تراح
لذيد . وعندما افاق من حلمه التفت الى عامل التلغراف وسأله :
ما رأيك فيه ؟

فقال مستر جروجان : انه ولد طيب .

فقال سبانجلر : انا اعتقد هذا . انه من عائلة طيبة فقيرة تسكن
طريق سانتا كلارا ، مات ابوه ، وذهب أخوه للجيش ، وأمه تعمل
فى الصيف فى مصانع الطعام المجفف . وله أخت تذهب الى كلية
الولاية - وكل ما فى الامر ان عمره يقل سنتين عن السن
القانونية .

فقال مستر جروجان : وأنا تجاوزتها بسنتين ، ولا شك ان
الواحد منا سيكمل الآخر .

وغادر سبانجلر مكتبه قائلا : « أنا فى محل كوزبيت اذا ما
احتجت لى . . اقتسم الفطائر انت و . . » وتوقف يحملق
مذهولا وهو يرى هومير يدخل المكتب حاملا الفطائر الملففة .

ثم سأله وهو يكاد يصرخ فيه : قل لى . . ما اسمك ؟

- هومير ماكوى . .

فوضع مدير التلغراف ذراعه حول ساعيه الحديد قائلا : « حسن
جدا يا هومير ماكوى ، أنت الصبي الذى يحتاجه المكتب لدورية الليل !
يخيل الى أنك أسرع انسان فى وادى سان جوكان ، وانك ايضا
ستصبح اذا عشت رجلا عظيما يوما ما . . فاحرص اذن على أن
تعيش » . واستدار تاركا المكتب وهومير يحاول ان يتفهم كلماته .

والتفت له جروجان قائلا : حسنا يا بنى .. أين الفطائر ؟

ووضع هومير الفطائر على المكتب الى جانب مستر جروجان الذى راح يواصل حديثه : هومير ما كولى .. اسمى وليام جروجان ، قد بلغت السابعة والستين وعلى الرغم من ذلك يسموننى ولى .. وأنا موظف قديم من موظفى التلغراف ، واحد من آخر افراد هذه الطبقة فى العالم . ثم أنا فى الليل رئيس هذا المكتب ، وأنا أيضا رجل مرت فى حياته مناظر رائعة وما زالت معه ذكرياتها .. ولكنى جوعان .. تعال نحتفل بالفطائر .. تفاح وقشدة الجوز . أنا وأنت من الآن صديقان ...

فقال هومير : نعم ياسيدى .

وتناول عامل التلغراف العجوز فطيرة وقسمها اربعة أقسام وراحا يأكلان قشدة جوز الهند .

وواصل مستر جروجان حديثه : وسيحدث أحيانا أن أرسلك فى أمر لى أو أن أسألك الغناء معى أو الجلوس والتحدث الى .. أما فى حالة السكر فانى أتوقع منك ما لا ينتظر من رجال تجاوزوا الثانية عشرة .. كم سنك ؟

وأجاب هومير : الرابعة عشرة ، ولكن اظن أنى أفهم جيدا ..

فقال مستر جروجان : حسنا ، سأخذك عند كلمتك وسأتوقع منك ان تتأكد فى كل ليلة من انى قادر على القيام بواجباتى فى هذا المكتب . وإذا لم أستجب للهزوا لا يقاط فقليل من الماء البارد يلقى على الوجه ويعقب هذا فنجان من القهوة من عند كوربيت !!
- نعم يا سيدى .

وواصل مستر جروجان حديثه : أما اذا حدث هذا فى الطريق فالذى يتبع هو أمر آخر . اذا رأيتنى قد احتضنتنى الخمر والتفت بى ، فالق على السلام ودعنى ولا تشر الى ما أنا فيه من سعادة . انى رجل شديد الحساسية وأوثر ألا أكون موضوعا لشفقة الناس .

سمعا ياسيدي .

واستمر مستر جروجان في حديثه وقد امتلأ فمه بالقشدة:
أتعتقد أن هذا العالم بعد الحرب سيكون مكانا أفضل ؟

فتردد هومير لحظة يفكر ثم قال : نعم يا سيدي .

ولكن مستر جروجان قال : أتحب قشدة جوز الهند . . .

فقال هومير : نعم يا سيدي .

ودق صندوق التلغراف فاستجاب مستر جروجان للإشارة
واتخذ مكانه امام الآلة الكاتبة ولكنه استمر يتحدث : « أنا
ايضا أحب قشدة جوز الهند . وأحب الموسيقى أيضا وخاصة
الغناء . لقد سمعتك تقول أنك كنت تغني في مدارس الاحد .
هل تسمح فتغني لي أغنية من أغاني مدارس الاحد وانا أدق
هذه الرسالة من واشنطنطن ؟ »

وبدأ هومير يغني « صخرة العمر » ومستر جروجان يدق
البرقية على الآلة الكاتبة . كانت البرقية لمسز روزا ساندوفال
برقم ١٢٢٩ شارع ج ايتاكا كاليفورنيا ، وكانت وزارة الدفاع
تخبر مسز ساندوفال أن ابنها جوان دوينجو ساندوفال قد مات
في القتال .

وناول مستر جروجان البرقية لهومير وشرب جرعة طويلة من
الزجاجة التي يحفظها في الدرج الى جانب مقعده . وطوى هومير
البرقية ووضعها في الظرف ولصقه ثم وضعه في قبعته وغادر
المكتب . وعندما اختفى الساعي رفع عامل التلغراف السماعة
مغنيا لنفسه « صخرة العمر » ، فلقد كان في يوم ما - هو أيضا -
فتيا كأي رجل .



- ٤ -

سيفار العالم منى

كانت الموسيقى تسمع من بيت ماكولى على طريق سانتا كلارا ، اذ كانت بس ومسر ماكولى تعزفان على البيانو أنشودة « سيفار العالم منى » انهما تعزفانها لماركوس الجندى أينما كان ، فهي أغنيته المفضلة . . . ودخلت الغرفة مارى أرينا قادمة من البيت المجاور ووقفت الى جوار « بس » عند البيانو وسرعان ما اشتركت فى الغناء . انها تغنى هي الاخرى لماركوس فهو العالم بأكمله بالنسبة لها . ووقف الصبى الصغير يولسيس يستمع ويرقب . لقد كان فى الجو شىء غريب ، وكان حريصا ، على الرغم من أنه كان نصف نائم ، أن يعرف كنهه . واستجمع أخيرا قوته وقال :

- أين ماركوس !

فنظرت مسر ماكولى الى الصبى وأخذت تقول : « يجب أن تحاول أن تفهم . . . » ولكنها توقفت ولم تكمل حديثها .

- ١٦ -

وحاول يولسيس أن يفهم ، ولكن الصعوبة أنه لم يكن يدري
ماذا عليه أن يفهم •

فقال : أفهم ماذا ؟

فقالت مسز ماكولى : لقد ذهب ماركوس بعيدا عن ايتاكا •

- لماذا ؟

واجابت مسز ماكولى : ان ماركوس فى الجيش •

فقال الصبى الصغير : ومتى يعود ؟

- عندما تنتهى الحرب •

- غدا ؟

- لا •• ليس غدا •

- متى اذن ؟

- اننا لا نعرف •• نحن ننتظر •

فقال يولسيس : وأبى ، أين هو اذن ؟ هل اذا انتظرنا يعود

كما زكوس ؟

فقالت مسز ماكولى : لا •• ليس كذلك • لا ، لن يعود يمشى

فى الشارع ويصعد السلم ويعبر الشرفة ثم يدخل البيت كما اعتاد

أن يفعل •

وكان هذا أكثر مما يستطيعه الصبى ، ولم يعد أمامه الا كلمة

واحدة قد يأمل من ورائها شيئا كالصدمة أو الراحة ، ولم يتردد

أن يقولها :

- لماذا ؟

فالتفتت مسز ماكولى لبس ومارى وقالت :

« الموت أمر صعب لا يستطيع كل انسان أن يفهمه فما بالك

بالطفل ، ولكن على الرغم من ذلك فان لكل حياة يوما تنتهى

فيه •• »

ونظرت الى يولسيس وهي تقول : « لقد جاء بالك هذا اليوم

منذ سنتين » .

ثم عاودت النظر الى بس ومارى مواصلة حديثها :

« مادنا أحياء ، وما دمنامعا ، وما دام اثنان منا على قيد حياة يذكرانه ، فلن يستطيع شئ فى العالم أن يأخذ منا . . . لقد يذهب حسده ولكن لا يذهب هو . انك ستزداد معرفة بأبيك كلما كبوت وازددت معرفة بنفسك !! لقد ذهب بجسده الزمن والاحداث والمرضى والتعب ، ولكنك أنت رددته له ، أعطيته له من جديد فتيا نشيطا كما لم يكن من قبل أبدا ، ولست أتوقع منك أن تفهم شيئا مما أقول لك ، ولكنى أعرف أنك ستذكر هذا . . . ستذكر أن الاشياء الطيبة لا تنتهى أبدا . فلو أنها تنتهى لما كان هناك أناس فى هذا العالم . . . لا ولا حياة فى أى مكان ، ولكن العالم مليء بالناس مليء بالحياة الرائعة . »

وفكر الصبى لحظة فى هذا ، ثم تذكر ماراى فى الصباح الباكر فسألها :

- ماهو السنجاب ؟

ولم تؤخذ أمه أبدا بهذا السؤال ، فهي تعرف أن له عينين فيهما رؤية ، ووراء الرؤية قلب وشعور وحب ، لا شئ واحد فحسب ، ولا جنس واحد فحسب ، بل لاى شئ ولكل شئ .

فقالت : « جماعة السنجاب الحفارة فى الارض والطيور من فوق والسماك فى البحر ، ليس هذا كله الا جزءا من كل واحد منا بل تلك الاشياء الكثيرة التى لا تتحرك كما نتحرك نحن هى أيضا جزء منا . الشمس جزء منا ، والارض ، والسماء ، والنجوم والانهار ، والمحيطات ، كل الاشياء جزء منا ، ونحن قد خلقنا لننعم بها ونشكر الله عليها . »

وتقبل الصبى كل هذه الانباء ولكنه سألها : وأين اذن هومير ؟

فقالت له مسر ماكولى : « أخوك هومير يعمل . . . لقد وجد

لنفسه بالامس عملا بعد مدرسته فلن يعود الى البيت الا في منتصف الليل عندما تكون أنت في فراشك نائما » •

ولم يستطع الصبي أن يفهم ما العمل ؟ ولماذا يعمل أخوه ؟ وما سرور الرجل في أن يعمل ؟

فَسأَل : ولماذا يعمل هومير !

وجلسَت الفتاتان صامتتين في صبر تنتظران اجابة مسز ماكولى عن أسئلة الطفل :

« أخوك هومير يعمل لان أخاك ماركوس في الجيش ، ولاننا لا بد أن نحصل على نقود نشتري بها الطعام والملابس وندفع أجرة البيت • • ولنعطى منها لمن هم أكثر حاجة منا » •

فَسأَلها يوليسيس : من هم ؟

— أى انسان • • الفقراء مثلا

فقال الصبي : من هم الفقراء؟

فَقَالَت مسز ماكولى وهى تبتسم لنفسها : كل انسان •

وأحس يوليسيس أنه مهما بذل من جهد فلن يستطيع أن يظل صاحبيا • ولكنها استمرت تقول:

تذكر دائما أن تعطى من أى شىء يكون معك • يجب أن تعطى ولو بحماقة » يجب أن تكون مسرفا وأن تعطى كل من يمر بحياتك ، فعند ذلك لن يكون لى شىء أو لأحد القدرة على أن يغشك ، وإذا أعطيت اللص فلن يسرقك ولن يعود هو نفسه الى السرقة بعد ذلك • وكلما كثر عطاؤك ، زاد ما عندك لتعطيه •

وحولت مسز ماكولى نظرها من الطفل الى أخته بس وقالت لها : خذيه الى فراشه •••

ما عندك لتعطيه • • وحولت مسز ماكولى نظرها من الطفل الى أخته بسى وقالت لها : خذيه الى فراشه •••

وأخذت بس ومارى الصبي الى غرفته ، فلما ذهبتا وجلست

هي وحدها سمعت صفوت خطوات ، فاستدارت وراة هناك
عند الباب ماتبو ماكولى وكأنه لم يمت •
وقال : لقد أخزني النوم ، كنت نعبانا جدا ، !! كاتى هل
تغفرين لى ؟ •

11 وضحك وكأنما يولسيس هو الذى يضحك ، فلما عادت بس
الى الغرفة قالت لأمها : لقد ضحك ونحن نلفه فى غطاءه •

*It seems that the boy was an exact copy
to his father isn't it?*



you go your way. I'll go mine
-o-

فاتذهب في طريقك ، فلي طريقى !

ترجل الساعى من على دراجته امام بيت مسز روزا ساندوفال
وذهب الى الباب وطرقه بخفة . واحس مباشرة ان ثمة أحدا فى
داخل البيت ! أنه لم يستطع أن يسمع شيئا ، ولكن كان واثقا
أن طرقتة ستدعو أحدا اليه ، وكان متلهفا أن يرى من تكون
هذه المرأة ، مسز روزا ساندوفال التى عليها أن تواجه خبر جريمة
قتل وقعت فى العالم ، وتأثرها بهذه الجريمة . ولم يمر وقت
طويل قبل أن يفتح الباب ، غير أنه لم يكن هناك لهفة أو تسرع
فى فتحه . كان فى حركة ألواحه اطمئنان وبطء ، وكأنما الذى من
ورائه لا يخشى شيئا من الدنيا ، ثم ألقى الباب مفتوحا تماما
وبرزت هى من خلفه .

لقد تبدت المرأة المكسيكية جميلة فى عيني هومير ، واستطاع
أن يدرك أن ما ألفته من صبر طوال حياتها قد استحال الآن ،
بعد كل هذه السنين ، بسمة لطيفة على شفيتها كبسمات

القديسين . غير أنها كغيرها من الناس الذين لم يتسلموا أبدا رسائل برقية ، رأت في منظر الساعي معنى مخيفاً مرعباً .
وأدرك هومير أن منظره قد صدم مسز دوفال ، فما أن وقع نظرها عليه حتى بدر منها ما يبدر من كل إنسان عند دهشته . قالت : « آه »
وكأنما كانت تنتظر أن ترى بدل الساعي على بابها شخصاً تألفه وتعرف أنها ستصعبه لتجلس معه سعيدة فرحة . وقبل أن تنطق بكلمة أخرى راحت تتفحص وجه هومير وعينييه ، وأدرك هو أنها فهمت أن البرقية لا يرجى منها خير !

قالت له : هل معك برقية ؟

ولم يكن هذا خطأ هومير ، فليس عمله الا أن يحمل للناس البرقيات ، ولكن أحس أنه جزء من ذلك الجرم الكبير ، فامتلات نفسه تحرجاً وكاد يستشعر أنه المسئول وحده عما قد حدث .
وود في الوقت ذاته أن يستطيع أن يصارحها مباشرة قائلاً : « لست الا ساعي بريد ، يامسز ساندوفال . وأنا آسف جداً أنني مضطر أن أحمل لك هذه البرقية ولكنى لم أكن لأفعل ذلك لولا أنه عملي ! »
وسألته المرأة المكسيكية : لمن ؟

فقال هومير : مسز ساندوفال ١١٢٩ شارع ج . . . وقدم لها البرقية ولكنها لم تجرؤ على أن تمسها .

فقال هومير : هل أنت مسز ساندوفال ؟

فقالت المرأة : أرجوك أن تدخل ، اننى لا أقرأ الانجليزية ، أنا مكسيكية ولا أقرأ الا جريدة برنسا التى تبيئنا من مدينة المكسيك . وتوقفت لحظة وراحت تنظر للصبي وهو يحاول أن يقف أقرب ما يكون الى الباب وأن يكون فى الوقت نفسه داخل البيت .

ثم قالت : أرجوك ماذا فى التلغراف ؟

فتلغّم الساعي : مسز ساندوفال فى التلغراف . . .

ولكن المرأة قاطعته : من الضرورى أن تفتح التلغراف أولاً ثم تقرأه لى . . . انك لم تفتحه بعد .

فقال هومير : لا ياسيدتى . . . ! وكأنما يرد على مدرسة قد صححت له خطأه .

ومزق التلغراف بأصابع مرتجفة ، فانحنى المرأة المكسيكية
تلتقط القصاصة من على الأرض ومسحت عليها تفرد طياتها وهي
تقول له : من أرسل لى التلغراف .. ابنى جوان دومنجو ؟

فقال هومير : لياسيدتى ان البرقية من وزارة الدفاع .
فرددت المكسيكية : وزارة الدفاع ؟

فانطلق هومير فى سرعة قاتلا : مسز ساندوفال ! لقد مات
ابنك . قد يكون فى هذا خطأ ، فأنت تعرفين أن كل انسان معرض
لهذا ، وربما كان هذا الذى مات ليس ابنك يامسز ساندوفال .
ولكن البرقية تقول أنه جوان دومنجو .. وقد تكون البرقية
مخطئة !! .

وتظاهرت المكسيكية أنها لم تسمع وقالت له : « أدخل ..
لاتفرع . تعال معى الى الداخل لأعطيك حلوى » وأخذت ذراع
الصبي الى منضدة فى وسط الغرفة وأجلسته هناك .
ثم قالت : « كل الصبية يحبون الحلوى .. وأنا سأحضر
لك بعضا منها » .

وذهبت الى الغرفة الاخرى وسرعان ما عادت تحمل صندوقا
قديما به شكولاتة ، وفتحت الصندوق على المنضدة أمام
هومير ، فرأى فيه نوعا غريبا من الحلوى لم يعرفه من قبل .
وقالت له . « كل .. خدم هذا .. كل الصبية يحبون
الحلوى » .

فأخذ هومير قطعة من الصندوق ووضعها فى فمه وراح
يحاول جاهدا أن يمضغها وهي تقول له : « انك طيب صغير ..
كصغرى جوانيتو عندما كان صبيا .. خذ .. كل قطعة
اخرى » وحملته على أن يأخذ قطعة ثانية من الصندوق .

وجلس هومير يمضغ الحلوى الجافة والمكسيكية تتحدث
« هذه الحلوى ، حلوانانحن .. ونحن نصنعها من الصبار . لقد
صنعناها لصغرى جوانيتو لياكلها عندما يعود .. فكلها أنت ..
انك مثله .. ولدى أنت ايضا » !!

وفجأة انفجرت تنشج وهي تتجلد وتمنع نفسها أن تبكي
كأنما من العار أن تفعل ذلك . وأحس هومير أنه يريد لو ينهض
وأن يغادر المكان عدوا ، ولكنه عرف في قرارة نفسه أنه سيبقى ، بل
أنه ربما بقى هنا طوال حياته ، فهل هناك ما يستطيع أن يفعله
غير ذلك كي يخفف من شقاء هذه المرأة ، أنها لو سألته أن يأخذ
مكان ابنها لما استطاع أن يرفض لانه لا يعرف كيف يستطيع مثل
هذا الرفض . ونهض هومير واقفا كأنما يريد أن يصلح ذلك
الخطأ الذي لامرء له ، ولكنه سرعان ما أدرك حماقة مقصده
فمأله التخرج والاضطراب أكثر من ذي قبل . وراح يردد لنفسه
مرة بعد أخرى : « ماذا أستطيع أن أفعل .. ماذا أستطيع أن
أفعل .. أنا لست إلا الساعي » !!

واتجهت نحوه المرأة فجأة وأخذته بين ذراعيها مرددة :
« صغيرى .. صغيرى »

لقد أحس هومير حرجا عميقا من الامر كله ، ولكنه لم يكن يدري
لماذا يتمشى الدوار في دمه وتملؤه الرغبة في أن يبقى . انه لا يكره
المرأة ولا يكره أحدا سواها غير أن هذا الذى حدث لها جرم
قبيح تملؤه البشاعة ويسرى في نفسه منه التقزز والمرض ،
ويساوره من جرائه التردد في أن يظل حيا .

وقالت المرأة : « تعال .. اجلس هنا » وارغمته على أن
يجلس في مقعد آخر . ووقفت وراءه تقول له : « دعنى أنظر
إليك ! » ، وراحت تنظر في وجهه نظرات غريبة والتقزز
المتصاعد في نفسه جميعها يجعله لا يستطيع أن يتحرك . انه
لا يحس حبا ولا كرها بل شعورا هو أقرب أن يكون تقززا
واشمئزا ، ولكنه في نفس الوقت يستشعر نونا من العطف
والاشفاق لا على المرأة وحدها بل على كل مافي الدنيا من أشياء
تسلك هذا المسلك الزرى المضحك في الحياة والموت . انه
يتصورها في السنين الماضية جميلة شابة قد جلست عند
مهد طفلها ، ويراها تنظر الى هذا الكائن الانسانى الفريد ،

لا ينطق ولا يستطيع شيئاً ولكنه ملئ بالمستقبل والحياة القادمة
وتخيلها تحرك المهد وتغنى الطفل ، ثم غمغم لنفسه : .
الآن فانظر اليها . .

وفجأة عاد هو مير لنفسه وهو على دراجته يركبها كالعادة يهب
الطرق المظلمة وقد تحدرت من عينيه الدموع وفمه الصغير
يغمغم لعنات حمقاء لا معنى لها . وعندما وصل المكتب
كانت الدموع قد توقفت ، ماهذه الأشياء الأخرى جميعاً فقد
بدأت واستمرت حيث يعرف أن أحداً لا يستطيع أن يوقفها بعد
ذلك . ورفع صوته كأن من يصغى إليه بطن السمع
لابحسنة وغمغم « والا . . فكأنما قدمت أنا أيضاً » .



- ٦ -

أغنية لمستر جروجان

جلس هومير الى المنضدة في مواجهة مستر جروجان وكانت
اسلاك البرق - امته حينذاك ، ولكنها فجأة بدأت تدق ، فانتظر
هومير ان يجب مستر جروجان انداء ولكن الابل لم يفعل ،
فجرى هومير حول المنضدة وهو الرجل في 'لطف فائلا : « مستر
جروجان .. انهم ينادونك .. مستر جروجان .. قم ..
قم .. »

وجرى هومير الى اناء الماء فملاً كوباً ورقياً وعاد الى موظف
التلغراف الهرم ، ولكنه تردد ان يتبع التعليمات التي أعطيت له ،
فوضع الكوب على المنضدة وراح يهز مستر جروجان من جديد
مكرراً : « مستر جروجان .. استيقظ .. قم » .

ونثر هومير الماء أخيراً في وجه الرجل العجوز ، فاعتدل
مستر جروجان مذهوشاً وفتح عينيه ينظر الى هومير والى صندوق

البرق ، ثم استجاب للنداء ، وهو يقول للصبي : حسنا ! فعلت .
أسرع الآن ... كوبا من القهوة السوداء ... أسرع .

وعدا هومير خارجا من المكتب الى محل كوربيت ، وعندما عاد
كان موظف التلغراف الهرم قد كادينام من جديد ولكنه مازال على
مقعده يؤدي عمله . غير أنه قال له : « حسنا ما فعلت يا بني ..
لا تنزعج ... ولا تفزع . كل الامور على خير وجه . »

وأوقف مستر جروجان العامل عند الطرف الآخر من سلك
البرق وراح يرشف قهوته وهو يردد لهومير : « أنثر الماء البارد
أولا .. ثم أحضر القهوة السوداء ... »

فأجاب هومير : « نعم .. ياسيدى .. هل هى برقية هامة؟ »
فقال مستر جروجان : « لا .. ليست لها أية أهمية .. مجرد
أعمال مالية .. تراكم المال .. أنها رسالة ليلية ولن تضطر أن
توصلها اليوم ، فهى تافهة غير هامة ... ولكن كان من المهم لى
أن أتلقاها ! »

ورفع صوته فقد استيقظ الآن واستعاد قوته وقال صاخبا :

« لقد ظلوا سنين طويلة يحاولون أن يأخذوا منى منصبى ..
كانوا يريدون أن يقيموا هذه الآلات الجديدة التى يخترعونها
الآن فى كل مكان ... ملتبلكس وتليتيب .. أنظر .. الآلات
بدل الكائنات الانسانية » ٢٢٠

وهذا صوته ولطف وكأنما يحدث نفسه أو يتوجه بالحديث
لاولئك الذين كانوا يريدون أن يخرجوه من مكانه فى هذا العالم :
« اننى لا أستطيع أن أعرف ماذا أفعل بنفسى لو أننى فقدت
هذه الوظيفة ... أظننى أموت فى سبعة أيام .. لقد ظلمت أعمل
فيها طوال حياتى ولن أتوقف الآن . »

فقال هومير : « نعم يا سيدى .. »

ورد مستر جروجان : « أعرف أننى أستطيع أن أعتمد على
معونتك أيها الصبى .. فلقد قدمتها لى فعلا .. شكرا لك . »

وراح يدق الأزرار • ولما جاءه الجواب بدأ يكتب البرقية على الآلة ، ولكنه عاود الحديث من جديد لهومير وفي صوته رنة من كبرياء وزهو سلكت الى قلب هومير فأسرته :

« لقد كنت أسرع عمال التلغراف جميعا ... كنت أسرع من ولنسكى نفسه .. أسرع منه فى التلقى والارسال ... دون أن اخطئ مرة واحدة ، أنا ويللى جورجان ، كل من عمل على التلغراف فى العالم يعرف هذا الاسم .. انهم يعرفون أن ويللى جورجان قد فاقهم جميعا !! »

وتوقف مبتسما للساعى .. ذلك الصبى الذى قدم بالامس فقط من أقدر أحياء المدينة ليعمل بالمكتب فى الوقت المناسب حقا .

وقال له : « غن أغنية أخرى ، فانا وأنت ما زلنا أحياء .. »

وانطلق هومير يغنى •



- ٧ -

إذا ما جاءتني رسالة

كانت مسير ماكولي في بهو منزلها بشارع سانتا كلارا جالسة على المقعد المتأرجح القديم تنتظر عودة ابنها • ولم يدخل هومير البهو الا بعد أن انتصف الليل بقليل • واستطاعت أمه أن تدرك أنه ليس متعبا كثيرا ناعسا فحسب، بل أنه غزع وقلق أيضا • انها تعرف أن صوته سيكون خفيفا مكتوما إذا ما تكلم كذلك الصوت الذي عرفته من أبيه ، فما أشبهه به • غير أن هومير ظل واقفا في البهو أمدا طويلا ، وعندما تكلم، لم يمس على الفور ما يهمه من الأمر ، بل قال : أماه ، أن كل شيء على خير وجه ، أنا لا أريدك أن تظلي هكذا مستيقظة كل ليلة ••• وتوقف قليلا ثم أحس أنه مضطر أن يكرر لها : « كل شيء على خير وجه •• »

فقالت له أمه : « أعلم ذلك •• أجلس الآن •• »

وتحرك كى يجلس على المقعد المنتفخ بما فيه من حشو ، ولكن الصبى لم يستطع أن يمسك نفسه فتساقط متداعيا ، وعندذاك تبسمت أمه قائلة : « نعم .. أعرف أنك متعب ولكننى أستطيع أن أرى أيضا أنك مهموم مضطرب .. ماذا يشغلك ؟ »

وانتظر الصبى لحظة ثم بدأ بكنكلم فى سرعه وعجلة ، ولكن صوته ظل هادئا خفيضا جدا : « لقد كان على أن أحمل برقية لامرأة مكسيكية فى شارع ج .. » ثم توقف فجأة لينهض واقفا على قدميه .

واستأنف حديثه قائلا : « لست أدري كيف أقص عليك ذلك ... لقد كانت البرقية من وزارة الدفاع . كان ابنها قد قتل وهى

لا تريد أن تصدق ذلك ، كانت لا تريد أبدا أن تصدق . !! ولم از فى حياتى من قبل قلبا كسيرا كقلبها ، وجعلتنى أكل حلوى .. صنعتها من الصبار .. واحتضنتنى قائلة لى اننى ابنها . ولم يكن ليهمنى هذا كله لو أنه جعلها سعيدة ، بل أنا لم أهتم حتى بالحلوى ! »

وتوقف من جديد ثم عاود كلامه : « ظلمت تنظر لى وكاننى ابنها حقا حتى ساورتنى الريبة فى أن أكونه فعلا ، وملائنى حزن عميق ، وعندما عدت الى المكتب وجدت عامل التلغراف الهرم مستر جروجان وقد ذهبت به الخمر تماما كما توقع لنفسه ، فقمتم بما كان قد طلبه منى .. ألقى الماء البارد على وجهه وذهبت أحضرله كوب القهوة السوداء كى يظل مستيقظا ! أنه ان لم يؤد عمله أحالوه على المعاش وهو لا يريد ذلك . وعندما استطعت ان أبقيه يقظا واستطاع أن يؤدى عمله راح يحدثنى عن نفسه ، ثم بدأ نغنى معا . وقد أكون أحق ولكنى أحسست اذ ذاك أننى حزين جدا . »

وتوقف عن الحديث ليذرع الغرفة لحظة ثم واصل كلامه واقفا فى فتحة الباب منصرفا بنظره عن أمه : « وأحسست فجأة اننى وحيد وحدة لم أستشعرها من قبل . نعم ، لم أستشعر هذه الوحدة حتى عندما مات أبى ... فلقد نظرنا نحن جميعا اليك انت ولم تجعلينا نحس أن شيئا ما قد تغير ولم يتغير شيء فعلا ، فقد سارت الامور جميعا كما نحب ، أما الآن فلست أدري ماذا حدث ، لقد تغير

كل شيء . . . » وكرر بكل ما فى شبابه من قدرة على التوكيد « كل شيء » .

وابتعد عن الباب المفتوح كى يواجه أمه ثم قال : « فى يومين فقط تغير كل شيء وأصبحت وحيدا دون أن أدري لماذا أنا وحيد » ، وتحرك مقتربا من أمه متسائلا : « أمى ؟ »

ولم تجب أمه بل ظلت منتظرة كى يستمر فى حديثه : « لست أدري ماذا يجرى الآن فى الدنيا ولا أدري لماذا يحدث هذا كله ؟ ولكنى لا أريدك مهما حدث لنا أن تجعله يؤلك على هذا النحو . فقد تغير كل شيء ، ولكنى أسألك ألا تجعلينا نحس هذا التغير كثيرا . »

وتبسمت المرأة ولكنها ظلت منتظرة وكأنما تعطيه فرصة أن يكمل حديثه اذا كان لديه ما يقوله بعد ذلك ، فلما لم يتكلم بدأت تتحدث هى قائلة : « لقد تغير كل شيء بالنسبة لك انت ، غير ان كل شيء ما زال كما هو ايضا . انك تستشعر الوحدة لانك لم تعد طفلا ، ولكن العالم ملى دائما بهذه الوحدة ، هى وحدة لم تجيء مع الحرب ، فإن الحرب لم تسببها ، بل انما هى الوحدة التى صنعت الحرب وهذا اليأس من الاشياء جميعا لانها فقدت نعمة الرب . سنظل نحن معا ولن نتغير كثيرا . » وتأملت لحظة ثم راحت تحدثه كيف يكون لقاءها بهذا الحدث الذى اذا ما وقع فهو ارباع وأقصى حوادث التغير فى دنياهم : « أما أنا فاذا ما جاءتنى رسالة كتلك التى جاءت المكسيكية هذه الليلة فسأصدق كلماتها ولا شيء بعد ذلك . لن أكون فى حاجة لأن أبكى لأننى أعرف أن ابنى لا يمكن أن يقتل . » وتوقفت لحظة ثم واصلت حديثها وهى تكاد تكون فرحة مرحة : « ماذا أكلت فى العشاء الليلة ؟ »

فاجابها هومير : فطيرة . . . فطيرة تفاح بقشدة جوز هند اشتراها لنا مدير المكتب . . انه أكرم شخص عرفته لآن .

فقالت له مسز ماكوى : سأرسل لك غدا غداءك مع بس

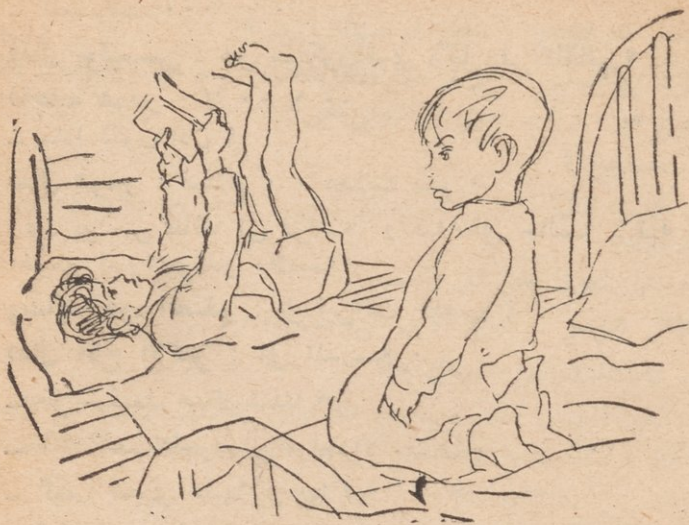
فاجابها هومير : « لا ، لا أريد غداء ، فنحن نفضل ان نخرج فنشترى شيئا ونجلس معالنا كلة . وليس هناك ما يدعوك لتحمل مشقة اعداد الغداء وارساله مع س ، ان من الامتع لى أن أخرج

فاشترى الطعام » ، وصمت ثم قال : « ان هذه الوظيفة شئ رائع بالنسبة لى ولكنها تجعل المدرسة تبدو سخيفة تماما » .

فقال مسز ماكولى : « طبعاً، ليست المدارس الا لتمنع الاطفال من الشوارع غير أنهم سرعان ما يضطرون للخروج للشوارع سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا . وانه أمر طبيعى أن يخشى الآباء والامهات على أولادهم من الدنيا ولكن ، فى الحقيقة ، ليس هناك ما يخشى منه . غير أن العالم مازال مليئاً بأولئك الصغار المفزوعين وهم فى فزعهم يرهبون بعضهم الآخر ويزدادون فزعا . فحاول أنت أن تفهم »

وواصلت حديثها قائلة : « حاول أن تحب كل من تلقى ، أما أنا سأنتظرك هنا كل ليلة فى البهو ، فلا تجعل هذا يضطرك للحديث الى ما لم ترد أنت ذلك . أنتى افهمك وأعرف أنه سيمر على قلبك لحظات لا يستطيع فيها قلبك أن يهب لسانك كلمة واحدة تقولها . » . وتوقفت عن الحديث وراحت تنظر للصبى ثم قالت : « اننى أعرف انك متعب ، فاذهب الآن ونم » .

فقال الصبى : « نعم يأماء » . وذهب الى غرفته .



- ٨ -

فلتكن حاضرا على مائدتنا أيها الرب

ماكاد جرس المنبه يدق دقته الاولى فقط فى الساعة السابعة من الصباح حتى استيقظ هو ميرما كولى جالسا ، وعدل الساعة حتى لا يستمر الجرس فى الدق . ثم خرج من فراشه وأحضر دروس بناء الجسم التى تلقاها من نيويورك وبدأ يقرأ تعليمات اليوم . وكان أخوه يوليسس يرقبه وقد استيقظ معه كعادته على الدقة الاولى للجرس الذى لم يسمح له هو ميرأبدا أن يستمر . ودروس نيويورك هذه فى بناء الجسم هى عبارة عن كتاب صغير مطبوع وآلة من المطاط لفرد العضلات . وفتح هو مير كتابه على الدرس السابع ، على حين زج يوليسس بنفسه تحت ذراعه ليكون أقرب ما يمكن من الآلة الخرافية . وبعد أن قام هو مير ببعض التمرينات التمهيدية ومن بينها تمرين التنفس العميق استلقى على ظهره ورفع ساقيه بشدة من على الارض ، فقال له يوليسس : « ما هذا ؟ »

- تمارين -

— لماذا ؟

— للعضلات

فقال يوليسس : هل ستكون أقوى رجل فى العالم ؟

فأجابه هومير : لا . . لا . .

— ماذا تكون اذن ؟

فقال هومير : اسمع . . . عدأنت فتم .

وعاد يوليس طائعا الى فراشه ، ولكنه ظل جالسا يرقبه حتى بدأ هومير أخيرا يرتدى ملابسه .

وسأله أخوه الصغير : الى أين أنت ذاهب ؟

فقال الاخ الأكبر : الى المدرسة .

— هل ستتعلم هناك شيئا ؟

— أنا ذاهب لأجرى على الحواجز الاثني والعشرين . . .

— كيف تجرى عليها أو بها ؟

— لن أجرى بها الى مكان ما ، انها حواجز خشبية مقامة كل عشر ياردات أو خمس عشرة ياردة ، وعليك أن تقفز عليها وأنت تجرى .

— لماذا ؟

فأجابه هومير : وقد كاد صبره أن ينفد : لماذا . . انه سباق لعدو ، وبه اثنتان وعشرون حاجزا ، وكل من ولد هنا يجرى فى هذا السباق ، فهو أهم سباق فى ايتاكا ، حتى مدير مكتب التلغراف الذى أعمل فيه الآن قد جرى فيه عندما كان فى مدرسة ايتاكا انعليا ، وقد كان بطل الوادى .

فسأله يوليسس : وما هو بطل الوادى ؟

— أفضل من يجرى . . .

— وهل ستكون أفضلهم ؟

فقال هومير : لا أدري . . سأحاول . . عد أنت الآن ونم .

فانزلق يوليسس تحت غطاءه وهو يقول : « غدا . . » ثم أدرك خطأه وصححه « بالأمس . . . رأيت القطار » .

وفهم هومير ماذا يريد أخوه أن يقول له ، فقد تبسم وهو يتذكر فرحته هو ودهشته بمرور القطار وسأله :

« وكيف كان ؟ »

وراح يوليسس يتذكر في رزانه وهدوء ثم قال: «كان فيه رجل أسود ، لوح بيده » .

فقال له هومير : وهل لوحته أنت ؟

فرد يوليسس : أنا لوح الاول . ثم لوح هو ، فلوحته أنا «
ثم لوح هو ، وكان يغنى : كنتكى كفى بكاء ..

- صحيح ؟

- لقد قال : اننى عائد الى بيتى .. ثم نظر يوليسس الى أخيه وقال :

- بتى نعود نحن الى البيت ؟

فقال هومير : نحن الآن فى بيتنا .

- فلماذا لا يأتى هو الى هنا ؟

- لكأن انسان بيت غير بيت الآخر ، بعضهم بيته فى الشرق والآخر فى الغرب ، وبعضهم فى الشمال وبعضهم الآخر فى الجنوب ... ونحن بيتنا فى الغرب .

- وهل الغرب أفضل ؟

فقال هومير : لست أدرى .. فانا لم أذهب الى أى مكان آخر .

- وهل ستذهب ؟

- نعم ، يوما ما .

- أين ؟

- الى نيويورك .

- وأين هى نيويورك ؟

- فى الشرق . وبعد نيويورك لندن ، وبعد لندن باريس ، وبعد

باريس برلين ، ثم فيينا فرومافوسكو فستوكهولم . . . فى يوم ما سأزور كل بلاد العالم الكبيرة .

- وهل ستعود ؟

- طبعا ..

- وتكون فرحا حين تعود ؟

- طبعا ..

- لماذا ؟

- لماذا .. سأكون فرحا لانى سأرى أمى وماركوس وبس .

ونظر هوميرو الى أخيه ثم قال: « سأكون فرحا لاني سأراك ،
وأرى جارتنا ماري آرينا وأباماستر آرينا .

سأكون فرحا لاني سأعود الى بيتنا وأجلس لنتحدث وأستمع
الى الموسيقى ونتعشى جميعا معا » .

فتضرع الاخ الاصغر ملجفا : « لاتذهب .. هوميرو .. لاتذهب »
فجابه ثوه الاكبر : « ولكني لست ذاهبا الآن .. أنا الآن
ذاهب الى المدرسة »

فقال يوليسس : « لاتذهب أبدا . اقد ذهب أبي ولم يعد ،
وماركوس أيضا ذهب .. فلانذهب أنت أيضا يا هوميرو » .
فجابه هوميرو : « مازال هناك وقت طويل قبل أن أذهب أنا ..
فاذهب أنت ونم » .

فقال يوليسس : وليكن .. هل ستجري المائتين والعشرين ؟
فصححه هوميرو : حواجز المائتين والعشرين ياردة ..

وعندما جلس هوميرو أخيرا الى مائدة الافطار وجد أخته بس
وأمه تنتظرانه ، ولما اجتمع شمل الاسرة انحنت الرؤوس لحظة ثم
ارتفعت وبدأوا يتناولون الطعام .

وسألت بس أخاها : ماذا قلت في صلاتك ؟

فأجابها هوميرو : « هذه الصلاة التي أقولها دائما » ثم راح يكرر
لها صلاته في نفس هذه الكلمات التي تعلمها حين كان لا يكاد يعرف
كيف يتكلم :

« فلتكن حاضرا على مائدتنا أيها الرب ،

ولتكن ممجدا هنا وفي كل مكان ،

ولتبارك هذه المخلوقات ... اجعل مثوانا وطعامنا في الجنة
عندك أمين .. »

فقالت بس : أوه ... هذه صلاة قديمة ، ثم انك لاتكاد تعي
ما تقول .

فرد هوميرو : لا ، اني أفهمها جيدا ، كل مافي الامر أنني أرددها
الآن في سرعة لاني جائع ولكنني أعرف معناها . أليست النية هي

التي تحسب على كل حال ، ولكن قولي لي ماذا تقولين أنت في صلاتك ؟

فقلت بس : لا ، قل لي أنت أولا معنى هذه الكلمات . .

فأجابها هومير : ماذا تعنين بمعنى هذه الكلمات؟ انها لاتعنى أكثر مما تقول . .

فواصلت بس سؤالها : حسنا ماذا تقول ؟

فقال هومير : « فلتكن حاضرا على مائدتنا أيها الرب » . . هذا يعنى ، فلتكن حاضرا على مائدتنا أيها الرب ، وأيها الرب تعنى أشياء كثيرة ، ولكننى أعتقد أنها تعنى كل خير . . و « فلتكن ممجدا هنا وفى كل مكان » . . هذه معناه اجعل الأشياء الطيبة الحيرة محبوبة هنا وفى كل مكان . . و « هذه المخلوقات » . . تعنى فيما أعتقد نحن . . وكل انسان آخر . . « بارك » . . بارك معناها . . بارك . . قد يكون معناها فيما أعتقد أغفر أو ربما أحبب أو أرفع أو شيئا كهذا ، فأنا لست أعرف تماما ولكننى أعتقد أنها تعنى شيئا مثل هذا . . أما « أمنحنا فى الجنة فرحة الوليمة فى حضرتك » ، فهذه تعنى ما تقولوه الكلمات بالضبط ، امنحنا فى الجنة فرحة الوليمة فى حضرتك .

فقلت بس : من هو « حضرتك » ؟

فالتفت هومير الى أمه متسائلا : أليس معنى الصلاة أن الناس اذا كانوا خريين فانهم يفرحون بالوليمة فى الجنة كل مرة يجلسون فيها على المائدة ؟ وحضرتك هى كل الاشياء الطيبة ، أليس كذلك ؟

فأجابته مسر ماكولى : طبعا .

فعادت بس تسأل : ولكن أليس « حضرتك » هو الشخص العظيم ؟

فأجابها هومير : طبعا . . ولكن أنا أيضا شخص عظيم ، وأمى وأنت وكل انسان شخص عظيم . فامنحنا أن تكون هذه الارض جنة وأن يكون كل من يجلس معنا الى الطعام شخصا عظيما . . ثم قال لها نافدا الصبر : « بس ، انها صلاة للمائدة ، وأنت تعرفين كما أعرف معناها تماما ، كل ما هنالك أنك تريدين

أن يختلط على الامر ، فلا يشترك هذا فأنت قادرة عليه ، بل اني
أعتقد أن أى انسان يقدر أن يخلط على الامور ، ولكن ماقيمة
هذا مادمت أومن ، وكل انسان يؤمن أيضا ، أليس كذلك ياأمى؟

فقالت مسر ماكولى : طبعا انهم يؤمنون جميعا ، وأنت ان لم
تؤمن فلست حيا ، بل ستحرم الفرح لافى الجنة فحسب ، بل
فى أية وليمة مهما امتلأت مائدتك بأشهى الطعام ! ان الايمان هو
الذى يجعل أى شئ شهيا جميلا ، فليست الاشياء فى ذاتها كذلك .

فالتفت هومير الى بس قائلا : « فهمت اذن » وصرف الموضوع
برمته نهائيا : « سأجرب فى سباق حواجز المائتين والعشرين
ياردة الذى سيقام اليوم فى طريق السبعة » .

فقالت أمه : صحيح ؟ لماذا ؟

فأجابها هومير : لماذا ، انه سباق هام ياأمى ، لقد عدا فيه
مستر سبانجلر عندما كان فى مدرسة ايتاكا العليا ، وفى هذا
السباق لايجرى المرء فحسب ، بل يقفز أيضا ، وهو مازال
يحمل معه بيضة مسلوقة لتجلب له الحظ .

فقالت بس : يحمل بيضة مسلوقة لتجلب له الحظ ؟ .. هذه
خرافة .

فأجابها : سواء خرافة أم لا .. ما قيمة هذا ؟ انه يرسلنى
فى كل يوم الى محل شاترتون أشتري من فطائر الامس فطيرتين
بالتفاح ، وقشدة جوز الهند ، الاثنتان بربع دولار ، أما الفطائر
الطازجة فكل واحدة منها بربع دولار ، فاذا لم تكونى تنوين أن
تصرفى الا ربع دولار فلن تشتري الا واحدة منها فقط ، أما من
فطائر الامس فانك تحصلين على اثنتين .. وعند ذلك يعطينى نصف
فطيرة ومستر جروجان النصف الثانى ، الا أن مستر جروجان
لا يأكل من نصيبه الا لقمة أولقمتين ، فأكل أنا قدرا كبيرا من
الفطير . ان مستر جروجان يفضل أن يشرب عن أن يأكل .

ودخلت المطبخ جارتهم الفتاة مارى أرينا قادمة من الباب
الخلفى تحمل فى يدها اناء من أوانى ، حل ولوورث الرخيصة
ووضعتة على المائدة ، فترك لها هومير مقعده قائلا : تعالى هنا
يامارى اجلسى وأفطرى معنا .

فأجابت ماري : لقد فرغت الآن فقط من الإفطار مع أبي ،
وذهب الى عمله .. شكرا على أية حال ، لقد أحضرت معي
يامسز ماكولي بعضا من الحوخ الجاف الذي طبخته لابي .

فقالت مسز ماكولي : شكرا ياماري . كيف حال والدك ؟

فردت ماري : بخير .. الا أنه يجب صباحا ومساء أن يغطيني ،
ففى صباح اليوم ، ماكاد يجلس على المائدة حتى سألتني قبل أن
يقول شيئا آخر : ألم تصل خطابات؟ ألم تأت بعد من ماركوس
خطابات ؟

فقالت بس : لا بد أن يصلنا قريبا منه خطاب .. ثم تركت
مقعدھا على المائدة قائلة : هيا بنا ياماري ، فلنذهب الآن .

فردت ماري : نعم يا بس . والتقت الى مسز ماكولي :
ولكني أقول لك الحق ، لقد ضجرت وتعبت من الذهاب للكلية ،
فلا فارق بينها وبين المدرسة العليا ، ثم انني قد كبرت على أن
أصرف كل وقتي هكذا في الذهاب الى المدرسة .. لقد تغير الزمن !
وأنا ، والله العظيم ، أريد أن أذهب فأبحث لنفسي عن عمل فى
أى مكان .

فأيدتها بس قائلة : وأنا أيضا أريد ذلك ...

فردت مسز ماكولي : هذا كلام فارغ ، أنتما مازلتما طفلتين ..
ألستما فى السابعة عشرة فقط ؟ ان لابيک ياماري وظيفة طبية
وكذلك لاختك يا بس .

فقالت ماري : ولكن ألا ترين يامسز ماكولي أنه ليس من العدل
ألا نفعل نحن شيئا الا مجرد الذهاب للمدرسة فى زمن يذهب
فيه ماركوس للجيش ولا يهتم الناس فيه الا بأن يخرج كل منهم
عين الآخر !! اننى تهر بى أوقات أتمنى فيها لو كنت رجلا فأستطيع
أن أكون مع ماركوس فى الجيش !! . . لو صح هذا فما أكثر
ما كنا سنناله معا من فرح ومتعة .

فقالت مسز ماكولي : لاتدعى هذا يزعجك كثيرا ياماري ، فهذا
كله سينتهى وستعود الامور جميعا الى ما ألفناه من قبل .

فأجابت ماري : « نعم ، أرجو هذا » . ومضت ذاهبه هي

وصديقتها بس ماكولى الى المدرسة . وراح هومير يرقب الفتاتين
تنصرفان ثم سأل أمه بعد لحظة : « أمى ماذا تقولين فى هذا ؟ »
فردت مسز ماكولى : انه امر طبيعى تماما أن ترغب فتاتان
مثلهما فى الخروج الى الدنيا وهن أعطافهما .
فقال هومير : أنا لأقصدرغبتهما فى الخروج وهن أعطافهما ،
انما أعنى مارى .

فاجابته مسز ماكولى : ان مارى فتاة لطيفة لاتصنع فيها
كالاطفل ، انها أقرب من عرفت من الفتيات الى براءة الاطفال !! وأنا
سعيدة جدا ان ماركوس قد احبها ، فلن يستطيع أن يجد
الطف منها فتاة .

فقال هومير نافذ الصبر : أمى . أعرف أنا هذا كله وليس هذا
ما أحدثك عنه الآن . . . ألا تفهميننى ؟
وتوقف هومير عن الكلام وكأنما أدرك أنه لاجدوى من التحدث
عما يعتمل فى نفسه الآن من أن هذه الحرب ستجلب الالم والحزن
للكثيرين ممن لم يشتركوا فيها أو يقاربوها ، فصرف الحديث
فجأة قائلا :

- « أوه . . سأراك عندما أعود الليلة الى البيت . . الى اللقاء . . »
ووقفت مسز ماكولى ترقبه وهو ينصرف متعجبة ماذا عساه
كان يريد أن يقول لها . وعلى حين فجأة لمحت بطرف عينها
شخصا صغيرا جدا . كان يوليسس ينظر اليها وهو فى
قميص نومه كما ينظر الحيوان الصغير الى ذلك الآخر من جنسه
الذى يجد فيه أقصى سعادته وراحته ، وامتلأ وجهه بتعبير
جدى عميق أسر الى أقصى حد . واتجه يوليسس اليها قائلا :
لماذا يقول « كفى بكاء ، كفى بكاء ؟ »
فقالت مسز ماكولى : من هذا ؟

- الرجل الاسود فى القطار .

فاجابته أمه وهى تاخذ يده : انها أغنية يا يوليسس . تعال
الآن وغير ملابسك .
وسألتها الصبى الصغير : هل أرى الرجل الاسود اليوم أيضا
فى القطار ؟

ففكرت مسز ماكولى لحظة ثم قالت : نعم .



- ٩ -

الارانب هنا في مكان ما

مر هومير ماكولى فى طريقه الى المدرسة بحاجز من الاعمدة الخشبية المديبة يسيح قطعة من الارض مليئة بالاعشاب على طريق سان بنيتو . وكان السياج قديما باليا لانفع منه ، الا أن يسيح فى عظمة مضحكة قطعة من الارض الخراب وأن يحمى أعشابا ضجرة مملولة لاحتاج رعاية أو حماية . لورد تلميذ النهار وساعى الليل دراجته الى وقفة مفاجئة سريعة وأنزل حمالتها لتقف عليها وأسرع الى السياج وكأنما سيكتشف خلفه شيئا خائفا . سريعا يخاف عليه أن يضيق اذا لم يسرع وراءه ! غير أن السياج كان يزيد فى ارتفاعه حوالى القدم على الارتفاع المقرر لحواجز السباق ، وهذا الشيء الخاطف السريع وراءه لابدأته ، أيا كان هو ، انما يسير فى سرعة سيستغرق معها قرنا كاملا كى يختفى . فقد وقف هومير يتفحص السياج ويدرس الارض من ورائه وتلك المنطقة التى

سيعدو فيها من أمامه ، ثم راح يقيس ارتفاعه الذى وجده يزيد كثيرا على ارتفاع وسطه ، ولكنه بدأ يجرب نفسه فى بضع قفزات ثم تراجع عشر ياردات الى الوراء... وفجأة ، وحتى دون أن يعلن ذلك بينه وبين نفسه ، انطلق فى تحمس وفورة عادية ناحية السياج ، فلما اقترب منه قفز قفزة رائعة رفس فيها انسياج فحطم جزءا منه وسقط بنفسه واقفا على الاعشاب ، ولكنه سرعان ما قام راجعا لتجربة أخرى . وكان خشب السياج يتحطم فى سهولة ويسر محدثا صوتا لا يتلاءم وشرخه البالى ، فيبدو مضحكا فكها . وبلغ مجموع محاولات هومير سبعا لم تنجح واحدة منها ، غير أنه لم يتوقف الا لأن السياج بلغ به التحطم حدا كبيرا .

وخرج من البيت التائم على الباحة الاخرى من الطريق رجل هرم يسير مستندا على عصا ويدخن فى فمه غليوناً ، ووقف يرقب هومير ! وأخيرا ، عندما راح هومير ينفض عن نفسه غبار سقطته الاخيرة ، تكلم الرجل قائلا : ماذا تفعل ؟

فأجاب هومير : أقفز .

— هل أصبت نفسك ؟

— لا .. لا .. كل ما فى الامر أن السياج عال قليلا وهذه الاعشاب زلقة ايضا .

ونظر الرجل العجوز الى الاعشاب لحظة ثم قال : هذه اعشاب لينة كثيرة العصارة ، وهى غذاء طيب جدا للارانب ، والارانب تحبها كثيرا . لقد كان عندي منذ احدى عشرة سنة بيت للارانب ولكن أحدهم جاء فى نصف الليل ففتح الباب فولت جميعها هاربة .

فقال هومير : ولماذا فتح الباب ؟

فأجاب الرجل : لست أعرف لماذا ، فانا لم أستطع أن أعرف أبدا من الذى عمل هذا العمل ، ولكنى فقدت ثلاثة وثلاثين أرنا من أجمل مارأيت من الارانب . كان بينها البلجيكي والاحمر العين والقططى الوجه ونوعان او ثلاثة أخرى .. ولم أستطع أبدا أن أعرف من الذى عمل ذلك .

فسأله هومير : أتعجب الارانب ؟

فقال الرجل العجوز : انهاحيوانات صغيرة لطيفة ،
والمستأنس منها وديع جدا .

ونظر الرجل حوله في أعشاب الارض الجرداء **وقال :** ثلاثة
وثلاثون أرنبا ترعى العراء أحدعشرعاما !! من ذا يستطيع اليوم
أن يحصى عددها وقد توالدت كما نفعل دائما ، أو من ذا الذى
يعرف كيف أصبحت الآن متوحشة بريئة .. اننى ان
أعجب الآن اذا ما رأيت المدينة قد امتلأت بالارانب البرية .

فقال هومير : ولكننى لم أر أبدا ولو واحدا منها .

فرد الرجل العجوز : محتمل ، ولكنها هنا .. فى مكان ما ،
بل لعلها قد اكتسحت المدينة بأكملها ولن يمضى عام أو اثنان
حتى تصبح هذه الارانب مشكلة عويصة .

ولكن على الرغم من هذه المشكلة العويصة امتطى هومير
دراجته قائلا للرجل : حسنا ، أنا مضطر للذهاب الآن ، وسأراك
مرة أخرى .

فقال الرجل الهرم : صمم أن تفعل ذلك .. أنا اسمى تشارلز
.. ويكفى أن تدعونى شارلى .. تعال فى أى وقت وافعل
مابدا لك هنا .. مرحبا بك دائما .

فقال هومير : « نعم ، ياسيدى » وعاد الى موضوعه الخاص
الذى يشغله فقال يعلن الخبر للرجل العجوز : سأجرى فى
سباق المائتين والعشرين ياردة للقفز المنخفض الذى سيقام اليوم
مصرا بميدان سباق المدرسة العليا .

فرد الرجل العجوز : أنا لم اذهب الى المدرسة العليا ولكننى
شاركت فى الحرب الامريكية الاسبانية .

فقال هومير : حقا .. ياسيدى .. حسنا .. الى اللقاء ..
فقال الرجل العجوز وقد أصبح الآن حديثه لنفسه :

- أوه... نعم الحرب الامريكية الاسبانية .. وفرت كالارنب
معظم الوقت .

واختفى هومير على دراجته عند ناصية الطريق ، وراح
الرجل العجوز يسير ناحية بيته المتهدم في خطوات بطيئة ، نافخا
غليونه ومتأملا الأرض من حوله . وغرز عصاه في جمع كبير من
الاعشاب وقال : « الارانب هنا .. في مكان ما .. قد توحشت
الآن ولم تعد كما كانت » .



- ١٠ -

التاريخ القديم

كانت الحواجز قد أقيمت في طريق السباق بأرض الملعب الخاص بالمدرسة العليا استعدادا لسباق ٢٢٠ ياردة في العدو والقفز المنخفض . وتجمع في هذا الصباح أربعة من الصبية يتدربون استعدادا للسباق . وكانوا جميعا بلا استثناء يعدون عدوا طيبا ويقفزون في أسلوب جميل ونظام محكم . وتقدم المدرب بايفيلد وساعة السبق في يده إلى الفائز قائلا له : أحسنت هذه المرة يا أكللي .

كان بينا أن الصبي ليس من الصبية العاديين ، غير أن تميزه على الرغم من هذا لم يكن بارزا جدا . كان صبيا من أولئك الذين يتبدى في مسلكهم دعة أولاد الأسر التي نعمت في أجيالها القريية بما تحتاجه من ملابس ومطعم ومسكن ، وأصبح في قدرتها أحيانا أن تتزاور وأن تحتفل بمن يزورها من أمثالهم ذوي الحظ السعيد .

وعاد المدرب يقول للصبي : مازال أمامك أن تتعلم الشيء الكثير ولكنى أعتقد أنك ستفوز اليوم فى هذا السباق .

فأجابه الصبي : سأبذل جهدى ياسيدى .

فرد المدرب : نعم ، أعرف ذلك ، انك على أية حال لن تلقى منافسة اليوم ، ولكنك بعد أسبوعين ستجد كثيرين ينافسونك فى سباق الوادى . اذهب الآن فاغتسل واسترح حتى العصر .

فأجابه الصبي : « سأفعل ياسيدى » ، وتحرك منصرفا ولكنه توقف فجأة يسأله : معذرة ياسيدى ، كيف وجدت زمنى الذى سجلته ؟

فأجاب المدرب : ليس بالردىء ولا بالحسن جدا ، ولكنى فى موضعك لأشغل نفسى الآن بالزمن ، كل ما عليك أن تجرى فى السباق كما علمتك ، وأعتقد أنك ستكون فى المقدمة .

وكان العداءون الثلاثة الآخرون قد تجمعوا جميعا فى ركن واحد يرقبونهمما ويسمعون حديثهما ، والتفت أحد الصبية قائلا للآخرين : لقد يكون فى مسلكه ما يشبه اخواتنا البنات ، ولكن هاهو يأتى دائما فى المقدمة ، ماذا جرى لك ياسام ؟

فقال سام : ماذا جرى لى ؟ ماذا جرى لك أنت ! لم لم تغلبه ؟ قال الصبي : كنت الثانى .

فقال الصبي الآخر : الثانى والثالث سواء .

وقال سام : أيغلبنا هبرت آكلى الثالث !! مأحرانا أن نخجل من أنفسنا !!

فرد الثانى : طبعاً ، ولكن ليس لدينا لاجحة ولا عذر . . . كل ما فى الامر أنه يجرى أفضل منا . والتفت المدرب الى هؤلاء الثلاثة مخاطباً اياهم فى لهجة غائرة تماماً عن اللهجة الاولى : هيه . . لماذا تقفون هكذا ساكنين . . تحركوا . . لستم من الروعة بحيث تستطيعون أن تقفوا هكذا تفخرون بأنفسكم . . هيا قفوا فى أماكنكم وحاولوا مرة أخرى .

وعاد الصبية الى أمكانهم دون أن ينطقوا بكلمة واحدة، وأرسلهم المدرب مرة أخرى يعدون فى طريق السبق ، وبعد أن بدأوا العدو صمم فى نفسه أن يجعلهم يقطعون السبق مرتين آخرين قبل اللقاء فيما بعد الظهيرة ، فقد كان يبدو أنه يريد ألا يفوز فى هذا السباق غير هبرت آكلى الثالث .

كان فصل التاريخ القديم يمتلىء فى سرعة ، وقد وقفت المدرسة العجوز من هيكس تنتظر أن يدق الجرس الاخير ، وأن يسود فصلها ذلك الهدوء والنظام اللذان يعلنان عن بدء محاولة جديدة من محاولاتها فى تعليم صبية ايتاكا وبناتها ان لم يكن تسليتهم ، فى مدرستهم هذه العليا التى يستعدون فيها ولو نظريا لمواجهة العالم . وجلس هومير ماکولى وقد أزعجه شعور كاد يصل الى حد العبادة ، يتفحص فتاة اسمها هيلين اليوت وهى تسير داخلة من الباب الى مقعدها فى الفصل . وليس من شك اذن أن هذه الفتاة كانت أجمل فتاة فى العالم . الا انها كانت الى جانب ذلك مغرورة متكبرة ، غير أن هومير لم يكن يريد أن يصدق أن هذا الطبع أصيل دائم فيها . وبالرغم من هذا ، وبالرغم من عبادته لها ، فقد ظل غرور هيلين اليوت هذا أفسى وأمر ما فى حياته المدرسية بأكملها .

وجاء وراء هيلين هبرت آكلى الثالث . وعندما قاربها تبادلواياها الهمس لحظة فأثار غضب هومير كثيرا .
ودق الجرس الاخير فقالت المدرسة : الآن أرجوكم الصمت ، من الغائب ؟

فرد أحد الصبية : « أنا » وكان هذا هو جوتير انوغا ، مضحك الفصل وشخصيته الفكهة . وسرعان ما استجاب لجو ولبيديته السريعة الحمقاء أولئك المخلصون الاربعة أو الخمسة الذين يكونون أفراد شيعته الدينية المضحكة . ولكن هيلين اليوت وهبرت آكلى التفتا مقطبين الى أولئك الحمقى وهذه الشرذمة من سيىء التربية أولاد سكان الحارات والازقة الذين جاءوا يتعلمون معهم فى الفصل . وأعضبت هذه النظرة هومير جدا ، حتى انه انفجر وحده ، وبعد أن

سكت الضحك جميعه فى قهقهة مصطنعة أطلقها مباشرة فى وجه هبرت الذى يحتقره وهيلين معبودته • ثم تحول بنظره سريعا الى جو قائلا : أما أنت يا جو فالزم الصمت اذا ما تكلمت مسر هيكس •

وتكلمت مسر هيكس قائلة : الآن ، لا تريد شيئا من سخافاتك أنت يا جوزيف » والتفت الى هومير : « ولا أنت أيها السيد الصغير » • وتوقفت لحظة تشمل الفصل كله بنظراتها ثم قالت : « والآن ، سنعود الى الاشوريين حيث تركناهم بالامس ، وأريد منكم جميعا أن تعطونى انتباهكم كاملا غير موزع •• من كل واحد منكم أريد انتباها كاملا غير موزع ، وسنقرأ أولا من كتاب التاريخ القديم ثم تتناقش شفويا بعد ذلك فيما قرأنا » •

ولم يستطع مضحك الفصل أن يترك هذه الفرصة للمزاح تفلت منه ، فقال للمدرسة وكأنما يقترح عليها : « لا يامسر هيكس ، لانناقش شفويا بل نناقش فى صمت حتى أستطيع ان أنام » • وانفجر المخلصون من جديد فى الضحك وازور المغرورون المتكبرون اشمئزا • ولم تستطع مسر هيكس أن ترد على المضحك مباشرة فلم يكن من السهل عليها أولا أن تمنع نفسها من السرور ببديهة السريعة ولا أن تجد ، من ناحية أخرى ، طريقة تتصرف بها معه فلا تمنع روحه الفكاهة من أن تستمر • غير انه ، على الرغم من ذلك ، كان من الضروري عليها أن تلجمه وان تحفظه من أن يخرج عن النظام ، وتكلمت أخيرا قائلة له : « أليس من الواجب ألا تكون هكذا قاسيا يا جوزيف وخاصة اذا كنت أنت المصيب وأنا مخطئة » !!

فقال المضحك : « حسنا يامسر هيكس ، أنا آسف ، أظن اننى لم أستطع أن أمنع نفسى ! لقد قلت مناقشة شفوية ! وهل هناك نوع آخر من المناقشة ؟ ولكن ، حسنا ، أنا آسف » ثم أشار اليها فى لون من التهكم على نفسه وعلى ادعائه قائلا فى استاذية : استمرى يامسر هيكس •

فقال المدرسة : شكرا لك •• والآن استيقظوا جميعا ••

فقال جو : يستيقظون ! .. انظري اليهم ، انهم نصف نيام .

وعلى الرغم من أن حماقات جو كانت تسر المدرسة العجوز ، الا انها أصبحت مضطرة أن تقول له : « لو قاطعتنى مرة أخرى ياجوزيف ، سأضطر لارسالك الى مكتب الناظر » .

فقال المضحك : « أنا لا أريد الا أن أحصل لنفسى شيئاً من العلم ، انظري اليهم هم ، انهم نصف نيام ، أليس كذلك ؟ وراح يستعرض وجوه تلاميذ الفصل جميعاً ثم أردف : « بل حتى اخوانى جميعاً ، من أكبر لاعبى الباسبول »

وتطوع هومير قائلاً لصديقه: « أوه .. جو .. اسكت ليس هنالك ما يدعوك لان تظل تستعرض نفسك هكذا دائماً طول الوقت، فكلنا يعرف أنك لبق » .

فقالت مسز هيكس : « لن أسمع بكلمة أخرى من واحد منكما » . ثم عادت تقول : « والآن افتحوا الكتاب ص ١١٧ الفقرة الثانية » . وقلب الجميع كتبهم الى هذه الصفحة والمكان الذى أشارت اليه ، وواصلت هى كلامها قائلة : لقد تبدو دراسة التاريخ القديم أمراً مملاً لضرورة له . ففى مثل هذا الوقت الذى نعيش فيه ويسجل فيه التاريخ تسجيلاً عريضاً فى عالمنا نحن ، قد يبدو للبعض أن دراسة هذه العصور الاخرى الغابرة ومحاولة تفهمها أمر لا طائل تحته ، ولكن هذه الفكرة خاطئة تماماً ، فمن المهم جداً أن نلم بالازمان والحضارات القديمة وأن ندرس حياة الشعوب فى عوالم أخرى غير عالمنا هذا . من منكم سيتطوع للمجئ هنا الى رأس الفصل ليقراً ؟ » ورفع هبرت آكلى الثالث وفتاتان أيديهم ، فالتفت جو المضحك الى هومير وقال له :

- أنظر الى هذا الغلام !!

واختارت المدرسة هيلين اليوت الفتاة الجميلة المتكبرة من بين الاثنتين اللتين تطوعتا للقراءة . وراح هومير يرقبها مسحوراً بها وهى تسير الى رأس الفصل . فلما وصلت وقفت لحظة ، فى تمام بهائها ، ثم بدأت قراءتها فى أحلى ما يتصوره الخيال من صوت

بفيل رائق • وجلس هوميرو يتأمل مأخوذاً تلك المعجزة الخارقة التي جمعت بين جمال الصوت وجمال الحسد •

وقرات هيلين اليوت : « كان الاشوريون ، طوال الانوف والشعر واللحي ، وقد جعلوا من مدينتهم نينوى فى الشمال مركزاً لقوة كبيرة • وظلوا أمدًا طويلاً يصارعون الحيثيين والمصريين ، غيرهم فينهزمون مرة ويبتصرون أخرى ، حتى استطاعوا أخيراً أن يغزو بابل تحت حكم ملكهم تيجلات بيلسر الاول فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد • وظلت نينوى التى بنيت بالحجر وبابل التى بنيت بالطوب تتبادلان السلطة عدة قرون • وليس هناك أية صلة بين الاشوريين والسوريين ، فقد حارب الاشوريون السوريين حتى هزمهم تيجلات بيلسر الثالث ونفى منهم قبائل اسرائيل العشر النضالة » •

وتوقفت هيلين لحظة تجذب نفسها للنظر استعداداً لقراءة الفقرة التالية ، الا أن هوميرو ما كولى لم يمكنها من معاودة القراءة ، فقد قال مقاطعاً : « وماذا عن هبرت آكلى الثالث ؟ من غزا ؟ وماذا فعل ؟ » فانتفض الصبى المؤدب على قدميه فى غضب مدير مذهب ، وقال فى جدية صارمة : « مس هيكس ، أنا لأسمح أن تمر مثل هذه الاهانة المقصودة دون أن يوقف صاحبها ويعاقب • وانى مضطر ان أسألك ان تأمرى مستر ما كولى بالذهاب فوراً الى مكتب الناظر • واكتسى صوته نبرة الاصرار والعزم وهو يقول :

« والا سأضطر أنا الى التصرف فى الامر »

فقفز هوميرو خارج مقعده قائلاً : « آه • • • اخرس ، أليس اسمك هبرت آكلى الثالث ، ماذا فعلت اذن فى حياتك ، أو ، مادام الموضوع قد أثير ، ماذا فعل هبرت آكلى الثانى أو هبرت آكلى الاول ؟ »

وتوقف لحظة ثم اتجه الى مسر هيكس ثم الى هيلين اليوت قائلاً : أعتقد ان هذا سؤال جيد مفيد • ثم التفت الى هبرت آكلى مكرراً سؤاله : ما الذى قاموا به ؟

فقال هبرت آكلى : « أقل ما فى الامر أن واحداً من عائلة آكلى لم يكن • • • » وتوقف يبحث عن كلمة قارصة مناسبة ثم قال

احيرا « ألعبانا » • كلمه لم يسمعها أحد من قبل فى ايتاكا •

فرددها هومير متسائلا : « ألعبانا » والتفت الى المدرسة يسألها : مامعنى هذه الكلمة يامس هيكس ؟ « ولما لم تكن مستعدة بتعريف للكلمة التفت هومير فى سرعة الى هبرت آكلى مواصلا : « اسمع ، أنت أيها الثالث ، اياك أن تشتمنى هكذا شنائم لم أسمعها من قبل » •

فقال هبرت : الالعبان اذن هو هو « المهرج » « المتصنع » ، وتوقف يبحث عن كلمة أخرى أكثر عامية • فصاح فيه هومير : « احرص » والتفت الى هيلين اليوت مبتسما ابتسامة بيت ماكولى الشهيرة وردد الكلمة : ألعبان !! فى أى باب هذا من أبواب السباب ؟ ثم عاد الى مقعده وجلس •

وانتظرت هيلين اليوت اشارة من المدرسة كى تواصل قراءتها ولكنها لم تفعل ، وفهم هومير أخيرا مقصدها فقام واقفا وقال لهبرت آكلى الثالث : أنا معذروا آسف •

فقال الشاب المهنّب « أشكرك » وجلس •

ولكن مدرسة التاريخ القديم ألفت بنظرها لحظة على الفصل كله ثم قالت : « هومير ماكولى وهبرت آكلى يظلان فى مقعديهما بعد انتهاء الدروس •

فقال هومير : ولكن يامس هيكس ، ماذا نفعل فى سباق المدرسة ؟

فأجابت المدرسة : سباق المدرسة هذا لايهمنى ، وتربية أخلاقكم مهمة كترية أبدانكم تماما ، ان لم تكن أهم •

ولكن هبرت آكلى قال : « مس هيكس ، مدرسة ايتاكا العليا تعتمد على فى كسب سباق الاثنين والعشرين حاجزا بعد ظهر اليوم وفى أن أكون خير ممثل لها بعد أسبوعين فى سباق الوادى • وأنا أخشى أن المدرب بايفيلد سيصر على اشتراكى فى السباق •

فقال هومير : أنا لأعرف شيئا عن اصرار المدرب هذا ، ولكن ، كل ما أعرفه ، اننى سأجرى بعد ظهر اليوم ، فى سباق الحواجز • هذا كل ما هناك •••

ونظر هبرت آكلي الى هوميرو قال : أنا ليس عندي أى فكرة
عن انك اشتركت فى هذا السباق •

فاجابه هوميرو : « حسنا ، فلتعلم اذن اننى اشتركت » ، ثم
التفت الى المدرسة قائلا : أنا أعدك يامس هيكس لو تركتنا
نذهب هذه المرة ألا أحدث شغبامرة أخرى وان أكون مطيعا وألا
أفعل شيئا أبدا ، وهبرت أيضا يعد هو الآخر • ، واتجه اليه
سائلا : أليس كذلك ؟

فقال هبرت: نعم يامس هيكس أنا أعد •

ولكن مدرسة التاريخ القديم قالت لهما : كلاكما سيظل هنا
بعد الدراسة ، أكملى قراءتك ياهيلين •

فعدت هيلين تقرأ : « واستطاعت الجيوش المتحالفة ، جيوش
الكلدانيين فى الجنوب و جيوش الميديين والفرس من الشمال أن
تحطم الامبراطورية الآشورية ، ودانت نينوى لسلطانهم • ثم
حكم بختنصر الثامن امبراطورية بابل الثانية • ولكن جا بعد ذلك
كسرى الكبير ملك الفرس و جيوشه الغازية • الا أن انتصاره لم يكن
الا دورة من دورات الزمن فقد قدر على حفة جنوده المنتصرين أن
يخضعوا هم بدورهم لالاسكندر الاكبر • »

وأحس هوميرو بالضجر لما حدث وحل به التعب من العمل فى ليلة
أمس ، وتأثر بصوت الفتاة الحلوة الذى يعتقد أنه موجه له وحده ،
فأراح رأسه فى بطة على ذراعيه المعقودتين ، وبدأ ينعم بحال أشبه
ما يكون بالنوم • غير انه كان لا يزال قادرا على أن يسمع صوت
الفتاة وهى تقرأ • وتابعت القراءة :

« ومن انصهار هذه الحضارات كلها معا ورث العالم تراثا كبير
القيمة • فشرية موسى التى جاءت فى التوراة تدين فى شيء
من مبادئها لبعض القوانين التى صاغها حمورابى الذى عرف باسم
المشرع • ومن طريقتهم فى الحساب التى كانوا يستعملون فيها مكعب
العدد ١٢ ونظامنا العشرى المؤلف ، أخذنا تقسيمنا للساعة
الى ستين دقيقة وتقسيمنا للدائرة الى ٣٦٠ درجة • وأعطينا العرب
أرقامها التى مازالت تعرف الى الآن بالارقام العربية تميزا لها

عن الطريقة الرومانية فى الترقيم . أما الاشوريون فهم الذين اخترعوا
المزولة الشمسية ، والى البابليين ترجع رموزنا الطبية الحديثة
وعلامات الابراج الفلكية . وقد أثبتت الكشوف الاثرية منذ وقت
قريب أنه قامت فى آسيا الصغرى امبراطورية عظيمة .

وراح هومير يحلم : « امبراطورية عظيمة ؟ أين ايتاكا ؟
ايتاكا بكاليفورنيا ؟ ثم ولت هكذا بلا أثر ، هكذا بلا شعب
عظيم ، والاختراعات كبيرة ، لامزاو لشمسية ولا أرقام ، ولا أبراج ولا
حتى فكاهة ، بلاشئ هكذا على الاطلاق ؟ أين كانت هذه
الامبراطورية ؟ » . وقرر أن يعتدل فى جلسته وراح ينظر حوله ،
ولكنه لم ير غير وجه هيلين اليوت ولعل هذا الوجه هو أعظم
الامبراطوريات جميعا فى نظره . ولم يسمع الا ذلك الصوت الرائع ،
صوتها وما أجدره أن يكون أعظم ما حققته الانسانية الجاهدة .

وكانت تقول : « وانحدر الحثيون مع الساحل ودخلوا مصر .
ومزجوا دماءهم بدماء القبائل العبرانية فأخذ العبرانيون الانف
الحيثية » .

وتوقفت هيلين عن القراءة والتفتت الى مدرسة التاريخ القديم
قائمة : « هذه نهاية الفصل يامس هيكس »

فقال مس هيكس : « حسنا يا هيلين وشكرا على هذه القراءة
الممتازة . . . اجلسى . »



- ١١ -

خطاب في الانف الانسانية

انتظرت مس هيكس حتى عادت هيلين الى مقعدها وراحت
تستعرض وجوه تلاميذها ، ثم قالت :
« والآن ، ماذا تعلمنا ؟ »

فأجاب هومير : ان الناس في جميع أنحاء العالم لهم أنوف •
ولم تثر مس هيكس لهذه الاجابة بل أخذتها على علاتها وقالت:
وماذا أيضا ؟

فرد هومير أيضا قائلا : وان الانوف لم تخلق فحسب لنفخها
أو لنصاب بالبرد فيها ، بل لتحفظ كذلك في سجلات التاريخ
القديم •

فانصرفت مس هيكس عن هومير قائلة : غيره ، أرجوكم ، يبدو
أن هومير قد فتن بالانوف •

فقال هومير: ولكنها في الكتاب أليس كذلك ؟ ولماذا يذكرونها
اذن ؟ لابد انها مهمة •

فقال مس هيكس : لعلك اذن يامستر ما كولى تحب أن ترتجل
خطبة عن الانف ؟

فأجاب هومير : « فى الحقيقة . . ليست خطبة بالمعنى
الدقيق . . ولكن التاريخ القديم يعلمنا شيئا » وهذا حديثه وأخذ
فى اصرار لا يستدعيه الموضوع يواصل كلامه : « كان للناس دائما
أنوف ، ولا تتطلب هنا البرهان على هذا الا النظر حولنا الى كل
فرد فى هذا الفصل » . ونظر حوله الى كل فرد ثم قال : فالأنوف هنا
فى كل مكان ؟ . . وتوقف لحظة يبحث عما يمكن أن يقوله أيضا
فى هذا الموضوع ، فلما استقر رأيه استمر قائلا : ولقد يكون
الأنف أكثر أجزاء الوجه الانسانى بعثا على الزراية والاستخفاف ،
وكان دائما مصدرا من مصادر الحرج للجنس البشرى ، وقد
يكون السبب فى أن الحيشين كانوا يوقعون بكل من يتصدى
لهم ، أن أنوفهم كبيرة مقوسة . فليس الذى اخترع المزاويل
الشمسية هو العظيم الخطير الشأن ، اذ لا بد أن يأتى بعده
عاجلا أو آجلا من يخترع الساعات ، أما العظيم الخطير الشأن حقا
فهو الذى له الأنف .

وكان المضحك جو يصغى فى انتباه واعجاب عميق ، ان لم
يكن فى شئ من الحسد ، وهومير يواصل خطابه قائلا : وبعض
الناس يتكلم من أنفه ، وكثيرون يسمع لهم منها شخير ، وقلة قليلة
تصفر أو تغنى من خلالها . ومن الناس من يسحبون من أنوفهم ،
وآخرون يستعملون الأنف فى التصيد والتلصص فى أماكن
عديدة . وكثيرا ما عضت الأنوف الكلاب المجنونة أو المثلون على
الشاشة فى قصص الحب العنيف . وما أكثر ماردت دونها الابواب ،
وما أكثر ما أمسكت بها ضرابات البيض أو القلابات الآلية فى
الحاكي . والأنف ، كالشجرة ، شئ ثابت ، غير أنها مزروعة فى
الرأس المتحرك ، فما أكثر ما حل بها العقاب لانها حملت
الى مكان لم تكن فيه الا متطفلة . وعلى الرغم من أن للأنف
وظيفة طبيعية هى أن تشم ما فى الهواء ، فإن بعض الناس
يشمخون بها استهزاء بأفكار الآخرين وبمسلكهم أو مظهرهم !

والتفت بنظره الى هبرت آكلي الثالث ثم الى هيلين اليوت التي
انحدر أنفها لسبب ما الى اسفل قليلا بدلا من أن يرتفع عاليا
ثم قال : « هؤلاء الناس يرفعون عادة أنوفهم للسماء وكأنما
يحسبون في هذا وسيلة لدحوها . ولأغلب الحيوانات خياشيم تشم
بها ، فالقليل منها له أنوف بالمعنى الذى نفهمه ، غير أن حاسة
الشم فى الحيوان قوية متطورة أكثر مما هى عند الانسان الذى
له الأنف حقا ولا جدال فى ذلك »

وأخذ هومير نفسا عميقا وقد قرآن ينهى خطابه قائلا : « وأهم
شيء عن الأنف على كل حال أنها تسبب المتاعب وتثير الحروب
وتبث الصداقات القديمة وتحطم الكثير من البيوت السعيدة .
مس هيكس ! هل أستطيع الآن أن أذهب للسباق ؟ »

وعلى الرغم من أن مدرسة التاريخ القديم قد أعجبتها هذه
القدرة على الابداع والتخيل فى الحديث عن مثل هذا الموضوع
التافه ، فإنها لم تكن لتسمح بهذا النجاح الذى أحرزه أن
يتدخل فى ضرورة صيانة النظام بفصلها ، فأجابته قائلة : « أنت
يا مستر ماكولى ستبقى هنا بعد انتهاء الدراسة ، وأنت يا مستر
آكلي ! . الآن وقد خلصنا من أمر الأنوف ، أرجو أن يعنى واحد
آخر على ما قرأنا . »

ولكن أحدا لم يخاطر بتعليق ، فعادت مس هيكس تقول : « هيه
.. ماذا جرى .. هيا .. فليعلق أحد غيره .. أى أحد ! »

وأجاب جو المضحك دعوتها قائلا : الأنوف حمراء ، والبنفسجة
زرقاء ، وهذا الفصل ميت ، وأغلب الظن كذلك أنت .

فقالت مس هيكس : أليس هناك أحد غيره ؟

فأجابت فتاة : الملاحون والرحالة المكتشفون لهم عادة أنوف
كبيرة .

فقال جو : كل من له رأسان له أنفان .

وقال أحد المعجبين بجو : لم تطلع الأنف أبدا فى القفا .

فقالت مس هيكس : « غيره .. » والتفتت الى صبي ونادت
اسمه : « هنرى ! »

فأجابها هنرى : « أنا لا أعرف شيئا عن لائونوف »

فالتفت جو الى هنرى قائلا : حسنا .. دع اللاونوف .. من هو موسى ؟

فأجاب هنرى : موسى ذكر فى الانجيل .

فعاد جو يسأله : هل كان له أنف ؟

فأجاب هنرى : طبعا كان له أنف .

فقال جو : حسنا ، جدا .. لم لا تقول هذا ، كان لموسى أنف كبير كأنف الكثير . ألا تعرف أن هذا فصل فى التاريخ القديم ؟ لم لا تحاول بين الحين والآخر أن تكتسب لنفسك شيئا من العلم ؟ موسى واللائونوف ، والتاريخ القديم .. فهمت .. أكمل .

وحاول هنرى أن يكمل ، وقال : موسى واللائونوف .. لا .. انتظر لحظة .. كان أنف موسى أنفا كبيرا .

فقال جو : يا لله ! - أنك لن تتعلم فى حياتك شيئا ولا شك أنك ستموت فى ملجأ .. كان لموسى أنف كبير كأنف الكثير . يجب أن تفهم هذا بوضوح يا هنرى .. فكر .. فكر فيها .. فقالت مس هيكس : كفى هذا الآن .. غيره .

ولكن جو عاد يقول : اليداى أسرع ، والعين أبطأ ، واللائونوف وحدها تجرى .

وتكلم هومير ثانية : مس هيكس لابد أن تدعيني أجرى فى سباق الائنين والعشرين حاجزا للقفز المنخفض .

فقالت مس هيكس : مسألة القفز هذه لاتخصنى أيا كانت .. هيا الآن .. غيره .

فعاد هومير يقول : ألم أحي لك أنا هذا الفصل ؟ ألم أجعلهم جميعا يتكلمون لك عن اللاونوف .. ألم أفعل ذلك ؟

وأجابته مدرسة التاريخ القديم : هذا ليس فى الموضوع .. غيره .

ولكن الوقت كان قد فات ودق الجرس ، فقام الجميع متجهين الى السباق الاهومير ماكولى وهبرت آكلى الثالث .



- ١٢ -

سباق الاثنين والعشرين حاجزا للقفز المنخفض

وقف مدرب الصبية الرياضى بمدرسة ايتاكا العليا فى غرفة مكتب ناظر المدرسة • وكان اسم أسرة هذا الناظر اسما عجيبا هو « اك » وهو اسم لم يفت المحرر الشهير روبرت ريبلى أن يعلق عليه برسم فكاهى فى احدى الصحف اليومية تحت عنوان « صدق أولاتصدق » • أما اسم مستر « اك » نفسه فقد كان أوسكار وهو كما ترى لا يسترعى الانتباه •

وقال ناظر مدرسة ايتاكا العليا للمدرب المدرسة : « ان مسر هيكس تعد أكبر المدرسين هنا كما انها تفضل بمراحل أى مدرس آخر عمل بهذه المدرسة • وكانت مدرستى عندما حضرت مدرسة ايتاكا العليا كما انها كانت مدرستك أنت أيضا يا مستر بايفيلد • وأخشى أن أقول اننى لأحب أن أخطأها فى أمر عقاب تلميذين عاصيين • »

فقال المدرب : ولكن هبرت آكلى الثالث ليس نلميذا عاصيا •

فيما يتعلق بهومير ماكولى . . حما هذا صحيح ، أما هبرت آكلى
.. فلا . انه مثال الجنتلمان الصغير .

فأجاب الناظر: نعم ، نعم أعرف ان هبرت آكلى من أسرة ثرية ،
ولكن اذا كانت مس هيكس قد أمرته أن يبقى بالمدرسة فهو محجوز
محجوز لاشك فى هذا . انه مثال الجنتلمان الصغير ، أنا لاأختلف
معك فى هذا ، وكان أبوه كاملا . نعم أنا أذكره .. بل كان مثال
الكمال ، كل هذا لاجدال فيه ، ولكن مس هيكس هى مدرسة
التاريخ القديم ولم يعرف عنها أبدا انها عاقبت تلميذا لا يستحق
العقاب . فليقنع اذن هبرت آكلى بأن يجرى السباق فى فرصة
أخرى .

وأحس الناظر ان الموضوع قد انتهى الآن تماما ، واستدار
المدرّب مغادرا المكتب . غير انه لم يذهب الى أرض اللعب بل اتجه
الى غرفة الدراسة فى قسم التاريخ القديم . ووجد هناك
هوميرو هبرت ومس هيكس فانحنى محيا 'إلى مدرسة العجوز وابتسم
قائلا : «مس هيكس ، لقد تكلمت فى هذا الامر مع مستر « اك » »

وكانت عبارته تتضمن أنه حصل على ترخيص باطلاق سراح
هبرت آكلى الثالث ، الا أن هوميرو قفز واقفا على قدميه وكأنما هو
المقصود بالامر . ولكن المدرّب قال له باحتقار : «أنت .. لا .. !»
والتفت الى الصبي الآخر داعيا مستر آكلى ! »

فالتفت اليه مدرسة التاريخ القديم وقالت : ماذا تعنى ؟

فأجاب المدرّب : ان مستر آكلى لابد أن يرتدى الآن مباشرة ملابس
اللعب كى يجرى فى سباق الاثنين والعشرين حاجزا للقفز المنخفض ،
فنحن ننتظره هناك !

فقال هوميرو وقد عصفت به ثورة صداقة لكرامته :
صحيح ... ؟ وأنا .. مستر ماكولى ؟ ! .. ماذا عنه ؟ ولم يجب
المدرّب بل سار خارجا من الغرفة يتبعه الشاب هبرت آكلى الثالث
مضطربا مرتبكا .

وصاح هوميرو : رأيت هذا يا مس هيكس .. أليس هذا
محاياة ؟

غير أن مدرسة التاريخ القديم كان قد أربكها وأثارها ماحدث فلم تكن تستطيع الا أن تتكلم هامسة في هدوء : « مستر بايفيلد لا يصلح الا لان يعلم الرياضة لنبهائهم أمثاله » . وتوقفت لحظة لتدرك أنه لم يكن يجدر بها أن تلقى هذه الملاحظة ، ثم قالت : « انى أسفة ، ولكن الرجل ليس جاهلا فحسب بل انه كذاب أيضا » . وكان من الممتع أن يرى المرء مس هيكس وقد تملكتهها هذه المرارة الطبيعية التى لم تستطع أن تتحكم فيها ، فامتلا هومير احساسا بأنها أفضل مدرسة فى العالم ، وقال : اننى لم أحبه أبدا ، ومن الجميل حقان أعرف انك لا تحبينه أيضا .

فقالت مس هيكس : لقد درست التاريخ القديم بمدرسة ايتاكا العليا خمسة وثلاثين عاما كنت فيها الام التى ربت المئات من صبيان ايتاكا وبناتها . وقد علمت أخاك ماركوس وأختك بس ، ولو أن لك اخوة أو أخوات صغارا فى البيت فسأعلمهم هم أيضا يوما ما .

فأجاب هومير : ليس لى الا أخ واحد اسمه يوليسس . كيف كان حال ماركوس وهو فى المدرسة ؟ وردت عليه مس هيكس : كان كل من ماركوس وبس تلميذين طيبين صادقين ، مهذبين متحضرين . نعم . . . كانا مهذبين متحضرين . وأكدت هذه الكلمات الأخيرة وهى تكررهما فى اهتمام شديد : ان سلوك الاجيال القديمة قد جعلهم مهذبين متحضرين منذ طفولتهم . وقد كان ماركوس مثلك أحيانا يتكلم من غير اذن ولكنه لم يكذب أبدا . أما الآن ، فان هذه الكائنات الانسانية الدنيا من أمثال بايفيلد فى هذا الزمن . . . أولئك الذين لم يكونوا أبدا الا جماعة من الحمقى . . . انهم يحسبوننى امرأة عجوزا لا أفهم . . . لقد جاء الرجل الى هنا وكذب على عمدا ، نعم يكذب ، تماما كما كان يفعل مرة بعد أخرى وهو صبي يجلس أمامى هنا فى الفصل . انه لم يتعلم شيئا الا أن يتملق بلا حياء أولئك الذين يحس أنهم يعلون عليه » .

فقال هومير يستحث مدرسة التاريخ القديم كى تواصل نقدها : كذلك اذن ؟!

واستمرت هي تقول : لقد عرفت في حياتي الكثير من
أفاضل الناس حقا الذين غمرهم وأساء اليهم أمثال هذا الرجل
.. نعم أمثاله الذين يمضون حياتهم يكذبون ويخسعون
فيحجبون أولئك الذين تكبر نفوسهم على مثل هذا السلوك ،
سباق الاثنين والعشرين حاجزا للقفز المنخفض .. حقا .. انه
منخفض وكان التأثير والالم من الاساءة قد بلغ بمدرسة التاريخ
القديم حدا كبيرا ، فنفخت في أنفها وراحت تمسح عينيها ،
فقال لها هوميرو : « أوه ، مس هيكس ، لا تغضبي هكذا ..
سأبقى أنا محجورا .. عاقبيني أنا لأنني تكلمت بغير إذن . أظن
أنني أستحق هذا ، ولكنني منذ الآن سأحاول أن أكون طيبا
مطيعا . انني لم أكن أتصور أبدا أن المدرسين أناس كبقية الناس ،
بل اهتم ايضا قد يفضلونهم جميعا . مس هيكس لا تغضبي
وعاقبيني أنا » .

فردت مدرسة التاريخ القديم « انني لم أستيقظ هنا ياهوميرو
ماكولي لكي أعاقبك ، وأنا لم أستبق دائما الا أولئك الذين
أهتم بهم أكثر من غيرهم .. استبقيتهم كي أكون أقرب اليهم ،
وما زلت أعتقد أنني لم أخطئ في تقديري لهبرت آكلي ، فانه
لم يعصني الا لان مستر بايفيلد جعله يفعل ذلك . وقد كان عزمي
على أية حال أن أترككما تذهبان بعد لحظة الى الملعب ، فأنت لم
تستبق هنا للعقاب بل للتربية ، انني أرقب دائما النمو في نفوس
أطفالي الذين يحضرون دروسي ، وأمتلي سعادة بكل دليل جديد
على هذا النمو . ولقد اعتذرت أنت لهبرت آكلي ، وعلى الرغم
من أن اعتذارك قد أربكه لأنه جعله يبدو وكأنه لا يستحقه ،
فانه قبله في نبالة وأدب . وقصدت أن استبقيكما بعد انتهاء الدراسة
لاني أردت أن أحدثكما معا ، فأحدثكما من عائلة طيبة غنية
والآخر من عائلة طيبة فقيرة . ولقد يكون المضي في هذا العالم
والنمو فيه أصعب عليه مما هو عليك ، ولذا أردت أن تزاد معرفتكما
الواحد للآخر وأن تصبح هذه المعرفة أفضل .. ان هذا أمر
هام جدا ، نعم .. كنت أريد أن أتحدث اليكما معا . »

وقال هومير : أعتقد أنني أحب هيرت ، ولكن كل ما فى الامر
انه يبدو لى كأنه يرى نفسه أفضل الاولاد جميعا .

فقالت مدرسة التاريخ القديم : نعم ، أنا أعرف ما تقول وأفهم
شعورك تماما ، ولكن ، لا بد أن يكون كل واحد فى هذه الدنيا
أفضل من واحد آخر وأقل من ثالث غيره . فجوتيرانوفا مثلا
أذكى وألبق من هيرت ، ولكن هيرت لا يقل عنه صدقا وأمانة
بطريقته هو الخاصة . وفى البلد الديمقراطى يتساوى الافراد
جميعا ما دام كل واحد منهم يؤدى واجبه فى حدود جهده ، أما
وراء ذلك فكل انسان حر أن يزيد أولا يزيد قدرته على عمل
الحير ، وأن ينمى نفسه كما يريد فى النبالة والخير أو فى الحماقة
والحرق . وانى حريصة كل الحرص على أن يجهد أولادى
وبنائى فى عمل الخير ، وعلى أن ينموا بأنفسهم نبلا ، أخيارا . أما
مظهرهم وما يبدوون به فهذا لا يهمنى على الإطلاق ، فأنا
لا أجد بالتأق فى السلوك ولا أفزع من التصرف الجاف الخشن ،
وانما يهمنى حقا ذلك الذى يكمن وراء كل هذا . أنا لا يعينى
أبدا أن يكون أحد أطفالى غنيا أو فقيرا ، من الكاثوليك أو
البروتستانت أو اليهود ، ابيض أو أسود أو أصفر ، ذكيا أو
بطيء الفهم ، عبقرى أو ساذجا . أنا لا يعينى أن يكون هذا كله
ما دامت فيه انسانية ، وما دام له قلب يحب الحق والشرف ،
ويستطيع الاحترام لمن هم أقل منه والحب لمن يعملون عليه . فما
دام الاطفال فى فضلى أناسى ، فأنا لا أريد لهم أن يتشابهوا
فى انسانياتهم . كل ما أريده ألا تكون نفوسهم فاسدة ، أما ما وراء
ذلك ، فكل فرق بينهم لا يعينى ، بل اننى لا أريد ألا أن يظهر كل
منهم على حقيقته ، وألا يكون الانفسه هو فحسب . أنا لا أطلب
منك يا هومير أبدا أن تتشبه بآخر أو أن تسلك سلوك غيرك لمجرد
ادخال السرور الى قلبى أو تخفيف عبء العمل على . اننى
سأمل وأصجر ، لو أننى دخلت فضلى فوجدته مليئا بفتيات
كاملات وفتيان كاملين !! اريد أطفالى ان يكونوا بشرا ، وان
يكون كل منهم كائنا خاصا ، مستقلا منفصلا له فى نفسه جدة
المغايرة وروعة الاختلاف عن الآخرين جميعا . كنت أريد

هبرت آكلي ان يستمع معك الى هذا ، وأن يفهم معك أنكما اذا
كنتما لايحب احكما الآخر ، فهذا أمر طبيعي . كنت أريده
أن يعرف أنه لن تكمل لأى منكما انسانية حقا حتى تستطيعا أن
يحترم كل منكما الآخر رغما عن الكراهية الطبيعية بينكما . ذلك
هو المعنى الحقيقي لأن يكون الانسان مهذبا متحضرا ، وهذا
ما علينا ان نتعلمه من دراسة التاريخ القديم . وتوقفت
المدرسة لحظة وراحت تنظر الى الصبي الذى كان على وشك أن
يبكى لسبب لا يدرىه حتى هو نفسه ، ثم عادت تقول : « اننى
سعيدة لأنى تحدثت اليك أنت بالذات وليس لأى واحد آخر
من الذين أعرفهم ، فأنا ، عندما تكبر أنت وتترك هذه المدرسة
ويمر وقت طويل حتى تكون فيه قد نسيتنى ، سأظل أرقبك
وأتابع حياتك فى الدنيا ، ولن أدهش أبدا لكل ما أعرف أنك
ستحققه من أعمال طيبة » . ومخطت مدرسة التاريخ القديم
أنفها من جديد ومست عيونها بمندبلها ثم قالت له : « يمكنك
ان تجرى الآن الى الملعب ، وسابق هبرت آكلي فى سباق
الاثنين والعشرين حزا . واذا لم يكن لديك من الوقت ما يكفى
لأن تبديل ملابسك وترتدى ملابس الملعب ، فادخل السباق
كما أنت ولو ضحك الناس عليك جميعا . فلن تصل الى مرمك
فى هذه الحياة الدنيا قبل ان تسمع مثل هذه النضحكات كثيرا ،
ولن تكون هذه النضحكات من الناس فحسب ، بل ان الاشياء
الجامدة نفسها ستضحك ساخرة منك تريد أن تزيكك وتعوقك . .
ولكننى أعرف أنك لن تهتم لمثل هذه النضحكات » . وتنهدت
المدرسة وقالت متعة : « لتجر الآن الى الملعب يا هومير ماکولى ،
فانى سأرقبك »

واستدار الابن الثانى لاسرة ماکولى التى تسكن طريق ساننا
كلارا بايتاكا من كاليفورنيا وسار مغادرا الحجرة .

وفى الملعب كان هبرت آكلي ومعه الصبية الثلاثة الذين
سابقوه فى هذا الصباح قد اتخذوا أماكنهم بين الخطوط
استعدادا لسباق الاثنين والعشرين حزا . ووصل هومير
الى المكان الخامس فى الوقت الذى رفع فيه حامل المسدس ذراعه

لاطلاق اشارة البدء ، وأسرع فوقف مع بقية المتسابقين عند الخط . واستشعر هومير قدرا كبيرا من الرضا ولكنه كان مع ذلك غاضبا جدا ، غير أنه على أية حال يؤمن ايمانا قاطعا ان هذا الخداء ، وهذه الملابس التي لا تصلح للعب ، وأن افتقاره للمران والتدريب ، بل ان أى شيء آخر فى هذا الوجود لا يمكن ان يعوقه عن كسب هذا السباق ... أنه سيكسبه لأن هذا أمر طبيعى لأجدال فيه .

والتفت اليه هبرت آكلى الواقف فى المكان المجاور له وقال :
انك لن تستطيع أن تشترك فى السباق وأنت .. هكذا ..

فقال هومير : لا أستطيع ؟ ! ... انتظر ... فسترى .

والتفت مستر بايفيلد الجالس على المنصة العالية وسأل رجلا بجواره :

« من هذا الذى يقف مستعدا فى المكان الاخير دون ملابس المتعب ؟ »

ولكن دون ان ينتظر الاجابة تذكر من يكون . وصمم على أن يوقف السباق كي يستبعد العداء الخامس ، ولكن الوقت كان قد فات ، فقد أطلقت الرصاصات وانطلق معها العداءون . وعند الحاجز الاول كان هومير وهبرت يتقدمان الآخرين قليلا ، ثم قفز كل منهما فى رشاقة واضحة . وعند الحاجز الثانى كان هومير قد سبق هبرت قليلا وظل يتقدمه قافزا محتازا قبله الحاجز الثالث والرابع والخامس والسادس فالسابع ، حتى الحاجز الثامن . غير أن هبرت آكلى كان وراءه بمسافة صغيرة جدا ، فكان يستطيع ان يتبادلا كلمات قصارا وهما يعدوان . فعندما كانا على الحاجز الاول صاح هبرت : أين تعلمت أن تجرى هكذا ؟

وأجابه هومير : أبدا .. أنا أعلم الآن .

وعند الحاجز التالى عاد هبرت يقول : لماذا العجلة ؟ انك تجرى بسرعة جدا .

وقال هومير : سأكسب السباق .

وكانا قد وصلا الحاجز الثالث فقال آكلى : من قال هذا ؟

وأجابه هومير وهو يقفز على الرابع : أنا .

وعند الحاجز الخامس قال هبرت : « أبطيء . ان هذا سباق طويل ، وستتعب » ، ثم صاح فجأة :

« أوه .. انتبه .. بايفيلد قادم » .

ووصل هومير الحاجز التاسع فى ذات الوقت الذى وصل اليه فيه مدرب مدرسة ايتاكا العليا قادمًا من الاتجاه المضاد . ولكن هومير على الرغم من هذا قفز ، واستقر من قفزه تماثلي ذراعى المدرب المفتوحتين ، فسقط الصبى والرجل معًا على الأرض ، وتوقف هبرت آكلى عن الجرى والتفت الى العدائين الآخرين صائحا : « قفوا حيث أنتم . انتظروا حتى يقوم ، انه يجرى سباقا طيبا ، وقد تعطل » . ولكن هومير انتصب من سقطته سريعا وواصل جريه فورا . وفى اللحظة التى انطلق فيها انطلق معه العدائون جميعا .

وتعجب كل من فى المدرج حتى هيلين اليوت ، مما حدث فى السباق . أما مس هيكس فقد كانت عند نهاية السباق تلوح مشجعة للصبية جميعا واحدا بعد الآخر : « هيا يا هومير .. هبرت .. هيا .. أسرع ياسام ! .. جورج ! .. هنرى ! » وعند الحاجز قبل الاخير لحق هبرت آكلى بهومير ماكولى وقال له : لا تؤاخذنى .. أنا مضطرب !

فقال هومير : تقدم .. ان استطعت .

وتقدم هبرت آكلى على هومير قليلا عندما شارف الشوط منتهاه ولم يعد هناك مجال لتقدم جديد . ولم يقفز هومير الحاجز الاخير ولكنه كاد أن يلحق تماما بالعداء الاول ، وأنهى الاثنان السباق فى وقت متقارب جدا حتى لم يعد أحد يستطيع أن يعرف من الذى كسب السباق ، أهو هبرت آكلى أم هومير ماكولى . وبعد وصولهما بقليل الى غاية السباق قدم سام فجورج فهنرى ، وجمعتهم مس هيكس مدرسة التاريخ القديم امامها وقالت لهم : أنتم جميعا تعدون عدوا مدهشا !

وقال لها هبرت آكلى : أنا آسف يا مس هيكس ، كان
من الواجب على أن أظل محجوزا مع هومير .

فقالت مس هيكس : دع هذا الآن ، لقد كان جميلا منك أن
تنتظر هومير عندما تعطل حتى يقوم .

وقدم مدرب مدرسة ايتاكا العليا غاضبا ممرورا قد أذهلته
السقطة التى نالها بعض الشيء ، واتجه عاديا نحو المجموعة
التي جمعتها مس هيكس حولها، وعندما أصبح على بعد خمس
عشرة ياردة منهم صاح قائلا : ماكولى . . بناء على ما فعلت
الآن ، ستحرم بقية هذا الفصل الدراسى من حق الاشتراك فى
أى نشاط رياضى تقوم به المدرسة . ولما وصل اليهم أخيرا
وقف المدرب ينظر محمقا فى غضب الى هومير ماكولى .
فالتفت اليه مدرسة التاريخ القديم وقالت: لماذا تعاقب هومير
ماكولى الآن يا مستر بايفيلد ؟

فأجابها المدرب : لاتؤاخذينى يا مس هيكس ، أظن اننى قادر
على أن اتخذ قراراتى دون مساعدة قسم التاريخ القديم .
والتفت الى هومير قائلا : أفهمت ؟

فأجاب هومير : نعم يا سيدى .

فعاد بايفيلد يقول : والآن اذهب الى مكتبى وانتظر هناك
حتى أمرك بالانصراف .

فقال هومير : "كتبك ؟ . . ولكنى مضطر أن اذهب الى . ."
وتذكر فجأة أن عليه أن يكون فى عمله الساعة الرابعة ،
فسأل : كم الساعة الآن ؟

ونظر هبرت آكلى الى ساعة يده وقال : الرابعة الا ربعا .

ولكن بايفيلد صاح : اذهب الى مكتبى .

فقال هومير : أنك لا تعرف . . يا مستر بايفيلد . . فانا
هلى أن أكون فى مكان ما وسأأتأخر .

وقدم جو تيرانوفا فدخل بين الجماعة وقال: ولماذا يبقى هومير
بعد المدرسة ، انه لم يرتكب خطأ .

وكان المدرب قد تحمل أكثر مما يستطيع فصاح صارخا في جو : أفعل انت فمك الطلياني القدر !

ودفع الصبي فراح يتعثر زاحفا على الارض ، ولكن جو قبل ان يقع صاح مستنكرا : الطلياني القدر ؟

وفي الوقت ذاته هاجم هومير المدرب وكانهما يلعبان الكرة قائلا له : لا أسمع لك أن تشتم واحدا من أصدقائي .

فلما سقط هومير وبايفيلد مرة أخرى على الارض ، كان جو تيرانوفا قد قام واقفا وقفز في ثورة على بايفيلد فاخبل توازن الرجل وتباعدت أطرافه على أرض المكان كله . وجاء ناظر المدرسة مستر ألك يعدو مبهورا لانفاس مذهولا وصاح : «ياسادة .. يا أولادى .. يا أولادى ..» وانتزع جو تيرانوفا من فوق المدرب الرياضي الذى ظل كما كان على الارض لا يريد أن يقوم !

وسأله ناظر المدرسة : مامعنى هذا السلوك الشاذ يا مستر بايفيلد ؟!

ولم يستطع بايفيلد أن يتكلم بل أشار بيده الى مس هيكس ، فوقفت هذه عند رأس الرجل وقالت : «لقد نصحتك أكثر من مرة يا مستر بايفيلد ألا تتحكم فى الناس وتأمر فيهم فهم لا يحبون ذلك » . والتفتت الى ناظر المدرسة قائلة : على مستر بايفيلد أن يعتذر لجو تيرانوفا ..

فقال مستر ألك : هكذا ! ذن يا مستر بايفيلد ..؟!

فعادت مس هيكس تقول : ان أهل جو من ايطاليا ولا يصح أن تنسب اليهم القذارة .

ولكن جو قال : ليس هو بحاجة أن يعتذر الي ، انه اذا شتمنى مرة أخرى فسأحطم له فمه وان لم أقدر أنا على ضربه فسأستعدي احوتى ..

فصاحت فيه مس هيكس : « جوزيف !! .. يجب عليك أن تعطى مستر بايفيلد الفرصة كي يعتذر . انه لا يعتذر لك ولا لأهلك ، انه يعتذر لبلدنا نحن جميعا ، ويجب عليك أن تعطيه الحق فى أن يحاول مرة أخرى أن يكون أمريكيا » .

وأمن على قولها الناظر : « نعم هذا صحيح .. نحن في أمريكا ،
والاغراب فيها فقط هم الذين ينسون أنها أمريكا » والتفت الى
الرجل الذي ما زال مبعثرا على الارض وقال آمرا : « مستر
بايفيلد ! »

فانتصب مدرب مدرسة ايتاكا العليا واقفا على قدميه ، وقال
غير موجه الحديث لأحد بالذات : أنا أعذر ... ، ثم انصرف
مسرعا .

واتجه جوتيرانوفا وهومير ماكولى منصرفين معا ، أحدهما ،
جو ، يسير بخطوات عادية لم يصبها شيء ، والاخر هومير ،
يعرج فقد أصيبت ساقه اليسرى عندما كان بايفيلد يحاول أن
يوقفه .

أما مس هيكس ومستر اك فقد التفتا الى المجموعة الكبيرة
من الصبية والفتيات الذين كانوا قد تجمعوا حولهم وبلغ عددهم
الثلاثين أو الأربعين يمثلون نماذج عديدة وقوميات كثيرة مختلفة ،
ثم قالت لهم مس هيكس : « كفى الآن .. انصرفوا .. وعودوا
الى أهلکم . »

ولاحظت أن الاطفال مضطربون مدهوشون . فقالت لهم :
هيه .. ابتسموا .. ولا تنزعجوا .. فلم يحدث شيء .

وأمن ناظر المدرسة من جديد : نعم .. ابتسموا .. فلن
تستمر الحرب الى الابد .

وتوزع الاطفال في مجموعات صغيرة وساروا منصرفين .



- ١٣ -

يا الهى ، الفخ ! الفخ !

فى الوقت الذى كان فيه هومير ماكولى يتأرجح على دراجته مندفعاً بها بأسرع ما يستطيع كي يصل الى عمله ، دخل رجل يدعى بيج كريس الضخم الى مخزن الادوات الرياضية الذى يمتلكه كوفنجتون فى شارع تولير . وكان الرجل ضخماً طويلاً صلب العود مفتولاً ، ذا لحية شقراء طويلة ، قد هبط حديثاً من الجبال حول (بيدرا) يتمون من طعام المدينة ويشترى شبتاً من الرصاص لسلحه والفخاخ لصيده . وبدأ مستر كوفنجتون صاحب المخزن ومؤمسه يعرض مباشرة على بيج كريس فخاً جديداً مركباً نوعاً ما ، قد اخترعه رجل من فراينت . وكان الفخ كبيراً معقداً قد صنع من الصلب وخشب الليمون ، به أكثر من زئبرك وعدد من الجبال . ويبدو أن الفكرة وراء الفخ أنه يمسك بالحيوان فيرفعه الى أعلى ويلقيه ويمسك به حتى يعود الصائد .

وقال مستر كوفنجتون : انه فكرة جديدة تماما ابتدعها رجل اسمه سافرتي من مدينة فراينت . وقد قدم فعلا طلبا لتسجيل اختراعه ، ولم يصنع منه حتى الآن غير فخين فقط ، أرسل أحدهما وهو نموذج مصغر مع طلب التسجيل ، وأرسل لي الآخر كي أبيع . والفخ كما ترى يصلح لأي نوع من الحيوانات التي تسير على الأرض ، وقد أسماه مستر سافرتي « فخ سافرتي لصيد حيوانات الأرض جميعا ، يرفعها إلى أعلى ، ويؤرجح أجسامها شمالا ويمينا ، ويظل قابضا عليها » وهو يطلب عشرين دولارا ثمنا له . ولا شك أن الفخ لم يجرب بعد ولكنه كما ترى ، يستطيع ، فيما أظن ، أن يرفع دون أدنى صعوبة دبا كبيرا ناميا وأن يمسك به .

وكان بيج كريس يستمتع لصاحب مخزن الأدوات الرياضية كما لو أنه طفل ، غير أن يوليسس ماكولي كان يقف وراءه يستمع هو الآخر في لذة لا تقل عن لذته ، وقد حشر نفسه بين الرجلين ليحصل على مكان أفضل يتفرج منه على الفخ . وكان مستر كوفنجتون يعتقد أن يوليسس قد جاء إلى المحل مع بيج كريس على حين اعتقد بيج كريس أنه يتبع مستر كوفنجتون ، فلم يكن لديهما معا ما يدعو للتساؤل أو الاستفسار عن وجود الصبي . أما يوليسس نفسه فقد كان يعتقد ، كما اعتقد دائما ، أنه ينتمي إلى كل مكان يجد فيه ما يتفرج عليه أو يثير اهتمامه !

وعاد كوفنجتون يقول : وأهم ما في هذا الفخ أنه لا يضر بالحيوان أبد ابل يحتفظ بفرائه دون أدنى إصابة . ومستر سافرتي نفسه يضمن الفخ أحد عشر عاما ، ويسرى الضمان على جميع أجزائه . مرونة الخشب ، فهو خشب ليمون ، وقوة احتمال كل زنبرك فيه ، وصلابة الصلب ، ومتانة الحبال . . . وكل جزء آخر . وهو يعتقد ، وأن لم يكن هو نفسه صيادا ، أن هذا الفخ هو أضمن فخ في الدنيا وأكثرها إنسانية : انه رجل هرم قد أشرف على السبعين يعيش منعزلا في فراينت يقرأ الكتب ويخترع أشياء كثيرة . وقد بلغ مجموع ما اخترعه حتى الآن سبعة وثلاثين جهازا كل أداة منها نافعة عملية .

وتوقف مستر ، كوفنجتون عن حريك أجزاء الفخ وقال : أظن
أن الفخ قد أعد الآن .

وزحمهم يوليسس كى يتفرج ولكنه كان قد تقدم أكثر مما
يجب ، فأقفل عليه الفخ فى لطف تام ولكن فى سرعة خاطفة ، ورفع
قدميه من الأرض وتأرجح به شمالا ويمينا وأمسك بك على ارتفاع
ثلاثة أقدام مبسوطا راقدا فى وضع أفقى . ولم يصدر عن
الصبى أى صوت وان بدا عليه شئ من الدهشة والذهول
الخفيف . الا أن بيچ كريس لم يأخذ الأمر على هذا النحو من
السهولة ، فقد صاح فى كوفنجتون : هيه . . احترس
أنا لا أريد أن يصيب ابنك ضرر .

فقال كوفنجتون : ابنى ؟! كنت أظنه ابنك أنت ، فأنى لم أر
الصبى فى حياتى أبدا ، وهو قد دخل المحل معك .

فقال بيچ كريس : حقا ؟ أنا لم ألاحظ ذلك . وعلى كل حال ،
اسرع الآن وخلصه من الفخ . . أخرجه .

فقال كوفنجتون : نعم . . فلنخرجه .

ولكن بيچ كريس كان قلقا مضطربا وراح يقول للصبى :
ما أسمك يا بنى ؟

فقال الصبى من الفخ : يوليسس .

فواصل الرجل الذى جاء من الجبال حديثه الى الصبى : « أنا
اسمى بيچ كريس . كل ما عليك الآن أن تمسك هنا جيدا ،
وهذا الرجل سيخرجك وسيضعك سالما على الأرض » . والتفت
بيچ كريس الى مستر كوفنجتون وقال : هيا الآن . . أخرج
الصبى . . خله !!

غير أن مستر كوفنجتون كان مضطربا مربوكا كبيچ كريس
تماما ، وما لبث أن قال : كل ما هناك أننى لا أستطيع أن
أتذكر كيف وصف لى مستر سافرتى هذا الجزء من عمل الفخ .
فهو لم يجربه أمامى ، لاننا . . كما تعرف . . . لم يكن لدينا
ما نجرب الفخ عليه . لقد وصف لى مستر سافرتى عمل الفخ . . .

وأعتقد أن هذا الجزء يتحرك الى الخارج ٠٠٠ لا ٠٠٠ يبدو أنه ثابت .

وفي هذا الوقت كان مستر كوثنجتون وبيج كريس قد شغلا معا بالفخ ، فأمسك بيج كريس بيوليسس كي لا يقع على وجهه اذا ما انفتح الفخ فجأة ، وراح الرجل الآخر يعبت بأجزاء الجهاز المختلفة عسى أن يلين أحدها في يده .

وقال بيج كريس : هيه ٠٠ أسرع الآن ، هل سنبقى الصبي هكذا معلقا طول النهار ، انك لم تصب بشيء يا يوليسس ، أليس كذلك ؟ »

فقال يوليسس : لا ياسيدى ٠٠

فقال بيج كريس : اذن استمر قابضا هنا بشدة فسنخرجك من هذا الفخ حالا ٠٠

ثم نظر الى الصبي وعاد يسأله : ماذا جعلك تحشر نفسك هنا ؟

فقال يوليسس : كنت أتفرج .

فرد عليه بيج كريس : لك الحق ٠٠ انها آلة مذهشة حقا ٠٠ والآن سيخلصك هذا الرجل وأنا سأمسكك حتى لا تقع . كم عمرك ؟

فأجابه يوليسس : أربع سنين .

فقال كريس الضخم : أربع سنين ٠٠ أنظر أنا أكبر منك بخمسين عاما . ان هذا الرجل سيخلصك الآن حالا ٠٠ أليس كذلك ؟ . والتفت بيج كريس الى مستر كوثنجتون يسأله : « ما اسمك ؟ »

فقال مستر كوثنجتون : والتر كوثنجتون ٠٠ صاحب هذا المخزن .

فرد بيج كريس : جميل جدا ٠٠ والآن ، خلص الصبي من الفخ يا والتر ٠٠ حاول أن تحرك هذه الحشبة ٠٠ فأنا ممسك به . لا تفزع يا يوليسس ، ما اسم أبيك ؟

فقال يوليسس : ماتيو

فعاد بيع كريس يقول : محظوظ أبوك هذا أن يكون له صبي
مثلك ، ان عيونه مفتوحة حقاً ، فأنا مستعد أن أضحي بالعالم كله
يا يوليسس كي يكون لي صبي مثلك ، ولكنى لم أعثر أبداً على
المرأة الصالحة ، لقد التقيت بفتاة منذ ثلاثين عاماً فى أو كلاهما
ولكنها ذهبت مع رجل آخر . هل اهتديت الى طريقة لفتح الفخ
يا والتر ؟

فأجاب مستر كوفنجتون : لآلم أجدها بعد .. ولكنى أظن أننى
سأفعل .. أعتقد أن هذا الجزء .. لا . أنا متأكد أن مستر
سافرتى قد شرح لى كيفية اخراج الحيوان من الفخ ولكن يبدو أننى
لا أستطيع أن أتذكر الحيلة . ألا تظن أن الفكرة فى فتح الفخ قد
تغير اذا كان الصيد طفلاً صغيراً وليس حيواناً ؟

وفى ذلك الوقت كان قد تجمع بالمخزن رجلان وامرأة معها
طفلة صغيرة وصبيان فى التاسعة أو العاشرة ، دخلوا جميعاً المحل
يشاهدون ما جرى .

وقال أحد الصبية : ماذا جرى ؟

فأجاب مستر كوفنجتون : عندنا فخ هنا أمسك بصبي صغير
اسمه يوليسس .

فقال أحد الرجلين : وكيف دخل فيه .. هل استدعى
الطبيب ؟ .

فأجاب بيع كريس : لا ، انه لم يصب بشيء .. ان الصبي
بخير تماماً وكل ما فى الامر أنه ليس على قدميه .

وقالت المرأة : أظن من الواجب عليك أن تستدعى البوليس .

فقال بيع كريس : لا ياسيدتى .. كل ما فى الامر أن الفخ
أمسك به .. وهذا الرجل .. والتر .. سيخلص الصبي .

فقال المرأة : على الله .. كم يقاسى أولئك الاطفال الصغار
من هذه الحيل الميكانيكية السخيفة .

فرد بيع كريس : ولكن الصبي ياسيدتى بخير .. انه
لا يقاسى شيئاً .

فقلت المرأة : أرجو هذا ، ولكن لو كان ابني لما انتظرت عليك دقيقتين قبل أن أستدعى لك ابوليس ، وتصرفت عنهم مغضبة وشدت طفلتها وراءها . ولكن الطفلة راحت تبكي وهى تقول : اتفرج .. اتفرج !! كلهم تفرجوا الا أنا . ولكن المرأة التفت اليها وهزتها بشدة وسحبته خارج المحل .

وعاد بيچ كريس يقول . لا تفرع يا يوليسس أبدا ، اننا سنخرجك حالا من هذا المكان .

غير أن مسركوثنجتون كان قد يؤس تماما وقال : نظن أن من الافضل ان اتصل بمسترسافرتى تليفونيا فانا لا أستطيع أن أخرج الصبى .

فتساءل يوليسس : هل سأتبقى هنا ؟ .

فأجابه بيچ كريس : لا يا بنى .. لن تبقى .. سنخرجك .

ودخل المخزن صبى يحمل عددا من جرائد المساء تحت ابطه ، وازدحم في الجمع ثم نظر الى يوليسس وللناس من حوله ، وعاد ينظر ليوليسس من جديد ثم تكلم قائلا : هالو يوليسس .. ماذا تعمل هنا ؟

فأجاب يوليسس : هالو .. أوجى .. انى حبيس ..

فسأله أوجى : لماذا ؟

فقال يوليسس : وقعت فى الفخ .

وحاول بائع الجرائد أن يساعد بيچ كريس ولكنه لم يفعل الا أن أعاقه ووقف فى طريقه ، فراح ينظر حوله وقد تملكه الفزع حتى شل حركته ، وظل متحيرا مرتبكا لحظة ثم اندفع فجأة عاديا الى الطريق . وجرى الصبى الى مكتب التلغراف ، ولكنه لم يجد هومير هناك ، فانطلق مرة أخرى فى الطريق يعدو فى هذا الاتجاه ثم يستدير فجأة ويجرى فى الاتجاه الآخر مصطلما بالناس مصرا على أية حال أن يظل ينادى صارخا بأسطر الاخبار الاولى .

وقالت امرأة ممن صدمهم أوجى : قد جن .. جن من حرصه على بيع الجرائد .

ولكن أوجى ظل يجرى حتى وصل مفرق طرق وعبر الشارع حتى منتصفه ، ووقف يلفت حوله في كل اتجاه بحثا عن هومير . وكان من المعجز أن يظهر هومير في هذه اللحظة ، ولكن هذا ما حدث تماما ، فقد رآه أوجى يستدير بدراجته عند الناصية ، فجرى ناحيته صارخا وراءه بكل ما فيه من قوة : هومير .. !! تعال حالا .. مر مهم .. أمرهم !

فترجل هومير من دراجته وقال : أوجى ، ماذا حدث ؟ وظل أوجى يصرخ بأعلى صوته على الرغم من أن هومير قد أصبح إلى جانبه تماما . قد حدث حادث .. هومير ، يجب أن تأتي معي .

وعاد هومير يسأله : ولكن ماذا حدث ؟

فقال أوجى : في محل كوئنجتون .. أسرع ، يجب أن تأتي .. فقال هومير : آه .. اسمع يا أوجى .. هل أنت تريد أن تريني جهازا للصيد أو سلاحا يعرضه كوئنجتون في نافذته .. أنا لا أستطيع أن أدور معك الآن للفرجة على هذه الأشياء .. فانا أعمل الآن .. وعلى أن اذهب .

وامتطى هومير دراجته من جديد وبدأ يحركها منصرفا ، ولكن أوجى أمسك بمقعد هاوراج يجرى إلى جانبه دافعا الدراجة إلى ناحية مخزن كوئنجتون وهو يصيح : هومير .. يجب أن تأتي معي .. انه حبيس .. لا يستطيع أن يخرج .

فسأله هومير : من هو الذي تحدث عنه ؟

وكانا قد بلغا عند ذاك الجانب الآخر من لطريق المواجه لمخزن كوئنجتون ، ورأى هومير جماعة صغيرة من الناس مجتمعين أمام المخزن ، فبدأ يدب في نفسه شيء من الفزع . وأشار أوجى ناحية الزحمة ، فاتجه الصبيان يدفعان الناس حتى دخلا المحل وبلغا الفخ وما زال في داخله يوليسس أخو هومير وحوله بيچ كريس ومستر كوئنجتون وعدد من الاغراب رجالا ونساء وأطفالا .

وضح هومير : يوليسس !

ورد يوليسس : هالو هومير .

والثفت هومير الى من حوله وقال : ماذا يفعل أخى هنا في هذا المكان ؟

فأجاب مستر كوفنجتون : لقد وقع في الفخ .

وعاد هومير يقول : وماذا يفعل هؤلاء الناس جميعا هنا ؟
والثفت اليهم : اذهبوا .. انصرفوا الى بيوتكم .. الا يمكن أن يقع طفل صغير في الفخ دون أن تقلب الدنيا هكذا حوله ؟

فقال كوفنجتون : نعم ، مع حق ، كل من ليس عميلا هنا ارجو منه ان يصرف .. وراح يفحص الناس من حوله وهو يقول : تستطيع انت يا مستر والاس أن تبقى فانت تشتري من المحل ، وانت كذلك يا مستر سيكرت .. نعم يا جورج .. وانت يا مستر سبندل .. وشورتى .

ف تقدم رجل وقال : وأنا أيضا أشتري من هنا .. قد اشتريت من مدة لاتزيد على أسبوع عددا من شص السمك .
فقال كوفنجتون : نعم .. شص السمك . على الباقيين الآن جميعا أن ينصرفوا . فلم يتحرك غير رجلين اثنين الى الوراء قليلا .

وعاد هومير يقول : لا تنزع يا يوليسس .. سينتهى كل شيء على خير ، وانحمد الله أن أوجى التقى بى . اسمع يا وصى ، اسرع انت الآن الى مكتب التلغراف وقل لمستر سبانجلر أن أخى وقع في فخ في مخزن كوفنجتون واننى أحاول أن أخلصه . لقد تأخرت الآن فعلا ولكن قل له اننى سأعود مباشرة بمجرد خروج يوليسس من الفخ .. أسرع .

واستدار أوجى عاديا فاصطدم بشرطى يدخل المحل وكاد يوقعه على الارصر .

وقال رجل ابوليس : ما سبب هذا الزحام ؟

فأجاب مستر كوئنجتون : وقع صبي صغير هنا نى الفخ «
ولانستطيع أن نخرجه •

فقال الشرطى : « دعنى أرى هذا » ، وراح ينظر الى يوليسس
ثم التفت للناس قائلا : « كفى وقوفا هنا اذن •• انصرفوا جميعا •
هيا • هذه حوادث تقع كثيرا ولا بد أن وراءكم ما هو أهم من الوقوف
تتفرجون على صبي صغير فى فخ • ودفع الشرطى الناس أمامه
حتى أخرجهم من المخزن وأغلق الباب الخارجى ، ثم عاد الى مستر
كوئنجتون وبيج كريس قائلا : والآن ، فلنخرج الصبي من هذا
المكان ليعود الى أهله •

فقال مستر كوئنجتون : نعم هذا ما أريده ، وأن يكون بأسرع
ما يمكن ••• انك قد أغلقت محلى ومازلنا عصرا •

فقال هومير : قل لنا ، كيف يعمل هذا الفخ ؟

فقال كوئنجتون : انه فخ جديد جدا ، اخترعه أخيرا مستر
ويلفرد سافرتى من فراينت وقدم طلبا لتسجيله • انه يريد فيه
عشرين دولارا •

فرد هومير : المهم ، أخرج أخى أو استدع من يستطيع أن يخرج •
استدع مستر سافرتى نفسه •

فأجاب كوئنجتون : لقد حاولت فعلا أن أطلب مستر سافرتى
ولكن التليفون معطل •

فصاح فيه هومير : « معطل ! » واستبد به الغضب من الامر
كله ، فاستمر صائحا فيه : ما دخلى أنا بالتليفون المعطل •• أحضر
الرجل الى هنا وأخرج أخى مباشرة •

وأيده الشرطى قائلا لمستر كوئنجتون : نعم ، أعتقد أن من
الافضل لك أن تفعل ذلك •

فقال كوئنجتون : أنا أيها الشرطى أدير محلا مشروعا وأطيع
القانون فى كل شئ ، وأدفع ضرائبى كاملة ، هذه الضرائب
التي تقبض أنت منها ، - معذرة مرتبك • ولقد بذلت كل ما أستطيع
كى أتصل بمستر سافرتى ولكن يبدو أن التليفون معطل ، فهل

تتصور أن أترك محلي في منتصف النهار وأذهب لأبحث لكم عنه .
فاقترب هوميرو من كوفنجتون يحملق في عينيه ويهز أصبعه
تحت أنف الرجل مهددا : طاعني ، اذهب الآن وارجع بمخترع
آلة التعذيب هذه وأخرج أخى حالا .

فقال مستر كوفنجتون : أولا ، هذه ليست آلة تعذيب ، انها
أفضل فخ ، في السوق الآن ، لصيد الحيوانات ، ترفع الحيوان
من الأرض التي يقف عليها فيصبح لاحول له ولا قوة . ثم ثانيا . .
قد لا يكون مستر سافرتي في داره .

فصاح هوميرو : ماهذا الكلام الذي تقولونه ! ؟

وكان الشرطي قد قرر أن يتفحص بنفسه الفخ ، فقال بعد
قليل مقترحا : ألا يحسن بنا أن ننشره ونخرج الصبي ؟ .
فقال كوفنجتون : تنشر الصلب . . كيف ؟

واقترب هوميرو من الفخ يقول : يوليسس ، هل تريد شيئا . .
أأنت بخير . . ألا تريد أن أحضر لك شيئا ؟

وراج بيع كريس وقد علاه العرق من جهاده مع الفخ ، يدير
بصره بين الاخوين وقد امتلأت نفسه تأثرا بهدوء الصبي الصغير
في الفخ ومحبة أخيه الغاضب لما حدث له .

وقال هوميرو : ألا تريد مني أن أحضر لك شيئا يا يوليسس ؟
فقال يوليسس : بابا . .

فرد هوميرو : أوه . . وغير بابا . . ألا تريد شيئا آخر ؟

فعاد الصبي من الفخ يقول : ماركوس .

فقال هوميرو : أنت تعرف أن ماركوس في الجيش . . ألا تريد
أيس كريم . . أو شيئا آخر مثل هذا ؟

فأجاب يوليسس : لا . . لا أريد غير ماركوس .

فقال هوميرو : « ولكنك تعرف . . أن ماركوس في الجيش »
واستدار إلى كوفنجتون : « قلت لك أخرج أخى من هنا وأن يكون
هذا أسرع أيضا . . »

وقال بيج كريس : « انتظر لحظة يا بنى ، تعال وسك احاك
من هنا ولا تدعه يقع » ، وعاد الى جهاده مع الفخ وقد بدا مشغولا
تماما . غير أن مستر كوئنجتون قال : « ولكنك ستكسر الفخ . .
انه الوحيد من نوعه فى الدنيا ويجب ألا تحطمه . سأحضر مستر
سافرتى ، سأحضر مستر سافرتى . . انك تحطم اختراعا
عظيما . . ومستر سافرتى أصبح الآن هرما وقد لا يستطيع أن
يصنع آخر مثله . . ان الصبى بخير . . لم يصبه شئ . . انتظر
سأحضر سافرتى . . لن أغيب الا ساعة أو اثنتين . »

فصاح فيه هومير : « ساعة أو اثنتين ! » ونظر اليه بكل
ما يستطيع من احتقار ، وتلفت حوله فى المخزن قائلا : « ساكر
لك المحل كله ، !! والتفت الى بيج كريس الضخم وقال : « اكسره
يا سيدى . . اكسره . . . »

واستمر بيج كريس يصارع الفخ بعضلاته جميعا وأصابه
وبجاهد بذراعيه وأكتافه وظهره حتى بدأ الفخ يلين شيئا فشيئا
لقوته . واستدار يوليسس على جنبه كى يرقب الرجل والفخ
يتحطم أخيرا فى يديه . لقد تحرر يوليسس .

وكان هومير واقفا ممسكا بأخيه كى لا يقع على وجهه ، فلما
تحطم الفخ وضعه بلطف واقفا على رجليه . وهملت جماعة الناس
أمام المخزن ، وان كان تهليلهم متقطعا ضئيلا ، فقد كانوا جماعة
لا ينتظمهم شئ ولا يقودهم أحد .

وحرك يوليسس قدميه يجر بهما ، فلما اطمأن هومير الى أن
أخاه لم يصبه شئ طوقه بذراعيه ، أما الصبى فراح ينظر الى بيج
كريس وقد بدا متعبا مرهقا تماما .

وقال مستر كوئنجتون : من الذى سيدفع ثمن هذا الفخ ، انه
لا نفع فيه الآن ، ولا بد أن يدفع أحد ثمنه .

فأخرج بيج كريس من جيبه عددا من الاوراق المالية ، وراح
يعد منها عشرين دولارا دون أن تبدر منه كلمة واحدة وألقاها على
المنضدة أمام الرجل . والتفت الى يوليسس آخذا برأسه وفرك

المحل .

وحدث هومير أخاه : أنت بخير .. هيه ؟ كيف أوقعت نفسك في هذا ؟ . ونظر الى الفخ المحطم ورفسه بقدمه .

فصاح فيه الشرطى : احترس يا بنى .. هذا اختراع جديد ولا يعرف أحد ماذا يتأتى منه .

وخرج كوفنجتون الى الناس فى الطريق ووقف يخاطبهم : «فتح المحل من جديد ، محل كوفنجتون مفتوح يوميا من الثامنة صباحا حتى السابعة مساء ما عدا الآحاد ، مواعيد الاحد حتى العاشرة ويغلق المحل بقية النهار . بالمحل كل أدوات الرياضة ، عندنا آلات صيد السمك ، والبنادق ، والذخيرة وأدوات الرياضة البدنية ، سيداتى وساداتى ، شرفونا بالشراء » . ولكن الناس بدأوا يتحركون فى بطن منصرفين . وقبل أن يغادر هومير المخزن التفت الى الشرطى يسأله : من هذا الرجل الذى خلص أخى من الفخ ؟

فأجاب الشرطى : لا أدري ، فلم أره من قبل أبدا .

ولكن يوليسس قال لهومير : بيع كريس .

فسأله هومير : بيع كريس الضخم ..؟ هذا اسمه .

فأجاب يوليسس : نعم بيع كريس .

وفى ذلك الوقت دخل أوجى الى المحل يجرى ثم توقف لحظة ينظر الى يوليسس وقال : هل خرجت ؟ .. كيف خرجت يا يوليسس .

فأجاب يوليسس : بيع كريس !

فالتفت أوجى الى هومير يسأله : كيف خرج ؟ ماذا حدث ؟

ماذا جرى للفخ ؟ أين ذهب الرجل ذو اللحية ؟ ماذا حدث أثناء غيابى ؟

فقال هومير : كل شئ بخير الآن يا أوجى ، هل أخبرت مستر سبانجلر بما قلته لك ؟

فقال أوجي : نعم ، قلت له ، ولكن ماذا حدث يا هومير ، قل لي
هل انفتح الفخ ، وهل يصيد الآن الحيوانات ؟

فرد هومير : أوه .. هذا الفخ ليس الا عبثا لا قيمة له .
والتفت الى صاحب المحل : ما الفائدة في أن تمسك بالحيوان اذا
كنت لا تستطيع أن تخرجه . وأنا مندهش جدا يا مستر
كوفنجتون لأنك جرؤت أن تأخذ من كريس الضخم عشرين دولارا
ثمنا لمثل هذه الآلة الخربة .

فقال كوفنجتون : السعر المحدد عشرون دولارا .

فصاح فيه هومير : سعر محدد ؟! .. ما هذا الكلام الذي تقوله ؟
أوجي .. هيا .. هيا .. هيا نخرج من هذا المكان . وغادر الصبية الثلاثة
المخزن سائرين حتى وصلوا الى مكتب التلغراف . وهناك كان
مستر سبانجلر قد جلس منحنيًا على المنضدة الطويلة ينظر الى
الشارع ، على حين كان مستر جروجان عند الصندوق يرسل
برقية . ودخل هومير المكتب وقد ازداد عرجه عما كان من قبل منذ
أن تصادم وبايفيلد في سباق المائتين والعشرين ياردة ، وتوقف
أمام مدير المكتب يحادثه : هذا أخى يوليسس يامستر سبانجلر .
لقد خلصناه الآن فقط من نوع من الفخاخ عند كوفنجتون . قد
خلصه بيج كريس بعد أن اضطر أن يحطم الفخ واضطر بعد ذلك
أن يدفع ثمنه عشرين دولارا ، وهذا أوجي ، هل أخبرك بسبب
تأخري ؟

فقال سبانجلر : الامور تسير على خير وجه .. كل ما في الامر
أن بعض البرقيات قد تجمعت وعليك أن توزعها ولكن لم يحدث
ضرر على أى حال ... هذا اذن أخوك .. يوليسس ؟

كان يوليسس قد وقف وراء عامل التلغراف يرقبه وهو يؤدي
عمله ، على حين وقف أوجي في الناحية الاخرى من المنضدة أمامه
يصغى باهتمام الى صوت الصندوق .

وعاد سبانجلر يقول : وجاءت أيضا بعض الاشارات التليفونية

وحملت أنا القريب منها ، وما زالت هناك اشارتان اخريان فى
صفحة المكالمات ، فخذ الاشارات أولا ثم وزع البرقيات •

فقال هومير : نعم يا سيدى ، فى الحال ، وانى أريد أن أكرر
اعتذارى وأسفى الشديد على ما حدث يا مستر سبانجلر ، ولكن
هل أستطيع أن أترك يوليسس فى رعايتك حتى أعود ؟ انى أرجو
أن أستطيع اذا ما تأخر الليل وخف العمل أن أحمله على دراجتى
الى البيت •

فأجابه سبانجلر : نعم ، دع أخاك معى هنا ، وأذهب أنت
مباشرة •

فقال هومير : نعم يا سيدى ، وشكرا لك • ان يوليسس لن
يزعجك أبدا ، فهو سيتفرج فحسب ، ولن يعمل أى شئ
آخر •

وغادر هومير مكتب التلغراف مسرعا وهو يعرج •



— ١٤ —

ديانا

تحرك يوليس مقتربا من مستر جروجان على حين ظل أوجي يستمع لدقات صندوق البرق •

وسأل أوجي مستر سبانجر مشيرا الى الصندوق : ماذا يفعل بهذا الصندوق ؟

فأجاب سبانجلر : مستر جروجان يرسل التلغرافات •

فقال أوجي : أين يرسلها ؟

— الى نيويورك •

فعاد أوجي يقول : تقطع كل الطريق الى نيويورك ؟ ولكن كيف تذهب الى هناك ؟

— على الاسلاك •

فقال أوجى : أسلاك الاعمدة ؟ هناك أعمدة تلغراف من هنا حتى نيويورك ؟ كل هذه المسافة من ايتاكا حتى نيويورك ؟
- نعم •

واستمر أوجى يسأل : ومن الذى يرسل هذه البرقيات ؟
- اصناف الناس جميعا •

فراح بائع الجرائد الصغير يفكر لحظة ثم قال : أنا لم تجئنى برقية أبدا فى حياتى ، ماذا أفعل كى تأتينى برقية ؟
- لو أرسل لك أحد برقية تجيئك •

فقال أوجى : ولكنى لم تصلنى واحدة أبدا ، فمن هذا الذى يرسلها ؟
- يرسلها لك صديق أو أى أحد تعرفه •

فقال أوجى : « أن كل من أعرفهم هنا فى ايتاكا » وأضاء فى اللوحة الكهربائية نور أخضر ، فعاد يسأل : « لماذا يضىء هذا النور الأخضر ؟ »

- هذه علامة لنا بأن الخط خال •

فقال أوجى : خط ماذا ؟

- خط سان فرانسيسكو •

فصاح أوجى : ياه •• كم يكون عمر الانسان كى يستطيع أن يشتغل ساعيا هنا ؟

- السادسة عشرة •

فقال أوجى : أنا عمرى تسع سنين ، ولكن لماذا ينتظر الانسان هذه المدة الطويلة ! ألا يستطيع الانسان أن يلتحق بالبحرية قبل السابعة عشرة •

- هذا هو القانون •

قال أوجى : انى لا أفهم أبدا السبب فى كل هذه القوانين •
وبدا مستر سبانجلر يضع البرقيات المعدة للتوزيع فى

الكوات الحشبية وراءه . وقال له : هذا القانون ، لكى يحولوا
دون اشتغال الاطفال .

— لماذا ؟

فقال سبانجلر : لكى لا يرهقوا ، وكى يستطيعوا أن
يلعبوا . فقد وضع هذا القانون لحماية الاطفال .

— حمايتهم من ماذا ؟

فحاول سبانجلر أن يجيب : من العمل الشاق على ما اعتقد
.. و .. من الرؤساء الذين يجعلون الاولاد يعملون عملا
كثيرا لا يتناسب مع أجورهم .

— ولكن ماذا لو كان الولد لا يريد حماية ؟ ماذا لو كان
يريد أن يعمل ؟

فقال سبانجلر : سيحمونه هم على أى حال .

— والى متى يجب أن انتظر حتى لا أعود طفلا ، وأستطيع
أن أحمى نفسى وأن أعمل فى أية مهنة أريدها ؟

فأجاب سبانجلر : لابد أن تبلغ السادسة عشرة كى تكون
ساعيا .

— ولكن هومير يشتغل ، اليس كذلك ؟ .. فهل بلغ
السادسة عشرة ؟

فقال سبانجلر : لا .. هومير شىء آخر ، انه حقا فى
الرابعة عشرة ولكنه قوى وذكى .

— ذكى ؟ .. ماذا تقصد ؟ هل من الضرورى أن يكون
المرء ذكيا لكى يكون ساعيا ؟

فأجاب سبانجلر : لا .. ليس ضروريا .. ولكن من الافضل
أن يكون ذكيا ، فان هذا يساعده فى أى عمل مهما كان .

— ولكن كيف تعرف اذا كان المرء ذكيا أم لا ؟

فنظر سبانجلر للصبى وتبسم قائلا : أتحدث معه قليلا .

ولكن أوجى عاد يسأل : لماذا تضع هذه الاوراق هنا ؟

— هذه هى البرقيات التى وصلتنا بالامس ، ونحن نضعها هنا موزعة ، كل مدينة على حدة ، لكى نحفظ سجلاتنا وحساباتنا . فهذه البرقية مرسلة الى سان فرنسيסקو ، لهذا اضعها هنا ، وكل البرقيات فى هذه العين مرسلة الى سان فرنسيסקو .

فقال أوجى : أستطيع أنا أن أعمل هذا ، وأعرف أيضا كيف أركب الدراجة ، فليس هناك الا اننى لا أملك واحدة ، ولكنى اذا اشتريت دراجة يا مستر سبانجلر ، فهل أستطيع ان أعمل ساعيا هنا ؟ وهل ترضى أن تعطينى وظيفة ؟

فتوقف سبانجلر عن العمل وعاد ينظر للصبي وقال له : نعم يا أوجى ، أعطيك .. لكن ليس الآن . أنت فى التاسعة ما زلت صغيرا جدا .. عندما تصبح فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة .. هذا معقول ..

— أو الثانية عشرة .. أنفع ؟

فقال سبانجلر : جائز .. ولكن لماذا تريد أن تكون ساعيا ؟ — أتعلم أشياء كثيرة .. وأقرأ البرقيات .. وأفهم الدنيا !! وتوقف لحظة ثم عاد يقول : ولكن لن أبلغ الثانية عشرة الا بعد ثلاث سنوات ..

فأجابه سبانجلر : ستمضى السنوات الثلاث حالا ، دون أن تشعر بها ..

— لا أظن .. اننى أنتظر هذه الساعة منذ أمد طويل .

فقال سبانجلر : سترى انك ستبلغ الثانية عشرة دون أن تدري .. قل لى ، ما اسمك الكامل ؟

— جوتليب .. أوجست جوتليب .

وراح مدير مكتب التلغراف وبائع الجرائد الصغير ينظر كل واحد منهما للآخر ، وقد تبدى على كل منهما الجد والعزم ، ثم قال سبانجلر :

— أوجست جوتليب .. انى أعدك بمجرد أن يحين الوقت ..

ولكن سبانجلر لم يكمل كلامه، فقد رأى ديانا ستيد تدخل المكتب وهي تقفز كالحصان النافر، وعند الباب على الطريق، رأى العربية التي حملتها وقد جلس عند عجلتها سائق يرتدى حلة خاصة، ورن صوتها جذابا جميلا مناديا سبانجلر، وان كان فيه شيء من التكلف: «أوه .. حبيبي! هذا أنت أخيرا» وألقت نفسها عليه في ثورة عذبة من التودد وطوقته بذراعيها وقبلته قبله أجمل من أن تكون في الحياة الواقعة، لا بل أحلى من أن تكون كذلك.

ولكن سبانجلر قال: «تمهلي قليلا» وحاول أن يردها الى الخلف قليلا وهو يضع الساعة التي كانت في يده على المكتب. وعاد ملتفتا اليها، فانطلقت الشابة من جديد اليه، ولكنه صدها عنه قائلا: قفى .. تمهلي .. أعرفك بأوجست جوتليب.

— كيف حالك يا صغيري ..؟

وقال سبانجلر: مس ستيد، يا أوجست.

— هاللو ..!! ولم يعرف الصبي ماذا يقول بعد ذلك فسألها: أتريدين الجريدة؟

فقالت ديانا: طبعاً لم لا .. كم ثمنها؟

— خمسة سنتات فقط، انها طبعة المدينة .. نتائج السباق وأسعار البورصة وآخر أخبار الحرب.

— كل هذا بخمسة سنتات؟ .. خذ .. أشكرك جدا ..

فأخذ أوجي القطعة المعدنية وأعطى مس ستيد الجريدة، ولكنه لم يناولها لها حتى طواها أولا في مهارة واحتفال كأنما يقوم بعمل هام خطير، وضربها على ركبته ضربة الخبير ثم عاد فطواها مرة أخرى وقدمها لها منتظمة مرتبة وكأنه ساحر قد أدى لعبة ماهرة هامة. وقال أوجي: شكرا يا سيدتي (٥:٥:٥) أنا أبيع أيضا يوم الأربعاء الايفنج بوست والليبرتى (٥:٥:٥) وفي أيام الجمع أجمل جريدة كولير .. وأنا أوزع على المدينة كلها.

- أرجو اذن أن يكون كسبك كبيرا .

فقال أوجي : أنا أكسب في اليوم حوالى أربعين سنتا .. من الجرائد والمجلات معا . وعندما يبدأ سوق البلدية أبيع فيه المثلجات .

فقلت ديانا بصوتها الجميل المرح : على هذا .. أنت تجد مجال العمل دائما .. أليس كذلك ؟

- « أوه .. نعم .. ولكنى أتعلم أشياء كثيرة أيضا .. فقد أصبحت أعرف كيف أحكم على الناس وأزهمهم » . وبدأ من لهجته أنه قد حكم على مس ستيد وانه راض بما استطاع أن يعرفه فيها . فردت عليه هي : « أوه . انى واثقة انك تستطيع » ثم التفتت الى سببانجلر وقالت : « لقد انتظرت ان تحدثنى بالتليفون . ألم تقل انك ستكلمنى فى الخامسة ؟ »

فقال سببانجلر : « أوه نعم .. ولكنى نسيت .. لقد كنت أتحدث هنا مع أوجي . انه يريد أن يكون ساعيا وقلت له الآن انه لابد سيحصل على هذه الوظيفة عندما يحين الوقت »

فأجاب أوجي : « شكرا لك يا مستر سببانجلر » . وتحرك كى ينصرف قائلا : « سأراك ثانية .. بعد اذنك ياسيدتى .. » والتفتت الى الصبى الصغير وقالت : « الى اللقاء يا يوليسس » .

وصاحت ديانا متعجبة تقول لسببانجلر : « يوليسس ؟ يا الهى اسم يبعث الذكريات .. . يوليسس ؟ يوليسس هنا ، وفى ايتاكا ! .. اسمع يا عزيزى .. ليس لدى الا دقيقة واحدة ، انك ستأتى للعشاء ، أليس كذلك ، هذا ضرورى جدا .. انك تعرف ذلك » .

وحاول سببانجلر أن يجيب ولكن الشابة قاطعته من جديد قائلة : « لا .. لا تقل كلمة .. لقد وعدتني .. نعم وعدتني .. وأبى وأمى فى غاية الشوق لرؤيتك .. نحن فى انتظارك فى الساعة تماما » .

فقال سببانجلر أخيرا : انتظرى .. انتظرى لحظة ..

- لا .. يا عزيزى .. لا .. انك لن تخيب رجائى مرة أخرى»

فرد سبانجلر : لا شىء فى هذا العالم يستطيع ان يخيب رجاءك أنت .. فاطمئنى تماما .. ولكنك قلت السابعة تماما ؟ لماذا تصرين على الوقت ؟ ثم قولى .. لى .. لماذا تريدان أن آتى للعشاء ؟

فقالت المرأة فى صبر وكأنها تحدث طفلا صغيرا : « لائى احبك يا عزيزى .. احبك .. احبك .. احبك .. أسمع هذا ؟ » وضحكت ضحكة مرحة طويلة .

فأجاب مدير مكتب التلغراف : « رويدك .. رويدك .. انك كلما تجيئين هنا بمثل هذا الكلام أحس ... »

فقاطعتة جادة : ولكنى احبك فعلا ، يا عزيزى ..

فتنهده سبانجلر قائلا : لقد دعيت للعشاء مرتين فقط فى حياتى ، وفى كليتهما أضجرتنى الدعوة جدا .

فأجابت ديانا : ولكنك ستحب أبى وأمى .. ولن نكون بملابس السهرة .. بل بثياب المساء العادية .

فقال سبانجلر : ثياب المساء ؟ ماذا تعنين .. لن أرتدى غير ثيابى التى أرتديها فى نهارى ومساءلى !

قالت ديانا - « فى السابعة اذن .. ولمحت البيضة المسلوقة على مكتب سبانجلر فصاحت : أوه .. حبيبى .. أتضع هذه على أوراقك .. ما أبرعها فكرة .. ولكن ما هى ؟

- انها بيضة .. بيضة حقيقية .. أحملها لتجلب الحظ ..

- أوه ، ما أطرفك .. اسمع يا حبيبى .. انى مضطرة

للذهاب .. واتجهت نحوه تريد أن تقبله قبل أن تنصرف ، ولكنه صدها عنه فى لطف ، ومضت هى مغادرة المكتب .

وفرغ مستر جروجان من كتابة البرقية على الآلة ، فصحب سبانجلر يوليسس الى الرجل الهرم قائلا : « ويلي .. انى ذاهب عند كوربيت أشرب كاسا .. وهذا يوليسس ماكولى أخو

هومير • • لقد حدث له حادث منذ قليل • • أظنه وقع في فخ أو
شيء من هذا القبيل • • يوليسس أعرفك بمستر ويلي جروجان •
فقال مستر جروجان : أوه اننا أصدقاء قدامى • • انه كان
يتفرج على وأنا أعمل •

فحرك يوليسس راسه موافقا ، وقال سبانجلر وهو ينصرف :
سأشرب كأسا وأعود حالا •



- ١٥ -

فتاة على الناصية

استدار سبانجلر خارجا ولكنه توقف عند صندوق المكالمات التليفونية وقد بدأت أجراسه تدق رسالة جديدة وتطيعها في الآن نفسه على الشريط • وذهب سبانجلر الى الآلة عند منضدة التوزيع وراح يتأمل الرسالة على الشريط ، ثم قال لجروجان : انها من مصانع نبيذ ايتاكا هنالك في المزارع • ولكن اذا عادهومير ، فاستبقته حتى نتلقى اشارة المساء من « زبيب الشمس » • • • لقد استطاع هومير الى الآن أن يصل اليهم مرتين قبل ساعى شركة وسترن يونيون التى تنافسنا ، ولو استطاع أن يفعل ذلك مرة أخرى فان أرباح هذا الشهر ستكون طيبة فعلا ! كم اشارة تلقيناها بالامس ؟

فقال جروجان : سنبعا وستين برقيسة من ثمان وستين اشارة • • • صبينا وصل الاول فحصل على البرقيات جميعها الا

واحدة ، والثانى حصل على برقية واحدة .. هذا حسن ..
سأذهب الآن لأشرب الكأس .

ولكن الصندوق بدأ يندق اشارة جديدة : نقطة ، نقطة . خط
نقطة نقطة نقطة . وعندما سمع مدير المكتب النقطتين الاوليين
أدرك مباشرة أن الاشارة من « زبيب الشمس » غير أن هومير
لم يكن بالمكتب ليذهب فيتلقي البرقية ، فصاح سبانجلر قائلاً
لجروجان : سأذهب أنا وأتسلمها قبل أى أحد آخر .

وفى الوقت الذى تكررت فيه ارسالة ثلاث مرات كان سبانجلر
قد كاد يصل الى الناصية الثانية بعد المكتب ، عاديا فى الطريق
مخترقا جماعات الناس متجنباً اياهم ، وكأنه عداء يجرى بالكرة
فى الملعب . ولما أصبح على بعد ثلاثين ياردة تقريباً من
الناحية ، رأى أمامه فتاة فى الثامنة أو التاسعة عشرة تقف
وحيدة وحجلة ومتعبة وعذبة مستكنة رائعة . كانت تقف
منتظرة الرربة التى ستحملها الى بيتها بعد نهار من العمل .
وبالرغم من أن سبانجلر كان متعباً يجرى فقد كان من
المستحيل عليه ألا يلحظ وحدة الفتاة والا يحس فى هذه الوحدة
عزلة نافى الوجود كله . واقترب من الفتاة حراً خفياً دون أن يفكر
أو يقص . التهريج ، وتوقف لحظة أمامها ثم قبلها فى خدها . وقبل
أن يبتعد عنها عاديا قال لها : أنت أجمل امرأة فى هذا العالم .
كان هذا هو الشئ الممكن الوحيد الذى يستطيع أن يقوله لها .

وواصل سبانجلر جريه ، فلما وصل الدرج فى مبنى شركة
« زبيب الشمس » راح يرتقيه قافزاً على الدرجات ثلاثاً ثلاثاً .
أما ساعى شركة الوسترن يونيون فقد تعطل فى بدء رحلته أمام
الكاتب الذى يتلقى الرسائل عندهم لأنه لا يعرف أماكن
الاشارات كما يفعل سبانجلر . ولما وصل هذا الاخير مكتب
الشركة حيث يتسلم البرقيات كان ساعى الوسترن يونيون
مازال يترجل من على دراجته وبدأ ينتظر المصعد ليحمله الى
المكتب .

وعند المكتب ، أمام المرأة العجوز ، وقف سبانجلر وأعلن
اسم شركته وكأنه ما زال ساعياً بوسـت تلجراف « فصاحت

المرأة العجوز مسرورة دهشة : أنت ياتوم ! أوما زلت تعمل
ساعيا

— « يظل الساعى طول عمره ساعيا •

ولم يبد على سبانجلر أنه ارتبك أو خجل من ملاحظتها
التي لامعنى لها ، ولكنه ابتسم للمرأة العجوز وقال : « غير أنني
قبل أى شىء آخر قصدت أن أراك أنت يامسز بروكنجتون »
ودخل ساعى الوسترن يونيون المكتب صائحا : وسترن يونيون
فقاً - مسز بروكنجتون : هارى •• لقد سبقوك هذه المرة
أيضا ، ولكنها ناولته ، عطفاً عليه ، برقية واحدة وقالت : أرجو لك
حظاً أسعد فى المرة القادمة ! •

وأحس ساعى الوسترن يونيون الصغير بشىء من الارتباك
والحرج ، لالانه قد سبق هذه المرة أيضا ، بل لان من سبقه
هو مدير مكتب البوست تلجراف نفسه ، فأخذ من المرأة العجوز
البرقية قائلاً : شكرا لك على أية حال يامسز بروكنجتون ••
وخرج مغادرا المكتب •

وجمعت مسز بروكنجتون حزمة كبيرة من البرقيات وناولتها
لسبانجلر وهى تقول : « هذا كله لك أنت ياتوم ، مائة وتسع
وعشرون برقية ليلية الى جميع أنحاء القطر •• ثمنها جميعا
مدفوع » •

فقال سبانجلر : مائة وتسع وعشرون • ان أرباحى هذا الشهر
ستكون طيبة • وانحنى فوق الحاجز الذى يفصل بينها وبينه
وقبل المرأة العجوز •

فسأحت مسز بروكنجتون : توم ! •• ما هذا ؟ ••

— أوه •• لا تكونى قاسية على • لقد ظننت أريد أن أقبلك منذ
رأيتك هنا أول مرة •• أتذكرين؟ نعم منذ عشرين سنة •• وأنت
تزدادين جمالا سنة بعد أخرى •

فقالت المرأة العجوز : أوه ، لا تكن قاسيا فعبت بامرأة
عجوز •

— عجوز ؟ أنت ؟ لا .

فردت مسز بروكنجتون : أوه توم .. انك ظريف .. وساعاتك جميعا كذلك ... ولكن أين الساعى الجديد ؟

— هومير ؟ ! .. أتقصدين هومير ماکولى . انه سيجينك هنا كل يوم .. دائما .. قبل أى ساع آخر . لقد تعطلنا قليلا اليوم عصرا لان أخاه يوليسس قد حدث له حادث ، اذ وقع فى فخ عند محل كوكنجتون واضطر هومير أن يذهب ليخلصه ، ولكنك سترينه دائما من الآن فصاعدا ... وتوقف لحظة يبتسم للمرأة العجوز ، ثم قال : « الى اللقاء يا أميلى » .

— أوه .. انك مازلت تذكر اسمى .. هذا ظرف منك زائد . وأحس فى الطريق أنه سعيد يغمره الرضا بكل شئ .. كان سعيدا راضيا لان هومير قد خلص أخاه من الفخ ، ولأن جروجان مازال قادرا على أن يعمل بالرغم من تجاوزه سن المعاش ، ولأن يوليسس هناك فى المكتب واقفا يتفرج مأخوذا ، وأن أوجى حريص على أن يكبر سريعا كى يصبح ساعيا ، بل كان راضيا حتى عن ديانا ستيد . غير أن رضاه وفرحته بالفتاة الواقعة على ناصية الطريق تنتظر العربة كان أكبر وأعمق من رضاه وفرحه بهذا كله . وعندما بلغ المكان الذى كانت تقف فيه تمهل قليلا وراح يحدث نفسه : « كانت تقف هنا تماما ، وأغلب ظنى أننى لن أراها أبدا مرة أخرى ، بل حتى لو حدث ذلك فلن أراها أبدا كما رأيتها اليوم فى العصر » ومضى هابطا الطريق يصفر لنفسه حتى أصبح فى مواجهة محل كوربيت . وبلغ سمعه من المحل نغمات البيانو تلعب الفالس القديم : « كل ما أتمناه أنت » ، فعبر الطريق حتى بلغ الباب الدائرى لبهو المحل وتوقف هناك لحظة ثم نفذ داخلا .. ووجد وراء الباب كوربيت نفسه واقفا ، فلما رأى سبانجلر ذهب مباشرة يعد الشراب الذى اعتاده ، كأسا من السكوتش وكوبا من الماء .

وقال سبانجلر : هاللو رالف .. كيف الحال ؟ وألقى نظرة

خاطفة على جنود ثلاثة كانوا جالسين عند البياتو يستمعون الى الموسيقى .

وأجاب كوربيت : ليس ردينا جدا ولا طيبا جدا . . . عملاء كما ترى . . . جنود لديهم متسع من الوقت وقليل من المال . اننى أبيعهم كل ثلاث كؤوس بثمان الكأس الواحدة ، فاذا ما عرفت أنهم أفلسوا آخر الليل واستعدوا للانصراف أعدت لهم نقودهم . . . نعم . . . لم لا ؟

فقال سبانجلر : ولكن هل تتحمل ميزانيتك هذا ؟

- لا . . . ولكن ما أهمية هذا ؟ قد أستطيع بعد الحرب ان أسترجع شيئا ، فأنا لا أستطيع أن أكون مجرد بائع على بار . . . أنت تعرف من هو كوربيت الصغير . . . وتوقف لحظة يتذكر شيئا يزعجه ويهمه . ثم استأنف حديثه : بالامس ياتوم ، كنت أقف كالعادة على البار ليلا أحاول أن أسير الامور ، واذا برجل أخرج متهور يصيح على : « أنت يامهووس ، هات لى كأسا أخرى » . . . ولم يكن الرجل جنديا ، بل كان من هنا من ايتاكا . فنظرت أنا حولى وتلفت عسى أن يكون أحد غيرى وراء البار ، ولكن لم يكن هنا الا اياى . فقلت له : « تقول مهووس ؟ أتتكلم الى أنا » فقال الرجل : « لمن اذن ؟ أتحبسنى أكلم نفسى يامهووس » . . . وقلت لنفسي : ماذا أفعل الآن ، اننى أستطيع أن أضرب الرجل فقد كنت ملاكما ، ولكننى ذهبت اليه وأمسكت به هكذا . . . وقبض كوربيت بيده على ياقة سبانجلر ورفع يده الاخرى مفتوحة عالية ، وانتظر لحظة من الغضب والثورة ، ثم قص عليه ما قاله للسكير الشرير بالامس : أتعرف الى من تتحدث ، انك تكلم كوربيت الصغير ، لوصفعتك صفعه واحدة فستقع على الارض وتموت . . . وأنا لا أريد أن يموت أحد هنا فى محلى . اخرج حالا واياك أن تعود ، واياك أن تجعلنى أراك هنا مرة أخرى طالما أنت حى . . . وعندما تخرج من هنا أشكر ربك أنك مازلت حيا . . .

وترك كوربيت ياقة سبانجلر ويدها ترتعشان من الغضب ، واستمر يقول : « وظلت يدائى ترتجفان طوال الليل بعد ذلك »

غير أن هذه ليست أول ليلة يحدث فيها مثل ما حدث بالأمس .
ان شيئا من هذا النوع يحدث كل ليلة تقريبا . وفى كل مرة
أقول لنفسى : « كفى من هذا . لابد أن أغلق هذا المحل وأن أمضى
بعيدا » . . . لقد أصبحت أخشى وأرتعد من أن أفقد صوابى فى
ليلة من هذه الليالى وأن أقتل رجلا . ان عمل البارات ليس عملا
سهلا ، وقلبى فيما أعتقد أطيب من أن يكون قلب بائع على بار » .
وظل مدير مكتب التلغراف والملاكم السابق يتحدثان سويا
خمس دقائق أخرى ، ثم قام سبانجلر عائدا الى مكتبه ،
وعندما كان يغادر بهو المحل كان الجنود الثلاثة مازالوا يديرون
البيانولا ، وكانت الاغنية هذه المرة هى أغنية « البراعم البيضاء »
وقد انحنى الجنود على الشريط يرقبون الكلمات وهى تنساب
من الآلة ويحاولون أن يغنوا مع الموسيقى . ووقف سبانجلر
يستمع اليهم قليلا ، فعلى الرغم من أن أصواتهم لم تكن بالجميلة
حقا ، فليس فى الشعور أو الاحساس وراءها شيء قبيح أو
رديء .



- ١٦ -

سأعود بك الى البيت

دخل توماس سبانجلر مدير مكتب بوست تلجراف ايتاكا بكاليفورنيا فى هدوء مكتبه • ورأى عند مكتب التوزيع الاخوين ماكولى ، هومير ويولسيس ، وقد شغل هومير بطى البرقيات ووضعها فى الظروف ، على حين وقف الاخ الصغير يرقب أخاه فى اعجاب هادى • والتفت الساعى الى رئيسه قائلاً :

- هل لحقت بشركة « زيبب الشمس » يامستر سبانجلر ؟

- نعم ياهومير • • وأخذت مائة وتسعا وعشرين برقية •
ووضع أمامه البرقيات يريها له •

فقال هومير متعجباً : مائة وتسعا وعشرين • • كيف سبقت الآخرين الى هناك ؟

- جريت •

- أتعنى أنك سبقت شركة وسترن يونيون حتى مبنى « زيبب الشمس » جرياً ؟

- طبعاً ، وما الغرابة فى هذا ؟ بل اننى توقفت فى الطريق
أحبي الجمال والبراءة !! . .

ولم يستطع هومير أن يفهم اشارته ، فاستمر سبانجلريقول:
« من الافضل ألا أشرح لك هذا . خذ أنت يوليسس الى البيت
الآن . »

- حسناً ياسيدى . . . لقد تسلمنا اشارة من جوجنهيم ،
وسأمر عليهم وأنا فى طريقى بعد أن أحمل يوليسس الى البيت ، ثم
أذهب الى مصانع نبيذ ايتا كافمحل فولى بعد ذلك وأعود مباشرة .
سأكون هنا فى لمح البصر .

وغادر الساعى المكتب ووضع أخاه على مقدم دراجته حينما وقف
سبانجلريرقبهما . وقفز هومير على الدراجة وبدأ يحركها منحدرًا فى
الطريق . وعندما أصبح فى خارج حدود المدينة التفت يوليسس
لينظر الى أخيه ، وانفجرت أساريره لأول مرة طيلة هذا
النهار عن بسمة ما كولى الشهيرة .

- هومير ؟

- ماذا تريد ؟

- انى أستطيع أن أغنى !

- برافو .

وبدأ بوليسس يغنى «سنغنى أنشودة » ولكنه توقف لئيبدا من
جديد « سنغنى أنشودة » . وتوقف مرة أخرى وعاد يكرر ،
« سنغنى أنشودة » .

قال هومير : ولكن ليست هذه انشودة يا يوليسس ، انها جزء
صغير فقط ، استمع أنت الآن لى ثم غن بعد ذلك معى ، وبدأ الاخ
الاكبر يغنى والصغير ينصت :

« كفى بكاء ياسيدتى . . أوه . . كفى اليوم بكاء !

فسنغنى انشودة لبيتنا القديم فى كنتكى !

لبيتنا القديم فى كنتكى ، هناك بعيدا ! »

وقال يوليسس : غنها مرة أخرى ياهومير •

- فليكن !

وبدأ هومير يغنى من جديد ، ولكن أخاه الأصغر أشترك معه فى الغناء هذه المرة • وتراءى ليوليسس وهو يغنى ، ذلك الزنجى فى فطار البضاعة وقد انحنى على جانب العربة الأخيرة يتسهم ويلوح له • كان هذا أزوع ما حدث ليوليسس ما كولى طوال سنواته الأربع فى هذا العالم • نعم أن يلوح لرجل فيلوح له الرجل ويرد على تحيته ••• ويفعل ذلك لا مرة واحدة بل مرات كثيرة ، انه لن ينسى ذلك أبدا طالما هو حي •

وترجل هومير أمام بيت ما كولى وأنزل أخاه باحتراس ورعاية الى الأرض ، ووقفوا معا لحظة يستمعان الى صوت الببانو والقيثارة تلعب عليهما أختهما وأمهما وقد راحت تغنى لهما جارتها ماري أرينا • وقال هومير : هيه يا يوليسس •• ها قد وصلت البيت فادخل أنت اذن ، اذهب فاما وبس ومارى هناك •• وسأعود الى العمل •

- ستعود للعمل ؟

- نعم ، ولكنى سأعود الى البيت فى الليل •• اذهب ••
ادخل أنت يا يوليسس •

وبدأ الاخ الاصغر يرقى درجات الشرفة ، فلما وصل الى الباب اعتلى هومير دراجته وركب منحدرافى الطريق •



- ١٧ -

الجنود الثلاثة

بينما كانت أسرة ستيد وضيوفهم وتوماس سبانجلر قد جلسوا يتناولون العشاء ، كانت السماء تمطر مطرا شديدا على ايتاكا .
الا أن بس ماكولى ومارى أرينا كانتا فى طريقهما الى مكتب التلغراف وقد ارتدتا معاطف المطر والاحذية العالية وحملتتا صندوقا به طعام هومير . ولما عبرا محل البومة العجوز مرا بشاب يقف على باب المحل راح يلقي عليهما نظرات الغزل النهم قائلا : هيه .
ياخلوة .. ماذا فى يدها ؟

وتجاهلت بس الشاب والتصقت بمارى وسارتا معا تصعدان الطريق ولكنهما وجدتا نفسيهما تتجهان صوب جنود ثلاثة وقفوا يلعبون فى عرض الشارع . كان الجنود الثلاثة قد ارتحلوا لأنفسهم لعبة يعبرون بها عن سعادتهم بحريتهم هذه الليلة وعن فرحهم بالدنيا النبيلة المضحكة وبلمهاتها الخالدة، واما

يشعرون به من غبطة بهذا المطر المنعش المتساقط . كانوا يتدافعون ويتعقب كل منهم الآخر ، فتنتطلق منهم ضحكات حرة لا يقيدها شيء ، ويتصايحون بالكنى التى أطلقها الواحد منهم على الآخر ، السمين وتكساس والحصان . ورأى الشبان مارى وبس فردوا حركاتهم ولعبهم الى وقفة صامتة عابدة ، وراحوا ينحنون واحدا بعد الآخر مبالغين فى الانحناء والتحية . وعلى نحو ما سر المنظر الفتاتين ولكنهما ترددتا ، ماذا يجدر بهما أن تفعلآ ، وماذا يجب أن يكون موقفهما منهم .

وهمست مارى : ليسوا يابس الا جنودا غرباء عن بيتهم !
فقالت بس : فلنقف اذن .

وتوقفت الفتاتان تواجهان الجنود ، فتقدم الذى يدعونه السمين وخطا خطوة ناحيتهما ، وكأنه التحدث الرسمى باسم جماعته أو مبعوث الجنود لفتيات أمريكا ، وقال لهما :

- سيداتى ، نحن خدمكم المتواضعون ، من جنود الجيش الديمقراطي العظيم ، نقف الآن - ونحن اليوم هنا ونأمل غدا أن نكون هنا - متقدمين لكم بالشكر على هذه الوجوه التى احتفظت بجمالها فى أيام الجفاف وفى أيام المطر هذه على السواء . ولتسمحا لى أن أقدم زملائى المعجبين المخلصين - هذا أطلق عليه لقب « تكساس » وهو من أهل نيوجرسى ، وهذا سُمى « الحصان » وهو من أهل تكساس ، أما أنا « السمين » - فبلدى الجوع . غير أننى ما جعت قط مثل جوعى الآن لصحبة فتيات أمريكا الجميلات ، فما قولكما فى هذا ؟

فقالت بس : لقد كنا ننوى الذهاب الى السينما .

فصاح السمين بلهجة مسرحية : الى السينما . . هل لنا نحن الجنود ، سواء بقينا اليوم هنا أو ذهبنا غدا ، أن نصحبكما ، أنتما يابنات أمريكا ، الى السينما ؟ انما اليوم هو اليوم وغدا هو الغد ، غير أننا فى الغد عائدون الى ثكناتنا والى الحرب ، هذا الامر البشع الضرورى وتلك المهمة المقدسة ، لنقضى على ما فى الانسان من جرائم فثاكة تحاول أن تودى بروحه الحرة . فلتكن

لكم الليلة أخوة افتقدوا دفاء النار في بيوتهم واستشعروا الوحدة في انفسهم . نعم ، اننا سعداء فخورون ولكننا وحيدون غرباء، فليست ايتاكا موطننا . لقد دخلت أنا أخطر في حلة الجندي الامريكي هذه وتركت ورائي شوارع مدينة شيكاغو المتوحشة وشعب ولاية ايلينوى الكريم . فهل اكما ان ترداني بالذكري الى تلك المدينة وذاك الشعب، وأن ترجعا بكل من اخوتي الأعزاء هؤلاء الى أوطانهم العزيزة . انظرا بعين العطف والكرم لطلبنا هذا المتواضع ، فنحن أبناء أسرة واحدة هي البشرية، ولم نكن لنلتقى أبدا لولا هذه الحرب !!.. لقد رقت لحظتنا هذه ولطفت ، فهي صبيعة أعذب القرون والطفها !!.. وانحنى السمين لهما ثم اعتدل في وقفة عسكرية وقال : علام استقر الرأي ؟

فهمست مارى : أهو مجنون ؟

ف قالت بس لا ، انه يشعر فقط بالوحدة ، فلنذهب معهم الى السينما .

فأجابت مارى : لا مانع .. ولكن قولى لهم أنت ذلك ، فلست ادري ماذا أقول .

والتفت بس الى الجندي وقالت : لا مانع .

فقال السمين : « شكرانكما ، شكرا » وقدم ذراعه ليسي قائلا : أو نذهب الآن ؟

ولكن بس قالت : على أن أحمل أولا لأخى طعامه ، انه يعمل في مكتب التلغراف وان يستغرق هذا دقيقة واحدة .

فقال السمين : تلغراف ؟ سأرسل اذن برقية .. - والتفت الى الآخرين صائحا : وأنت يا تكساس ؟

فقال تكساس : أعترف كم تتكلف البرقية الى نيوجرسى ؟

فأجابه السمين : لن تتكلف أبدا قدر قيمتها لهم .. - والتفت الى الجندي الثالث والحصان ؟

فقال الحصان : نعم سأرسل أنا لآخر برقية لأمى وجو ..

وكيتى ٠٠- والتفت الى بس مكملًا: فتأتى ٠٠ فعلق السمين قائلا :
« كل فتاة فى العالم هى فتأتى ، ولما كنت لا أستطيع أن أرسل
برقيات لكل واحدة منهم فسأرسل البرقية لواحدة فقط ،
سأرسل فى برقيتى الواحدة ملايين البرقيات » .

كان ويلي جروجان عامل البرق الهرم يجلس وحيدا فى
المكتب عندما دخلت عليه الفاتتان والجنود الثلاثة . وتقدمت
بس الى المنضدة الطويلة التى جلس وراءها الرجل ووضعت
صندوقها عليها ثم قالت : « أنا بس ، أخت هومير ، أحضرت له
طعامه » .

فقال جروجان : كيف الحال يامس ماكولى . أن هومير سيعود
حالا ، وسأسلمه غدا .

وأضافت بس : هؤلاء الشبان يريدون أن يرسلوا بريات .
فقال جروجان : حسنا ٠٠ خذوا املاؤا هذه ٠٠ واليكم
الأقلام .

وسأله تكساس : كم يتكلف ارسال البرقية الى مدينة جرسى ؟
- الخمسة والعشرون كلمة بخمسين سنتا ، تضاف اليها
ضريبة بسيطة . ولكن الامضاء والعنوان لا يدخلان فى العدد ،
وتسلم البرقية غدا صباحا .

فقال تكساس : خمسون سنتا فقط ، هذا جميل جدا
« وشرع من فوره يكتب برقيته » .

وسأل الحصان : والى سان أنطون ؟

- نصف ثمنها الى مدينة جرسى ، فسان أنطون أقرب
لايتاكا من جرسى .

أما السمين فقد كان مشغولا يكتب برقيته ، فلما فرغ منها
ناولها لجروجان الذى راح يقرأها وهو يعد الكلمات :

« اما دانا

طرف ، جامعة شيكاغو

شيكاغو . ايلينوى

عزيزتى ، أحبك وافتقدك ، وأفكر فيك دائما . استمرى في الكتابة . ألف شكر . على الصديرى . أتعلم الآن الاقتصاد السياسى حقا . سنعود الى جبهة القتال قريبا جدا . لا تنسى أبدا أن تذهبى الى الكنيسة كل أحد وان تصلى من أجلنا . أنا سعيد . وأحبك .
« نورمان »

وجاء من بعده تكساس فناول جروجان بريقته :

« مسز أديث أنطونى

١/٢ ١٧٠٢ شارع ولنجتون

مدينة جرسى ، نيوجرسى .

أمى العزيزة . كيف أنت ؟ انى مرتاح . تسلمت خطابك وصندوق التين . شكرا . لاتنزعجى على شىء ، الى اللقاء ، مع حبى .
« برنارد »

وجاء دور الحصان فناول العامل العجور بريقته :

مسز هارفى جيلفورد

٢١١ طريق سانديفورد

سان أنطونيو ، تكساس .

هللوا . أردت فقط أن أحييك من كاليفورنيا المشمسة . ولكن السماء تمطر ، ها . ها . بلغى تحياتى للجميع . قولى لجو يأخذ بنديقتى والرصاص . لاتسى أن تكتبى .
« كونتين »

وغادر الجنود والفتاتان المكتب ، وذهب مسـتر جروجان الى منصده يرسل البرقيات .

وتقدم الجنود الثلاثة والفتاتان الأمريكيتان فى الممشى الرئيسى بدار السينما وقد ظهر على الشاشة ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا بفضل الله فى عام ١٩٤٢ واقفا أمام أعضاء البرلمان الكندى . ولما وجد الشـباب لأنفسهم مقاعد واستقروا فيها كان مسـتر تشرشل قد قال ثلاث كلمات ، واحدة بعد الأخرى ،

أثارت موجة متزايدة من الفرح والسرور بين أعضاء البرلمان الكندي ورواد سينما إيتا كاسوا بسواء .

وانحنى السمين على بس قائلا . انظري ، هذا واحد من أعظم رجال زماننا . ومن أعظم الأمريكيين كذلك .

فقال الحصان : كنت أعتقد أن تشرشل انجليزى .

فأجاب السمين : طبعاً . ولكنه أمريكى كذلك ، فمنذ الآن فصاعداً سيصبح كل رجل فاضل أمريكياً . . . وتحرك مقترباً قليلاً من ماري أرينا ، الفتاة على الناحية الأخرى إلى جانبه ، وقال لها : ألف شكر على أنك سمحت لنا بالمجيء إلى السينما معكم ! ! إن قرب البنات أحلى ، وهذه الرائحة الجميلة أفضل من أن يظل المرء يشم روائح الجنود فحسب .

فقالت ماري : كنا سنذهب إلى السينما على أية حال .

وظهر الآن في شريط الأخبار فرانكلين ديلا نوروزفلت ، الرجل الذى يرأس الولايات المتحدة ، وهو يذيع بالراديو على الأمة خطاباً من بيته فى هايد بارك . وراح الشباب الخمسة يستمعون إليه فى اهتمام وهو يتحدث بطريقته المألوفة مازجاً الجدة بالفكاهة ، ولما فرغ الحديث اندفع الحاضرون جميعاً يصفقون .

وقال الحصان : وهذا أعظم أمريكى بينهم جميعاً . وظهر فى هذه اللحظة العلم الأمريكى فبدأ عدد كبير من الحاضرين يصفقون من جديد .

وقال تكساس : وهذا أعظم علم فى العالم .

فالتفت السمين إلى بس وقال : أنا لا أدري لم هذا . . . ولكن المرء لا يبدأ بحب وطنه حقاً حتى يراه فى ضيق ، أما قبل ذلك فهو كآسرتة شئ حوله مفروض لا يفكر فيه .

فقالت بس : لقد أصبحت أحس الآن كأن شيئاً يقف فى حلقي كلما رأيت العلم !! كنت قبل ذلك أذكر به واشرنجطون أو لنكولن ، أما الآن فهو يذكرنى بماركوس أخى ، إنه جنيدى أيضاً .

فصاح السمين : أوه .. ألك أخ فى الجيش ؟

— نعم .. كان فى كارولينا الشمالية عندما كتب لنا آخر مرة .

فقال السمين : « أعتقد أن هذا العلم يجعل كل واحد يفكر فى أقرب الناس اليه وأعزهم لديه . أنه يجعلنى أذكر شيكاغو بكل ما فيها ، الطيب والردى ، انه يذكرنى بأسرتى وفتاتى .. أشياء كلها جملة .. ويذكرنى بالسياسة وأحيائها الفقيرة ، وهى رديئة قبيحة ، ولكنى أحبها جميعا ، وأعتقد أننا سنتخلص يوما ما من هذه الاحياء الفقيرة ومن السياسة أيضا . »

فقالت بس : لاأظن ان عندنا هنا فى ايتاكا احياء فقيرة فالناس فقط هم الفقرا ، وعلى الرغم من أن لنا فى المدينة حكومة فلا أظن أن لدينا من شئون السياسة ما نتحدث عنه . وأسرتى على أية حال لا تهتم بمثل هذه الامور ، فنحن نحب الموسيقى ، وأكاد أجزم أن أخى ماركوس يعزف الآن فى مكان ما على الاكورديون .

كان أخوها ماركوس فى الواقع جالسا فى هذه اللحظة فى بار اسمه « قاذفة القنابل » بمدينة صغيرة من مدن كارولينا الشمالية ، وقد جلس معه صديقه توبى جورج وثلاثة جنود آخرين . وراح ماركوس يعزف لهم أنشودة اسمها « الحلم » وبدأ توبى يغنى على حين قام جنديان آخران يرقصان فى البهو مع فتاتين لا تكادان تفترقان عن مارى وبس . ولما أنتهت الانشودة جلس توبى الى جانب صديقه ماركوس وسأله أن يزيده من الحديث عن ايتاكا وعن أسرة ماركولى هناك .

وبينما كان ماركوس ماركولى يحدث صديقه توبى جورج عن ايتاكا ، كان توماس سبانجلر وديانا ستيد يسيران متقدمين فى الممشى بدار السينما بايتاكا وقد بدأ الفيلم الرئيسى يظهر على الشاشة . ولما استقرا فى مقعديهما كانت الشاشة لم تظهر عليها الصور بعد ، بل مازالت مليئة بكل هذه الكلمات التى تسمى الفيلم وجميع أولئك الذين شاركوا فى صنعه . وكانت الكلمات كثيرة جدا تذكر أسماء عدد ضخم من الناس وتنسب لهم أمجادا كبيرة ، وقد صاحبها نغم فيه فخامة وعظمة لا تليق بما يذكر من جهود ، وان كان قد ألف ووقع خصيصا لهذا .

وجلس سبانجلر وديانا فى الصف الثالث قريين جدا من الشاشة وعلى بعد عشرة صفوف من بس ومارى والجنود الثلاثة . وجاءت جلستهم فى صف ليس بين الجالسين فيه الا أطفال صغار . ولم يلبث أن ظهر على الشاشة أرض بهو كبير فى مستشفى من المستشفيات الحديثة ، فرشت بالمشمع النظيف، وجاء اليهم من الميكروفون فى آخر بهو السينما صوت ممرضة منزعجة فزعة تصرخ فى لهفة زائدة : دكتور كافانا ج . جراحة !! . . دكتور كافانا ج . . جراحة !

وما كاد توماس سبانجلر يسمع هذه الكلمات حتى وقف منتصبا على قدميه . لقد شرب خمرا ، وكانت السهرة هامة ممتعة مليئة بالمشاكل التى يبدو أنها تحركت عليه الآن ، فلم يجد هناك ما يدعوه الى أن يتماسك وألا يتصرف على هواه ، وكأنه لايزيد سنا على كل هؤلاء الجالسين معه فى صف واحد .

— لسوء الحظ . . . لم نحسن اختيار الرواية . . . وأخذ بذراع ديانا قائلا : هيا .

فقالت المرأة الشاببة : ولكن الرواية لم تنته بعد يا عزيزى .

فجذبها سبانجلر وراءه قائلا : « قد انتهت بالنسبة لى أنا . . هيا »

ومرا بصبى صغير يرقب الشاشة باهتمام زائد ، فقال له سبانجلر : « ستدخل الجنة » والتفت الى ديانا : « هيا . . هيا . . لا تقفى هكذا أمام الصبى »

فقالت ديانا : ولكن يا عزيزى ، أن الرواية ما زالت فى البداية .

ولكن الصبى اتجه الى سبانجلر يسأله : ماذا تقول يا سيدى ؟

— الجنة . . !! الجنة ! . . ستدخل أنت هناك .

ولم يتأكد الصبى أنه فهم ما يقوله له سبانجلر فسأله : أتعرف كم الساعة ؟

- لا .. ولكن الوقت ما زال مبكرا .

- نعم ، ياسيدى .

ولما بدأت المرأة تسير معه فى ممشى الدار قال لها سبانجلر :
« سندهب عند كوربيت فنشرب كأسين ونسمع البيانولا ثم تعودين
أنت الى البيت » والتفت ينظر الى الشاشة صاعدا الممشى وهو
يسير القهقرى ، ثم قال لها : انظرى .. انظرى .. الدكتور
كافانا .. لا بد أنه سيفعل شيئا بهذه الملاقط .. أليس من
الجائز أن يختلط عليه الامر فينزع بها أحد أسنانه ..
انظرى اليه ! »

وأحست الشابة وهما عند مدخل دار السينما أنها لا تأسف
كثيرا على أنها تركت الشريط وهولم يكذبدا ، والتفتت لسبانجلر
تقول : انك تحبنى ، أليس كذلك ؟ نعم .. نعم .. أنى
أعرف أنك تحبنى .

فقال سبانجلر وهو يكاد يصيح : أحبك ؟ ألم آخذك الى
السينما .. ألم أفعل ذلك ؟

وخرجا الى الطريق يتعجلان الخطو الى محل كوربيت ويتسيران
قرب المبانى كى يتجنبيا المطر .



- ١٨ -

رأى جروجان في الحرب

كان سبانجلر وديانا ما زالا يجريان تحت المطر الى مخبر كوربيت ، عندما وصل هومير ماكولى وقد أغرقه المطر الى مكتب التلغراف ، فأوقف دراجته ودخل . وراح يستكشف حالة العمل من مكتب التوزيع فلم يجد به اشارات تليفونية تتطلب منه أن يعود ليتسلمها ، ولكنه وجد برقية واحدة عليه أن يوصلها لاصحابها .

وفرغ جروجان من البرقية التي كان يكتبها على الآلة وقام قائلا : « أحضرت لك أختك الغداء »

- حقا ؟ لم يكن هناك ما يدعو الى أن تحمل لي طعاما ، لقد كنت أنوى أن اشترى لنا فطيرتين . . . وأخذ العلبه ثم قال : ان فيها شيئا كثيرا . . . فهل تأكل معي يا مستر جروجان ؟

- لا . . . شكرا . . . لست جائعا .

- ١٠٩ -

- حاول أن تأكل شيئاً قليلاً فقد تنفتح شهيتك •

- لا •• شكرًا جزيلاً •• ولكن ما هذا ، انك مبلول تماما

•• اسمع •• عندنا هنا بالمكتب معاطف للمطر • فقال هومير وهو يقضم لقمة من الساندويتش: نعم •• ولكنني فوجئت بالمطر ساكل هذا الساندويتش فقط ثم أوصل البرقية • وراح يلوك اللقمة في فمه لحظة ثم نظر الى عامل التلغراف الهرم يسأله : مانوعها ، هذه البرقية ؟

ولم يجب مستر جروجان فأدرك هومير أنها واحدة أخرى من رسائل الموت ، فتوقف أسنانه عن مضغ الطعام وبلغ لقمته جافة صحيحة ، وقال : « كم أود ألا أصطر لأبصال مثل هذه البرقيات » •

فقال مستر جروجان وهدوء: « نعم » وظل ساكناً لحظة وهوومير يمسك في يده الساندويتش لا يستطيع أن يقضمه من جديد ، ثم عاد يقول له : « هيا يا بني •• كل •• كان مع أختك فتاة أخرى جميلة جدا »

- أوه •• هذه ماري ، انها جارتنا •• وهي فتاة ماركوس ، أخي الذي في الجيش ، انهما سيترضان بعد الحرب •
- وجاء مع ماري وأختك ثلاثة جنود أرسلوا برقيات من هنا •

- صحيح ؟ وأين البرقيات؟

فأشار مستر جروجان الى الفجوة التي يضعون فيها البرقيات المرسله فأخرجها هومير وراح يقرأها واحدة بعد الأخرى ولما فرغ منها رفع عينيه الى عامل التلغراف الهرم وقال :

- لو أن واحدا مات من هؤلاء فهل يخفف وقع الامر على نفسك أنك تعرفه أو لا تعرفه أو أنك حتى لم تره أبدا ؟ اننا هنا في ايتاكا فحسب ، بلد صغير واحد من بلاد أمريكا العديدة ، وهذه البرقيات تذهب الى كل مكان وتصل الى الاغنياء والفقراء وأنواع الناس جميعا ، فهل كل أولئك الذين يموتون ، انما يموتون هكذا من أجل لا شيء ؟

وظل عامل البرق الهرم ينتظر لحظة دور ان يتكلم
وأحس كأن ما يريد ان يقوله أكبر وأقى من أن يخرج منه دون عون ،
فاتجه الى درجه وأخرج زجاجة ثم جرع منها جرعة طويلة وجلس
يتأمل الصبي ، ثم قال :

« لقد عشت فى هذا العالم طويلا ، بل ربما عشت أكثر مما
يجب . فدعنى أقول لك أن هذا العالم سواء أقامت الحرب أو
ساد السلام ، فإن ما يقع فيه لا يتم هكذا اعتباطا ، وعلى
الاخص فى هذا كله الموت » . وتوقف الرجل الهرم ليبتلع
جرعة أخرى ثم قال : « ان الناس جميعا وحدة واحدة ، تماما كما
انك أنت وحدة واحدة . وكما ان الشر يماشى الخير فى نفسك
كذلك الناس جميعا فى نفوسهم الخير والشر ، امتزجا معا فى
كل فرد من ملايين هذه الامم ، نعم حتى فى افراد معنا نحن
أيضا . وكما أن الرجل ذا الضمير يصارع الاضداد فى
نفسه ، فإن هذه الاضداد المتناقضة تتصارع فى مجموع
الاحياء جميعا وفى العالم كله ، وعند ذلك تنشب الحرب . ان
جسم العالم يحارب أمراضه ليتخلص منها ، فلا تنزعج أنت
من ذلك لأن الخير يصمد دائما ويطرد الشر بعيدا كلما ظهر ،
وهذا الجسم المريض وتلك النفس المريضة يعودان دائما
للصحة والسلامة . ولقد يمرضان من جديد ، ولكنهما يتحسنان دائما
فكلما طرد منهما مرض جديد قويت الروح والجسد حتى يبلغا
من القوة ما قصد لهما ويتطهران من شوائب الفناء ، ويزدادا
نبلا ولطفا وصفاء فلا يمسهما الفساد بعد ذلك . ان كل انسان
فى هذا العالم مصيبا أو مخطئا انما هو يسعى ويحاول » .

وتنهذ الرجل الهرم وبدا عليه التعب وواصل حديثه : « نعم ،
حتى القاتل واللص يحاولان ، فليس هنالك من يموت اعتباطا .
اننا جميعا نموت ونحن نبحث عن الخلاص ، متطلعين الى الخلود ،
نريد أن نحقق الحق والعدالة ، ولا بد أن يأتى على الانسانية
جمعاء يوم نستطيع فيه نحن جميعا ، فردا فردا حتى آخر واحد
فيها ، أن نستقر وأن نسكن فنحصل على نعمة الخلاص
ونصبح خالدين ، ويستحيل هذا العالم الشرير الرائع الى
مكان تسود فيه السماحة ويسود فيه الخير بين الناس . »

وازداد تنهد الرجل الهرم عمقا وصمت لحظة ثم أخرج من جيب صدره قضاصة من الورق ناولها للصبي الساعي وهو يقول : هل أكلفك من جديد أن تحضر لى هذا الدواء من الصيدلية ؟

- نعم يا سيدى .

وخرج هومير مسرعا من المكتب .

ووقف وليام جروجان وحيدافى مكتب التلغراف ينظر حوله وقد امتلأ قلبه عطفًا على الاشياء جميعا ، ومازج شعوره فورة متوثبة من التودد والمحبة . وامتدت يده فى بطاء الى صدره تقبض على موضع قلبه وكأنما كان ينتظر صابرا هذه الازمة السريعة التى لم تعد تفجؤه . وعاد متراجعا الى مقعده ، وجلس جامدة جمودا مخيفا حتى استنفدت الازمة شدتها كلها .

وعاد الساعى من الصيدلية وناول عامل التلغراف العلبة الصغيرة ، فقال الرجل الهرم : ماء .

وملأ هومير كوبا من الورق بالماء وحمله الى الرجل الذى رفع من العلبة الصغيرة ثلاث حبات والقاها فى فمه ، ثم أخذ الكوب من هومير وابتلع الحبوب وقال : شكرا ، شكرا يا بنى .
- نعم ، ياسيدى .

وراح ينظر للرجل الهرم لحظة ليرى اذا كان سيتحسن أم لا ، ثم اتجه الى مكتب التوزيع والتقط بريقة الموت . ووقف برهة ممسكا بالبرقية فى يده ناظرا اليها ، ثم فتح مظروفها وأخرج الرسالة وقرأها . ولما فرغ منها أعادها الى مظروف جديد ثم ألصقه واستدار خارجا من المكتب تحت المطر . وغادر عامل البرق الهرم مقعده وراح يتبع الصبي الى الشارع ، ولكنه وقف على أفريز الطريق يرقبه وهو يدفع بنفسه فى الريح والمطر . وبدأ صندوق البرق يدق فى المكتب ولكن الرجل الهرم لم يسمعه . ودق التليفون والرجل الهرم لا يسمع ، ولم يستدر الرجل عائدا الى المكتب حتى كان التليفون قد دق سبع مرات طوالا .



- ١٩ -

الى أمي . . مع حبي

وبعد خمس عشرة دقيقة ترجل هومير من على دراجته أمام بيت عتيق جميل أقيم فيه حفل ، ورأى السباعى من فرجات النوافذ أزواجا من الشباب ترقص ، فأدرك أنهم جميعا فى الداخل سعداء مرحون، وأحسن بنفسه تمتلىء فزعا ومرضا . واتجه الى باب البيت ووقف هناك برهة يستمع الى الموسيقى ، ثم تجرأ فرفع أصبعه الى جرس الباب وترك يده تسقط من جديد الى جانبه . وقال لنفسه بصوت عال : « لا ، سأعود الى المكتب . أستقيل ، أنا لا أريد عملا كهذا » . وعاد فجلس على الدرجات المفضية الى البيت . وبعد أن لبث هناك وقتا طويلا قام مرة أخرى متجها الى الباب وضغط بأصبعه الزر الصغير . ولما فتح الباب ورأى أمامه امرأة شابة استدار هومير دون أن

يدري ماذا يفعل وعاد جازيا الى دراجته ، ولكن المرأة خرجت وراءه الى الشرفة وصاحت تناديه : « ماذا هناك بابني ؟ » فنزل هومير من فوق دراجته وسار في خطوات بطيئة الى الشرفة وقال للمرأة الشابة : « آسف ياسيدي .. اننى احمل بريقة لمسن كلود يابو فرير »

فقالت المرأة في فرح : « انها مى واليوم عيد ميلادها » واستدارت داخلة الى بهو البيت وصاحت : امى ، هنا بريقة لك . وجاءت ام الفتاة الى الباب وقالت : اوه .. انا متأكدة انها من « الان » . والتفت الى هومير قائلة : ادخل ، يابنى ، لابد ان تنال قطعة من كعك ميلادى .

— أشكرك ياسيدي ، اننى مضطر ان اعود مباشرة الى العمل .

ومد يده اليها بالبرقية فأخذتها منه وكانما البرقية ليست الا تهنئة بعيد ميلادها ، وقالت للصبي في مرح : ماتقوله هراء ، لن تعود حتى تأكل قطعة من الكعك وتشرب كوبا من الشراب . وقبضت على ذراع هومير وسحبته الى الداخل حتى مائدة مليئة بالفطائر والشطائر والشراب ، واستمرت الموسيقى والرقص والمرأة تقول له : « ان اليوم عيد ميلادى يابنى » .

وضحكت قائلة : « رباه انى عجوز .. لابد ان تتمنى لى السعادة يابنى » . وناولت هومير كأسا من الشراب ، فبدأ هومير يقول : « أرجو لك .. » ولكنه توقف وراح يحاول من جديد « أرجو لك .. » ولم يستطع ان يقول شيئا ، فوضع الكأس على المائدة وخرج مندفعاً الى الباب . ونظرت الام حولها ثم اتجهت الى ركن لا يراها فيه احد . وتحركت الابنة الى ركن آخر

مقابل وهى ترقب أمها . اما هومير فركب دراجته واندفع مسرعا خلال المطر عائدا الى مكتب التلغراف . وعلى الحائط فى البهو امام الام تدلت من اطرافها صورة صبي جميل ذى شعر احمر ، وقد كتب عليها : « الى امى مع حبى » ، من الان فى عيد ميلاده الثانى عشر . وفتحت الام البرقية وقرأتها فراحت تبكى دون ان يرتفع لها صوت ، على حين استمر الحاكى يغنى « أنشودة لفتاتى السمراء » ، والجمع السعيد يواصل الرقص على الغناء . وتطلعت الابنة من الغرفة الى أمها فى البهو ، ثم انطلقت فجأة وكانما فقدت صوابها ، فأغلقت الحاكى وصاحت باكياً : « امى » ، واندفعت اليها فى البهو .



- ٢٠ -

١١٥

انه حظك العاثر لا حظى أنا ..

قذفت السينما بروادها بعد أن انتهى العرض الاخير . وفى الطريق التفتت بس الى السمين وقالت : لا بد أن نعود الآن الى البيت .

فقال السمين : « شكرا لكمايا سيدتى » . وحن الوقت أن يتبادلوا التحية وأن ينصرفوا ، ولكنهم مع ذلك وقفوا فى الطريق معا ينتظرون وكأن شيئا جميلا راثعا على وشك أن يقع . وراح السمين ينقل النظر بين مارى وبس ثم اتجه فى يسر تام وبراءة كاملة فقبل بس ثم مارى .

وصاح المسمى الحصان : « ونحن ؟ أنا وتكساس ؟ نحن أيضا لسنا نكرات ، اننا فى الجيش كذلك » . وهكذا قبل الجندى بس ومارى هو الآخر وجاء دور تكساس فقبلهما من

بعده • وكانت هناك امرأة في الطريق راحت ترقب المنظر في
تقزز مرير ، فاستدارت القتاتان ومضتا مسرعتين تهبطان
الطريق • وقفز الحصان الى أعلى ودفع بتكساس أمامه ، فقفز هذا
الاخير أيضا ودفع السمين ، ومالوا جميعا الى جانب الطريق
يتصايحون •

وقال الحصان : ياهوه ! • ياهوه ! • أما أنت ياتكساس !
وهذا السمين !

وصاح تكساس على السمين : « كيف يا بني •• كيف
استطعت أن تتكلم هكذا كأحسن شيخ في البرلمان •• السناتور
الهرم السمين من جامعة شيكاغو ! »

وضحك السمين يزقزق في صخب وهم ينحدرون في الطريق
المظلم متصايحين يقهقهون وهم يتدافعون •

وصاح عليهم السمين : أوه •• عندما أدخل البرلمان •• سأكلهم
حقا كاملا جديا ! •

فصاح الحصان : « يوبى ، أمامى ، أيتها العجول ، انه حظك
العائر لا حظى أنا » (١)

وبدأ الجنود الثلاثة يقفز بعضهم على بعض ، فيتقدم أحدهم
وينحني ، ليقفز عليه الآخران ، ثم يعتدل ليأخذ دوره في القفز
على من تقدم منهم وانحني ، وهكذا سلكوا الطريق الخالد
يقربون شيئا فشيئا الى الحرب !

(١) هذا مطلع انشودة من اغاني الغرب الامريكى كان يغنيها رعاة البقر
وهم يدفعونها الى المذابح



- ٢١ -

عالم أجمل وأناس أفضل

عندما عاد الساعي الحزين من منزل عائلة بوفيرير الى مكتب التلغراف كان المطر قد توقف وشع نور القمر وقد راحت قطع من السحاب الخالي المتهالك تساق بيضاء عبر السماء . وأحس الساعي بتعب شديد وهو يدخل المكتب بساقه العرجاء .

وقال له عامل التلغراف الهرم : ماذا جرى لساقك يا بنى ، انك طوال اليوم تعرج .

- أوه لاشيء .. هل هناك برقيات جديدة ؟

فأجاب مستر جروجان : لا ، لاشيء .. وعما قريب تستطيع أن تعود الى بيتك فتنام ، ولكن قل لى ماذا حدث لساقك ؟

فقال هومير وهو يمد ساقه يجربها : « أعتقد انها التوت أو كسرت ، أو شيئاً من هذا .. لقد كنت أجرى فى سباق المائتين والعشرين ياردة، وأظن أن مدرب المدرسة لا يحبنى أبداً . ولكنها

كانت غلطتى أنا ، فقد كنت أجري فى المقدمة ورأيتة قادمالى
المجرى يحاول أن يوقفنى ، وكنت أستطيع أن أتوقف لو أننى أردت ،
ولكنى لم أكن أريد ذلك ، اذليس له الحق فى أن يوقفنى ،
ولهذا قفرت بالرغم منه ووقعنا معا على الارض . وعند ذلك توقف
بقية الاولاد جميعا عن الجرى نتيجة لهذا التدخل ، فقد قال لهم
ذلك ولد اسمه هبرت أكلى الثالث . وهذا الولد لم أكن أنا أبدا
أحبه ، فهو من أسرة غنية ومهذب جدا ، والى جانب هذا فان الفتاة
التي أحبها أنا ، وهى هيلين اليوت . . تحبه هو . وكلما ازدادت
تعلقا به ازدادت تحرقا وحبا لها . ولكنى أظنها لا تلاحظ وجودى
أبدا . أوه ، لا ، لا ، لا أعتقد أنها تستطيع أن تتجاهل وجودى ،
ولكنها تتصور أنى مغرور ، ولا أحسب أنها تحبنى أبدا ، بل من
الجائز أنها تكرهنى فعلا ، بالرغم من أنها الشخصصر الوحيد فى هذا
العالم الذى أحبه أكثر من أى انسان آخر خارج أفراد أسرتى .
وفى الحقيقة يامستر جروجان أن هذا المدرب الذى اسمه بايفيلد
قد يكون طيبا اذا استطعت أن تفهمه ، ولكنى لا أعرف أحدا قد
استطاع ذلك . انه دائما يثير المتاعب حوله ، ومس هيكس
تقول انه يكذب أيضا . . مس هيكس هذه ، هى التى تدرس لنا
التاريخ القديم ، وهى تدرس فى مدرسة ايتاكا العليا منذ خمس
وثلاثين سنة ، وقد درست لاخى ماركوس وأختى بس ، وبعد أن
وقعنا معا قمت أنا طبعا وبدأت العدو من جديد ، وعند ذلك -
بكل أمانة - بدأ الاولاد الآخرون يعدون . وقد أحسست اذ ذاك
أن شيئا قد حدث لساقى ولكنى لم أتوقف لارى ما حدث ، فقد
كنت أريد أن أفوز فى السباق . وأنا لم أكن أريد أن أفوز لمجرد
الفوز ، بل لم أكن أريد حتى أن أهزم أكلى . . أتعرف أننى
دهش من هذا الغلام ، فهو الذى أوقف الاولاد عن الجرى عندما عطلنى
مستربايفيلد . وأنا أعتقد أنه ولد طيب ، ولكن كل مافى الامر أن
أخلاقه مهذبة أكثر مما يجب . وأقول لك الحق يامستر جروجان
ان السبب الحقيقى الذى جعلنى فى مبدأ الامر أريد أن أجري فى
سباق المائتين والعشرين ياردة هو أن مستر سبانجلر قد فاز فى هذا
السباق عندما كان فى مدرسة ايتاكا العليا ، ولكن بعد الذى
حدث لى ، أصبحت أريد أن أفوز لاجل مس هيكس .

لقد اشتبكت أنا وآكلي ونحن في الفصل في جدال بسيط ،
فاضطرت طبعاً مس هيكس أن تحجزنا بعد المدرسة . ولكن
بايفيلد ، هذا المدرب ، جاء إليها كاذباً وأخدمه آكلي ولم يخلصني
أنا . وقالت لي مس هيكس أنه يكذب كما اعتاد أن يكذب عندما
كان في فصل التاريخ القديم ، وتأملت هي جداً من هذا ، وأظن أن
كل ما هناك أنها لا تستطيع أن تحتل هؤلاء الناس الذين يكذبون
على هذا النحو . وراحت تتحدث إلى ، وحكت لي عن أخي ماركوس
ثم قالت لي اذهب الآن واجر في السباق . ان مستر سبانجلر
كان بطل الوادي وأنا أريد أن أكون في يوم ما بطل الوادي
كذلك ، غير أنني لأعتقد أنني أستطيع أن أفعل ذلك هذا العام .
وراح الساعي يحرك ساقه ليلينها مرة أو مرتين ثم قال :
« أظن أنه يحسن بي أن أدلكها الليلة بشيء من الدهان . هل أنا
أعرج بشكل ملحوظ ؟ »

فأجابه مستر جروجان : لا ليس عرجك ملحوظاً جداً ، ولكنه
قد يلحظ على أية حال . قل لي ، هل تتركب دراجتك بسهولة ؟
- « أوه طبعاً . . . انها تؤلمني قليلاً وخاصة عندما أرفع ساقى
اليسرى ، ولهذا أحرك العجلة برجلي اليمنى فقط وأكاد أسند
فقط باليسرى ، وأحياناً أرفعها عن « البدال » وأتركها تتدلى
فتستريح في هذا الوضع . لا بد أن شيئاً قد حدث للياف الساق .
سأدلكها الليلة بالدهان »

وسادت بينهما لحظة من الصمت قطعتها عامل البرق الهرم قائلاً :
لقد تغيرت قليلاً منذ جئت تعمل هنا من ثلاثة أيام ، أليس كذلك ؟
- اذن قد لاحظت ذلك يا مستر جروجان ؟ . . . نعم ، . . . أعتقد
أنى تغيرت فعلاً ، لقد كبرت ، وأظن أن الوقت حان لهذا . اننى
لم أكن أعرف شيئاً أبداً قبل أن أعمل في هذه الوظيفة ، أوه . . .
لا . . . كنت أعرف أشياء كثيرة ولكننى لم أكن أعرفها معرفة
كاملة ، وما أظننى أستطيع ذلك أبداً ، بل ما أظن أحداً يستطيع
ذلك . فليس هناك ما يدعو إلا أقدر أنا على هذا اذا قدر عليه
أحد غيرى . ان كل من في مدرسة ايتاكا العليا ، حتى أولئك الذين
لا يحبوننى ، يعتبروننى أذكى طالب هناك . ولكننى لأرى نفسى
ذكياً الى هذا الحد فأنا كغيرى لأفهم كثيراً من هذه الأشياء الهامة

جدا • اننى أريد أن أعرف وسأظل دائما أريد أن أعرف ، سأظل أحاول دائما ولكنى لأعرف كيف أصل الى ذلك • كيف يستطيع أى انسان أن يرى الامور كلها واضحة مستقيمة لها معنى ؟ فقال عامل البرق الهمرم : « لاتسلى كيف يستطيع الانسان أن يعرف فأننا لا أعرف ذلك ، ولكننى سعيد أنك قد عزمت على أن تظل تحاول • - ولكننى مضطر أن أظل أحاول • اننى يامستر جروجان لا أعرف ماذا يحس به الناس الآخرون ، ولا أعرف اذا كنت أستطيع أن أجعلك تفهمنى أم لا ، ولكنى أريد أن أقول لك ، اننى لست مجرد هذا الشخص الذى يراه الناس ، ان هناك شخصا آخر بجانبه • • • شخصا آخر أفضل ، وان كنت لأستطيع أحيانا ان أعرف ماذا أفعل به • • • »

واسترسل الساعى فى حديثه منطلقا ، فقد كان متعبا تؤلمه ساقه ، مرتبكا لانه حمل رسالة الموت لذلك البيت السعيد ، مستشعرا متأكدا مع ذلك كله أن هذا العامل العجوز رجل طيب يستطيع أن يفضى اليه : « لا ، لا ماذا أفعل بهذه الافكار الكثيرة التى تجيئنى ، عن عالم أجمل ، وأناس أفضل ، وطريقة للحياة أحسن من هذا » • وتوقف لحظة ثم واصل حديثه : « لو اننى أكلم أحدا غيرك يامستر جروجان لحجلت ، ولكننى أحسن اننى فى يوم ما سأتحرك للعمل وأحقق شيئا • وعلى الرغم من أنى لا أدري الآن ماهذا الذى سأحققه الا أننى واثق أنه سيكون شيئا كبيرا • لقد كنت أعيش من قبل وأنا لا أكاد أعرف شيئا أبدا وأقضى وقتى كله وكأننى فى حلم سعيد من أحلام اليقظة !! ان عائلتى جميعها من السعداء ، فنحن جميعا من أولئك الذين يحبون المرح ، ولكننى يامستر جروجان لم أكن أعرف شيئا • أما الآن فقد بدأت أتعلم • • أتعلم قليلا جدا ، ويوما بعد يوم تزداد معرفتى قليلا قليلا فأدرك شيئا من هنا وشيئا من هناك وأعرف عن هذا أو أفهم من ذاك • • » •

وتوقف الساعى من جديد وراح يختبر ساقه وكأنما يتوقع انها ستشفى وهو يتكلم ، فلما أحس بأنها واصل كلامه : « اننى يامستر جروجان لأستريح لهذه الحالة التى عليها الامور ، ولست أعرف لماذا أريد أن تكون أفضل ، فقد يكون هذا لمجرد

اعتقادي أن من الضروري أن تكون أفضل . ولكنني أعرف على الأقل شيئاً واحداً حتى الآن . أعرف أنني لا أعرف شيئاً ، وأنني عازمت على أن أظل دائماً أتعليم . سأكون منذ الآن يقطاً لأحظ كل شيء وأفكر دائماً في هذا . ولقد يجعلني هذا أحس أنني وحيد ، ولكنني ما عدت أهتم بذلك ، فأننا وإن كنا نحب دائماً أن نكون مرحين سعداء إلا أننا أيضاً ذوو جلد نستطيع أن نحتمل . وليس ما أخشاه الآن هو أن أحس الوحدة في نفسي أنا ، فقد أصبحت أخشى على أولئك الناس الذين لا يستطيعون الجلد والاحتمال . ومع ذلك يجرحون وتملاً نفوسهم الوحدة ، أنني عرفت الآن ما لم أكن أعرفه من قبل ، وتبدى لي أن العالم مليء بأمثال هؤلاء الناس . أنني لم أعد الآن أهتم حتى ولو أن هيلين اليوت لم تحبني !! أنا حقاً أتمنى أن تفعل ، ولكن ماذا إن لم تحبني !

أنني أحبها بكل قلبي غير أنها إذا شئت أن تحب هبرت آكلي الثالث بدلاً عنى فلن أدع هذا يؤلني . أنه شاب طيب ، وأظن أن فتاة مرفهة مثلها تفضل أن يكون صاحبها شاباً مهذباً مصقولاً كهبرت آكلي الثالث ، ولست أظن أنني سأكون مهذباً أبداً ، فأنا لا أفعل إلا ما أعتقد أنه صواب وما أجد نفسي مضطراً إلى أن أفعله . اني في المدرسة ، أقول أشياء مضحكة كثيرة ، ولكنني لا أقصد بهذا أن أسبى إلى المدرسين أو أن أسبب لهم المتعب . أفعل ذلك لأنني مضطّر له ، فكلما تطلعت حولي ورأيت الجميع حزانى مرتبكين ورأيت الأمور كلها تسيير بطيئة بليدة أو منحرفة ضالة ، وجدت نفسي مضطراً بين الحين والحين إلى أن أبعث فيهم المرح . فأنا أعتقد أن علينا أن نستخلص من حياتنا شيئاً من الفرح والسرور ، ولا أظن أنني أستطيع أن أكون مهذباً مؤدباً عن عمد حتى ولو أردت ذلك ، وما دمت لم أقصد فكيف أستطيع أن أكون . »

وزاح الساعى يشنى ساقه مرة أخرى متكلماً عنها وكأنها ليست منه : « لا بد أن فيها شيئاً » . ورفع نظره إلى الساعة ثم قال : « الساعة الآن يا مستر جروجان ، الثانية عشرة وخمس دقائق . وأظن أنني سأعود الآن إلى البيت وإن كنت لا أشعر الليلة بحاجة

شديدة الى النوم • ان غدا هو يوم السبت ، وكان السبت خير الايام عندي ولكنه الآن • • لم يعد كذلك • سأتى غدا الى المكتب فقد أستطيع أن أقدم مساعدة ما ، ورفع صندوق طعامه من مكتب التوزيع وهو يقول : « ألا تحب أن تأخذ قطعة ساندويتش الآن يا مستر جروجان ؟ »

فأجاب العامل العجوز : « نعم ، ما دمت قد فكرتني بذلك يا بنى فأنا الآن جوعان » وأخذ مستر جروجان الساندويتش من الصندوق المفتوح وقضم فيه وهو يقول : « بلغ والدتك شكرى على هذا • »

- أوه • • هذا لا شىء •

- لا • • أنه شىء كبير • • أرجوك أن تشكرها بالنيابة عنى •

- سأفعل يا سيدى •

وترك هومير المكتب عائدا الى البيت •



- ٢٢ -

فلتدع النور يعم

خلا المكتب الا من وليام جروجان ، فقام يتحرك في ببطء وتراخ ، وهو الذي كان في يوم من الايام شابا يسبق عمال البرق جميعا بسرعته ، ومضى الى المنضدة التي يعمل عليها يرتبها ويزيح الاوراق من فوقها ، وراح الرجل يعمغم لنفسه نغما قديما بقى في ذاكرته من أيام شبابه الاوئى . وبينما هو في عمله دخل عليه توماس سبانجلر ومضى صامتا الى مكتبه وهو ما زال منتعشا بالجلسة عند كوربيت ، مثقلا شيئا ما بالحمر التي شربها ، منتشيا بذلك المزيج الفريد من السعادة والدوار العميق الساكن . ونظر متطلعا الى العامل الهرم دون أن يتكلم . معتمدا على ما بينهما من تفاهم عميق ، فما أكثر ما جلسا معا ساعة أو ساعتين يعملان دون أن يتبادلا كلمة واحدة . ورفع سبانجلر البيضة التي تجلب له الحظ من فوق كومة البرقيات وراح يتأمل في دقتها وانتظامها العجيب . ومرت بخاطره فكرة حلوة من فتاته ، فرد البيضة

- ١٢٣ -

الى مكانها فوق كومة البرقيات ومط شفتيه كى يتكلم كما تعودت
هى أن تتكلم : انك تحبنى أليس كذلك ؟ نعم ، نعم أنت تحبنى •
فنظر العامل الهرم الى مدير المكتب وقال : توم ، ما هذا ؟
- ويللى ، ماذا تقول فى امرأة شابة تقول لك •• أنظر ••
هكذا •• أنك تحبنى ، أليس كذلك ؟ نعم ، نعم أنت تحبنى •
فقال مستر جروجان : لا أدرى •• ماذا عسائ أقول فى هذا ؟
- ألا تحب امرأة كهذه يا ويللى ؟ •• ومضى سبانجلر يـقـلـدهـا
من جديد : أنك تحبنى ، أليس كذلك • لقد ظلت طول الوقت
تقول هذا •

وفرك سبانجلر وجهه كأنما يريد أن يعلو على ما يغمره من سعادة
ثم قال : ماذا تنوى أن تفعل الليلة ؟

- كالمعتاد •• اللهم الا أن الليلة ممطرة •

- وكيف حال الساعى الجديد •• هل هو صالح ؟

- أوه •• هذا أفضل ساع عرفته •• ما رأيك أنت فيه ؟

- انه أعجبنى منذ اللحظة التى جاء فيها يطلب عملا ••
« أنك تحبنى ، أليس كذلك ؟ » • انه لم يكن يستطيع أن
يتخلص من ذكرى هذه الطريقة الحلوة التى تقول بها تلك الكلمات
القليلة ولكنه واصل كلامه : أنا مسرور ! انك تحبه • اسمع
يا ويللى ، لا تشغل بالك اللينة باغلاق المكتب ، سأفعل أنا ذلك ،
فعندى عمل قليل أريد أن أفرغ منه • ألا ترى معنى أن اسم هذا
الساعى اسم غريب ممتاز ؟ •• هومير ماكولى • لماذا تظن أن أباه
قد أسماه هومير ولم يسمه مثلاً توماس أو وليم أو هنرى أو شيئاً
مثل هذا •• « ولم ينتظر سبانجلر أن يجيبه الرجل بل استمر
يقول : « نعم ، نعم أنت تحبنى » •

ولكن جروجان قال : وأخو هومير أيضا اسمه يوليسس ولكن
أخته اسمها بس •

- هومير ، يوليسس ، وبس •

- ولهم أخ آخر اسمه ماركوس فى الجيش •

- ماركوس ، هومير ، يوليسس وبس •• ويللى لم لا تعود

الى البيت ؟

- « البيت ؟ » • وابتنسم مستر جروجان وهو يقول : اذا سمحت يا توم دعنى أبقى هنا معك ، فليس لدى مكان أذهب اليه أو شىء أفعله بعد عملى الا أن أذهب للنوم ، وأنا لا أنعم بالنوم كثيرا ولا أحبه •

فأجابه سبانجلر وكأنما يحدث طفلا صغيرا : اسمع يا ويللى • أنا لا أريد أبدا أن تقلق بالك ، فأنا أعرف أنك منزعج وليس هناك ما يدعو لذلك • أنك لست هرما ولن يحيلك أحد على المعاش • وأنك تعرف تماما أننى لا أستطيع شيئا فى هذا المكتب بدونك • أنك ستعيش حتى تبلغ المائة وستظل تعمل كل يوم فى حياتك •

- « شكرا » • وتوقف العامل الهرم عن الحديث برهة ، ثم قال فى صوت خافت : « لقد جاءتنى الليلة الإزمة مرة أخرى • • أوه • • لم تكن خطيرة • • وقد كنت أستشعر مقدمها منذ مدة • وكان الصبى معى هنا فأرسلته يحضر لى الدواء • وأنت تعرف أننى يجب ألا آخذه • وأننى على العكس من ذلك مفروض أن أرى الطبيب ومفروض أن أستريح » •

- أوه يا ويللى • ان الاطباء لا يعرفون كل شىء • • انهم يفهمون فى المادة أما الروح فلا • • وأنا وأنت نعيش بالروح !! • وفجأة قال سبانجلر : انت تحبنى أليس كذلك ؟ ان الاطباء جميعا لا يفهمون شيئا الا المادة فحسب • ولكن قد يكون من الافضل على أية حال أن تستريح قليلا •

- أوه • • سأستريح يا توم • • سأستريح الراحة الكبرى • - اسمع يا ويللى • • سر الى الناصية حتى كوربيت فخذ لك كأسا واستمع الى البيانولا قليلا ، ثم عد نتذاكر هنا الماضى • أتذكر ولنسكى وتوملنسون ودافنيوزالهرم ؟ أتذكر هارى بول عامل الخط وفرد ماكينتر المجنون وجرى بياتى العجيب ؟ اذهب • • اذهب يا ويللى ، خذ لك كأسا أو اثنتين وتعال نتذكر الايام القديمة •

- لكن يا توم ، من المفروض ألا أشرب • • أنك تعرف أنه يجب على ألا أفعل ذلك •

- أنا أعرف طبعاً أنه من المفروض ألا تشرب ، ولكن أعرف أيضاً أنك تحب أن تشرب ، وقد يكون ما يحبه المرء أحياناً أهم مما يجب عليه أن يفعله ، فاذهب .. اذهب وخذ لك كأساً .

- « حسناً يا قوم » وخرج مستر جروجان مغادراً المكتب .

ومنذ ثلاث دقائق مضت كان علي الافريز أمام المكتب شاب ظل يروح ويجيء عدة مرات ، ثم دخل المكتب أخيراً ووقف عند المنضدة الطويلة ، فلحظه سبانجلر وقام إليه وقال له رقد تذكره : « أهذا أنت ؟ كنت أظن أنك الآن في طريقك منذ مدة الى بيتك في بنسلفانيا . لقد أرسلت اليك أمك النقود ولم يكن هناك ما يدعو أن تعود لتدفع لي » .

- أنا لم آت لأدفع لك ، لقد جئت أحد من جديد ، وسعل الشاب وهو يقول : ولن أستجديك هذه المرة بل سأخذ منك عنوة .

- ماذا جرى لك ؟

فأخرج الشاب من جيب معطفه الايمن مسدساً وحمله في يده المرتعشة وهو يقول : هذا ماجرى لي . غير أن توماس سبانجلر وما زال محموراً سعيداً لم يستطع أن يفهم الشاب . فعاد هذا يقول له : « هيا .. هيا اعطني النقود .. كل ما عندك هنا من نقود . ان الناس جميعاً يقتلون بعضهم بعضاً ولن يهتمنى فى شىء أن أقتلك ، ولن يهتمنى فى شىء أن أقتل أنا أيضاً . اننى الآن ناثر مضطرب ولا أريد أن أثير المتاعب ، ولكنك اذا لم تعطينى .. الآن .. كل النقود .. فسأطلق الرصاص .. هيا ، هات النقود .. أسرع »

ففتح سبانجلر الدرج وأخرج النقود من جوانبه المتعددة ثم وضعها جميعاً بما فيها من أوراق وقطع معدنية ملفوفة وأخرى مبشرة وأزاحها جميعاً على المنضدة أمام الشاب ثم قال له : لقد كنت أعطيك النقود على أية حال ، لا لأنك ترفع هذا المسدس على ، بل لأننى أعرف أنك تحتاجها . خذ ، خذ ، هذا كل ما هنا من مال .. خذها جميعاً واركب القطار وعد الى البيت .. عد الى حيث

تنتمى .. فأنا لن أبلغ عن السرقة وسأستوى الأمر بنفسى ..
انها حوالى خمسة وسعين دولارا ..

وانتظر سبانجلر حتى يأخذ الشاب النقود ، ولكن الشاب لم
يشأ حتى أن يلمسها ، فعاد سبانجلر يقول :

- أنا أعنى ما أقول .. خذ النقود واذهب فأنت بحاجة اليها . انك
لست مجرما ولست مريضا بحيث لا يمكن أن تشفى .. ان أمك
تنتظرك ، فخذ هذه النقود هدية منى اليها ولن تكون لصا اذا
أخذتها . نعم .. خذها وابعدها المسدس وعد الى البيت .
ألق هذا المسدس بعيدا فستشعر أنك تحسنت .

وأعاد الشاب المسدس الى جيب معطفه ، ثم رفع يده التى حملته
الى فمه المرتعش وهو يغغم : أستحق الآن أن أذهب فأطلق
الرصاص على نفسى .

- « لا تكن أحمق » . وجمع مدير المكتب النقود جميعا ومد
بها يده الى الشاب : « هاهى .. هذا كل ما هنا من نقود ، وليس
هناك الا أن تأخذها وتعود الى البيت ، واذا أردت .. فاترك
معى هذا المسدس .. هذه هى نقودك .. نعم نقودك . فقد
رفعت من أجلها المسدس . اننى أعرف شعورك تماما لقد أحسست
به من قبل ، ومر علينا ما أنت فيه الآن . ان القبور والاصلاحيات
ملينة بأولاد أمريكا الطيبين الذين عانوا من الحظ العاثر والايام
القاسية . انهم ليسوا مجرمين .. » ثم قال له فى صوت حنون :
« خذ .. خذ هذه النقود وعد الى البيت » .

وأخرج الشاب المسدس من جيبه وأزاحه على المنضدة الى
سبانجلر الذى أسقطه فى درج النقود المفتوح .

وقال الشاب : « أنا لا أعرف من أنت ، ولكنى أعرف أن احدا
من قبل لم يكلمنى كما تفعل أنت . اننى لا أريد المسدس .. ولن
أخذ النقود .. وسأعود الى البيت . لقد سألت الناس فى الطريق حتى
جئت الى هنا ، وسأسألهم من جديد حتى أعود » . وراح يسعل لحظة
ثم قال : « انى لا أعرف من أين جاءت أمى بالثلاثين دولارا فليس
لديها ما تستغنى عنه ، ولكنى سكرت ببعضها وقامرت ببعض
الآخر .. »

فقاطعه سبانجلر قائلا : « تعال .. ادخل هنا واجلس » .
وتردد الشاب لحظة ثم ذهب الى المقعد بجوار المكتب فجلس عليه ،
وجلس سبانجلر فوق المكتب ثم التفت للشاب يسأله : قل لى ..
ماذا بك ؟

- لست أدرى تماما .. أظن أنى مريض ، وقد أكون مسلولاً
فلست متأكداً ، غير أنى لم أكن مريضاً فمن المعقول جداً أن تسلمنى
الحياة التى عشتها . اننى لأحب أن أشكو فأنا أعرف أن كل ما قابلت
من حظ عاثر انما هو من عملى أنا وحدى . سأذهب الآن ..
فألف شكراً لك ، وسأحاول أن أذكرك فى يوم ما » .

واسستدار الشاب يريد أن يغادر المكتب غير أن سبانجلر
استوقفه قائلا : « انتظر لحظة .. اجلس .. وهون عليك ، فلديك
الآن متسع من الوقت ولست متعجلاً كما كنت ، ويحسن أن
تحاول منذ الآن أن تتحرك فى اناة قليلاً . قل لى ما الذى تحب
أن تعمله ؟ »

- لست أدرى .. أنا لست أدرى أى طريق أسلك أو أى عمل
أأخذ ، أو أى اله أو من به . اننى لأدري شيئاً على الاطلاق . لقد
كان أبى قساً ولكنه مات وأنا فى الثالثة . وأنا الآن - لا أدري ماذا
أعمل .. وتوقف الشاب ينظر لسبانجلر لحظة ثم قال : « وماذا
هناك يعمل المرء على أية حال ؟ »

- أوه .. لاشئ بالذات .. يعمل المرء فى أى شئ ، فليس
من المهم ماذا يعمل المرء مادام العمل صالحاً شريفاً .

- لقد كنت دائماً قلقاً ناقماً ، وست أدري ما معنى هذا ، ولكنى
لم أجد أبداً للاشياء معنى . اننى لأحب الناس ولا أحب أن أكون
قريباً منهم ، اننى لا أثق فيهم ولا أحب هذا النجو الذى يتبعونه
فى معيشتهم ، ولا هذه الطريقة التى يتحدثون بها ، ولا هذه الاشياء
التي يعتقدون فيها ، وأكره مسلكهم فى ارغامهم بعضهم بعضاً ..

- لقد مر هذا الشعور بكل انسان فى وقت أو آخر .

- وليس هذا كله لاننى لا أفهم نفسى ، فانى أعرفها فيما أعتقد .
لا ، ليس لى عذر أبداً ، اننى مسئول عن كل ما حدث لى ، لقد
أصبحت الآن تعباً ، معلولاً ، مريضاً ، وقد زهدت فى كل شئ !

أرى العالم وكأنه قد جن كله ! اننى لا أستطيع أن أعيش الحياة
 التى أريدها لنفسى ، ولا أستطيع أن أحمل نفسى على قبول أى حياة
 أخرى ، فليست النقود هى ما أريد أو أحتاج ، اننى أعرف اننى
 أستطيع أن أحصل على عمل وخاصة الآن ، ولكنى لا أحب
 أولئك الناس الذين يقدمون العمل ، فهم قوم سوء . اننى
 لا أستطيع أن أتدنى لهم ولا أستطيع أن أدع أحدا يرغمنى على شيء .
 لقد حاولت فى يورك وبنسلفانيا أن أحتفظ ببعض ما حصلت عليه
 من أعمال ، ولكنى كنت أشتك دائما فى عراك فى فصلونى .
 كنت أقضى فى كل عمل ثلاثة أيام أو أربعة وأظل فيه أسبوعا
 أو أسبوعا ونصفا ، وأطول ما بقيت فى عمل كان شهرا واحدا .
 وقد حاولت وأنا فى نيويورك أن التحق بالجيش ، وقلت لنفسى
 هذا أحسن ما يمكن أن أفعل ، فقد أرسل بعيدا ، وقد أقتل ،
 وهم اذا كانوا سيرغمونك فى الجيش أو يتراسون عليك فهم
 يفعلون ذلك لغرض قد يكون محتما كريما بعض الشيء .
 ولست أدري اذا كان حقا محترما كريما أم لا ، ولكنه على الأقل
 مفروض أن يكون كذلك . غير أنهم على أية حال لم يقبلونى ،
 فقد فشلت فى الكشف الطبى ، لا بسبب رثتى فحسب ، بل لأنهم
 وجدوا ايضا أشياء أخرى لا أدري ما هى ولم أهتم أبدا أن أعرف .
 وبدأ الشاب يسعل من جديد و طال سعاله هذه المرة دقيقة
 كاملة ، فأخرج سبانجر زجاجة من أحد أدراج المكتب وقال : حذ
 اشرب لك جرعة .

- شكرا .. اننى حقاً قد شربت كثيرا ولكنى محتاج الآن
 لهذا .

وشرب جرعة من الزجاجة وأعادها الى سبانجر وهو يشكره .
 وقدر سبانجر بينه وبين نفسه أن يستحث الشبيب على أن
 يستمر فى حديثه ، فقال له متسائلا : وماذا تقرأ ؟

- أوه .. أقرأ كل شيء .. أو على الأقل كنت أفعل ذلك
 عندما كنت فى بيتنا . كان لدى أمى كتب كثيرة ولم تكن كلها
 كتباً دينية بل كان فيها كتب جيدة لأولفين ممتازين . وكان
 الكاتب الذى أحبه وأفضله هو وليم بليك ، أظنك تعرف كتاباته .

ولكنى كنت أقرأ شكسبير ، وملتون ، وبوب ، ودون ،
وديكينز ، وثاكرى . . . كنت أقرأهم جميعا . لقد قرأت كل
كتاب كان عند أبى ، بل قرأت بعض الكتب مرتين والقليل منها
قرأته ثلاث مرات . كنت أحب القراءة ولكننى لم أعد أشعر
بذلك الآن أبدا . اننى لم أعد أحب الآن حتى النظر فى
الجرائد اليومية ، انى لا أعرف الاخبار ، فماذا فيها الا أخبار
الفساد والقتل فى كل مكان دون أن يهتز انسان فى العالم لشيء
من هذا كله . ووضع الشاب رأسه فى يديه وراح يتكلم فى
صوت خافت دون أن يرفع رأسه : انى لا أستطيع أن أشكر على
ما فعلت ولا أن أشكر فيك هذا الانسان الذى كنته . فلا بد أن
أقول لك انك لو كنت قد خشيتنى أو أسأت الى ما ترددت أبدا فى
اطلاق الرصاص عليك . . ان الناس جميعا فى هذه الدنيا جنباء
قساة ، وأنا أعرف . اننى لم أت الى هنا أحمل مسدسا من أجل
النقود . قد لا تستطيع ان تفهمنى ولكنى أريد أن أقول لك
اننى جئت حتى هنا بمسدس لارى هذا الرجل الذى كان
سمحا كريما مع انسان آخر لا لغرض الا لان يكون سمحا كريما ،
ولأن أعرف وأطمئن أنه هكذا حقا وأن الأمر كله لم يكن مصادفة
أو اعتباطا !! انى لا أستطيع أن أعتقد أن هناك انسانا واحدا
كريما سمحا حقا ، فان هذا سيفسد على تصورى للأشياء
كلها وفهمى للناس جميعا . لقد صرت أعتقد منذ زمن بعيد أن
الجنس البشرى كله فاسد لا أمل فيه ، وأنه ليس هناك انسان
واحد جدير بأن يسمى انسانا أو بأن ينال التقدير والاحترام من
انسان آخر . لقد ظلمت أمدا طويلا لا أحمل فى نفسى الا
الاحتقار والزراية بالضعيف المسكين والمتكبر المتعجرف على
السواء . ولكن هنا أجد فجأة فى بلد غريب ، وعلى أميال بعيدة من
وطنى ، رجلا سمحا كريما . لقد أقلقنى هذا وأقلقنى زمانا
طويلا ، وكان على أن أتحقق وأن أتأكد . فأنا لم أكن أستطيع أن
أؤمن أو أن أصدق ما وقع لى . كنت أريد أن يكون هذا حقا
وكنتم أريد أن أؤمن به ، فطالما قلت لنفسى سنوات عديدة :
« دعنى أجد انسانا واحدا ظاهرا غير فاسد فى هذا العالم كله ،
فأستطيع أنا أن أنظر وأن أتجنب الفساد ، وأستطيع أن

أومن وأن أعيش ، ولم أكن متأكدا عندما التقينا أول مرة ،
أما الآن فقد تأكدت ولم أعد أطلب منك دليلا آخر . لقد
أعطيتني كل ما أريد وليس في وسعك أن تعطيني شيئا بعد ذلك !
اني أعرف أنك تفهم ما أقوله كله وعندما أقوم الآن فانما أقوم
لاودعك . وأنا لا أريد منك أن تقلق على فليس هناك ما يدعو
لذلك ، انني عائد الى بيتي . الى حيث أنتمى ، ولن أموت بهذا
المرض بل سأعيش ، وقد عرفت الآن كيف

وظل الشاب لا يرفع رأسه لحظة ثم قام فى ببطء ونظر الى
سبانجلر ثم قال : « ألف شكر » .

وزاح سبانجلر يرتب الشاب وهو يسير مغادرا المكتب ثم ذهب
الى درج النقود فردها جميعا الى حيث كانت ، وأخذ مسدس
الشاب فأفرغ الرصاص منه ووضعوه فى الدرج وأسقط
الرصاصات فى جيب معطفه . ثم اتجه سبانجلر بعد ذلك الى
الرف الصلب الذى يحفظون فيه البرقيات يوما بعد يوم فى حزم
مستقلة ، وعثر على برقية الشاب التى أرسلها لأمه ، فأخرجها
من الحزمة وأخذ برقية فارغة ، وبدأ مدير المكتب يكتب برقية
بنفسه :

« مسن مارجرىت ستريكمان

١٨٧٤ بيدل ستريت

يورك ، بنسلفانيا

أمى العزيزة ، شكرا على النقود ، سأعود حالا ، كل شيء
يسير سيرا حسنا »

وقرا كلمات البرقية مرة أخرى ، ثم قرر أن يغير « سيرا حسنا »
وأن يضع بدلها « على مايرام » . ثم تذكر الشاب لحظة وأضاف
الى البرقية : « مع حبى ، جون » . وأخذ سبانجلر الورقة
وذهب الى منضدة مستر جروجان وزاح يطلب العامل على الخط .
ولما جاءه الرد بعد دقائق عديدة ، بدأ يدق البرقية حتى فرغ منها ،
ثم بدأ يتكلم مع العامل فى نهاية الخط مبتسما وهو يستمع الى
النقط والخطوط ويدق للأجواباته . وعندما انتهى من
حديثه قام عائدا الى مكتبه .

ودخل وليام جروجان وجلس في المقعد الذي جلس فيه الشاب، فسأله سبانجلر : كيف حالك الآن ؟

- احسن طبعاً .. لقد تربت كاسيين ياتوم واستمعت للحنود يغنون . أتعرف أنهم يحبون البيانولا وهذه الاغانى القديمة التى لم يسمعوها نداء من قبل .

فقال سبانجلر : «أنت تحبني؟ أليس كذلك لا نعم ، نعم أنت تحبني .. وأنت تعرف» . هذا ماكانت تقوله لى ياويللى .. وهى تقوله بنفس هذه الطريقة . أظن أنى سأتزوجها .

وتوقف لحظة عن الحلم بدناناستيد ، وراح يتأمل وجه صديقه ثم قال : هذه الاغانى القديمة طيبة جدا .

- أتذكر ياتوم طريقة دافنيوز الهرم فى غناء هذه القطع ؟

- طبعاً .. ومادام هذا المكتب قائماً فساظل أذكره .. اننى اكاد أسمعه الآن وهو لا يغنى هذه القطع فحسب ، بل يغنى أناشيد الكنيسة أيضاً . فهل نسيت هذه الاغانى الكنسية التى اعتاد دافنيوز الهرم أن يغنيها كل أحد ؟

- لا ، لم انس ، انى أذكر كل واحدة منها .. كان يحب حقاً أن يدعى أنه غير مؤمن، وبالرغم من ذلك كان يفضل يرتل طول يوم الاحد .. كان يفضل طول النهار يعضغ الدخان ويرسل الرقيات . . . ويغنى ويقذف فى المبخقة عصير الدخان من فمه . وفى اول النهار كان يتبدى دائماً مغنياً : « مرحبا بك ايها الصباح الجميل ، صباح يوم الراحة المقدس » . لقد كان رجلاً عظيماً ياتوم .. وبعد قليل ينفجر صائحا : « ذلك يوم النور ، فلتدع النور يعم اليوم» .

- نعم أذكر .. أذكره يغنى « فلتدع النور يعم اليوم » ثم ييصق فى الاناء .

- وبعد ذلك يغنى « الهيا يارب الصباح ويارب الليل . اننا نشكرك على نعممة النور التى وهبت » نعم ، هذا الكافر الكبير .. كان يحب النور والحياة أكثر من أى شىء آخر . فاذا ما انتهى النهار قام من على مقعده طيئاً وراح يتمطى وهو يغنى فى رقة : « مر النهار وهذا الليل يقترب » . قد كان يعرف كل الاغانى

القديمة الجميلة ويحبها جميعا واحدة فواحدة . أتذكره يصح
مغنيا « أيها المخلص » متظاهرا أنه كافر يتهكم : « أيها المخلص ،
أرسل لنا مع النسيم بركات المساء ، قبل أن تنطوى منا
النفوس وترقد . لقد جئناك بالخطيئة والحاجة نعرف
ونسجد ، فانت وحدك المخلص وانت وحدك رب الشفاء » .

وصمت عامل البرق الهرم يتذكر صديقه القديم الذي طواه
الموت سنوات بعيدة ثم قال : « لقد صدق ياتوم .. لقد
صدق ، فهذا حق » .

وابتسم مدير المكتب وهو يربت على كتف صديقه ويقوم
ليطفىء الانوار ويفلق المكتب تأهبا لليل .



- ٢٣ -

أبها الموت لا تذهب الى ايتاكا

كان هومير أخيرا في الفراش بفرك ويتقلب ، منزعا يحلم يرى نفسه فيه يجرى من جديد في سباق الحواجز ، وكلما اقترب من حاجز وجد عنده بايفيلد يريد أن يوقفه ، ولكنه لا يهتم به ويقفز فيقعان معا على الأرض . كان بايفيلد يلقاه عند كل حاجز ، واحدا وراء واحد ، حتى أصبحت الإصابة في ساقه مؤلمة جدا ، فلما حاول أن يجرى من جديد لم يستطع أن يمسك نفسه ووقع على الأرض . ولكنه تماسك وقام وكال لبافيلد لكمة في فمه ، وصاح صارخا فيه : بايفيلد ، أنك لن تستطيع أن توقفي . . ومهما انخفضت الحواجز أو ارتفعت فلن تستطيع أن تعوقني عنها مهما كانت .

وبدأ يجرى مرة أخرى وهو عرج أول الامر ولكنه سرعان ما انطلق يعدو عدوا رائعا ، فلما بلغ الحاجز التالي وجده

مرتفعاً عالياً لا يستطيعه قدرة إنسان ، ولكن هومير مأكولى ، وهو الذى قد يكون الآن أعظم رجل فى أيتاكا برمتها ، قفز الحاجر فى رشاقة واتزان كامل .

ورأى هومير نفسه بعد ذلك فى حلمه يرتدى حلة الساعى ويركب دراجته منحدرًا بسرعة فى طريق شقيق . وعلى حين فجأة رأى بايفيلد يقف أمامه فى الطريق ، ولكنه اندفع إليه أسرع من كل مرة أخرى صائحاً : « بايفيلد .. لقد قلت لك أنك لن تستطيع أن توقفنى » .. ورفع مقدم دراجته محرّكا ذراع القيادة إلى أعلى ، وسرعان ما بدأت الدراجة ترتفع طائرة فى الهواء محلقة فوق رأس بايفيلد مباشرة ثم هبطت بخفة إلى الأرض من ورائه . ولكن ماكد يحس أرض الطريق حتى وجد بايفيلد أمامه مرة أخرى ، فتركت الدراجة الأرض من جديد وظلت عالية محلقة على بعد عشرين قدماً فوق رأس بايفيلد ، ووقف الرجل فى الطريق يحملق مدهوشاً مستاء . ثم صرخ فى الساعى : « أنك لا تستطيع أن تفعل هذا .. لقد خرجت على قانون الجاذبية » .

فصاح هومير مجيباً الرجل فى الطريق : « قانون الجاذبية ، قانون المتوسطات ، قانون العرض والطلب ، ماذا يهمنى أنا من هذا كله أو من أى قانون آخر . أنك لن تستطيع أن توقفنى .. هذا كل ما أعرفه .. لن تستطيع أن توقفنى .. أيها الحشرة .. أيها العفن الصدى ... » وحلق الساعى فى الفضاء تاركا وراءه الرجل فى الطريق قبيحاً مهاناً محتقراً كأشد ما يكون الاحتقار .

ووجد هومير نفسه بعد قليل طائراً بدراجته وسط سحاب سود ، ولم يلبث وهو يخترق السماء ، أن رأى راكباً آخر مثله على دراجة قد ارتدى حلة كحلته ، يخرج من سحابة سوداء ويندفع بسرعة تفوق سرعته . وتعجب هومير من أن الساعى الآخر يبدو وكأنه هو نفسه ، إلا أنه فى الآن ذاته شخص يحس هومير أنه يخافه ويخشاه . وعزم بينه وبين نفسه أن يسابق هذا الساعى الآخر وأن يلحق به حتى يعرف من يكون ، وتسابق الراكبان مسافة بعيدة قبل أن يستطيع هومير أن يقترب منه ، فلما تقاربا استدار الآخر فجأة ونظر إليه . وذهل هومير عندما رآه يشبهه تماماً ،

ومع ذلك فهو يستشعر في يقين تام ، لامن مظهر الساعى بل من مجرد احساسه ، ان هذا الساعى ليس ان ساعى الموت . واقترب الراكبان في ايتاكا فزاد هومير من سرعته منطلقا وراء ساعى الموت . ونظر هومير تحته واستطاع ان يرى على بعد انوار المدينة المنعزلة ويوتها الجميلة وشوارعها المنتظمة . وقرر بينه وبين نفسه ان يسبق الساعى الآخر كي يبعده عن ايتاكا ، فقد أحس أنه ليس في الدنيا جميعها شىء أهم من ان يمنع هذا الساعى من الوصول الى ايتاكا .

وكان السباق عنيفا قاسيا ولكنه كان شريفا عادلا لا خداع فيه ولا حيل . ومسهما الجهد والارهاق على السواء ، الا ان هومير قد استطاع أخيرا ان يجانب الراكب الآخر وان يصرفه عن ايتاكا . ولكن هذا الاخير زاد من سرعته فجأة وابتعد عنه عائدا الى المدينة الصغيرة ، فأحس هومير بالخيبة والاسى وان ظل يسابقه مندفعاً بكل قوته . غير ان هومير لم يستطع ان يواصل السباق ، فقد تقدمه الساعى كثيرا متجها الى ايتاكا ومخلفا اياه وراءه !! لقد نفذ جهده ولم تعد لديه القدرة على مطاردة ساعى الموت . وكاد الصبى ينهار على دراجته باكيا منتحبا في مرارة ، ولم تلبث الدراجة نفسها ان بدأت تسقط متحطمة ، فصاح الصبى : « عد .. لاتذهب الى ايتاكا .. دعهم في امان .. ارجع .. عد »

وراح الصبى ينشج في حزن مخيف .

أما في المنزل القائم في طريق سانتا كلارا فان يوليسس وقف الى جانب أخيه هومير الحالم وراح يستمع اليه ، ثم سار خلال البيت المظلم حتى وصل الى فراش أمه فهزها ، وقامت الام جالسة فأخذ يوليسس يدهادون أن يتكلم وذهب معا الى فراش هومير . ووقفت مسرما كولى تستمع لحظة الى ابنها ثم ردت يوليسس الى فراشه وأحكمت الغطاء عليه وعادت لتجلس الى جانب ابنها الباكي . وبعد قليل راحت تكلمه في حنان دافق : « كفى يا هومير ... استرح .. انك متعب جدا ويجب أن تستريح . نم الآن .. نم في امان » . وبدأ الساعى

يكف عن النسيج وتتبدد من على وجهه معالم القلق والاضطراب
وامه تواصل كلامها له : « نم .. نم الآن .. نم في سلام »

وعندما رأت الصبي قد عاد للنوم نظرت تطمئن على ابنها
الصغير فوجدته قد استغرق في النوم هو الآخر ، وإذا بها ترى
ماتيو ماكولي في ركن الغرفة يقف يرقبها ويتسمم ، فقامت بهدوء
وأخذت معها المنبه ومضت عائدة الى غرفتها .

وانتقل الحلم في نومه من عالم الرعب والفرع الى عالم من الدفء
والنور والراحة . ورأى هومير نفسه في منامه الجديد يرقد على
ظهره تحت شجرة تين نمت عند مجرى صغير ، فقال لنفسه وهو
نائم : « لابد ان يكون هذا عند ريفردال ، حيث رايت شجرة التين
الى جانب النهر وقد توهجت الشمس ترسل أشعتها الضاحكة
فتبعث الضحك في كل شيء آخر .. اني اذكر هذا المكان ، ألم أت اليه
أنا وماركوس في الصيف الماضي كي نستحم ، لقد جلسنا حينذاك
على شط النهر وتحادثنا سويا عما سنفعله بحياتنا » واطمان
هومير وهو نائم الى جمال المكان وأحسن دفاء الذكرى فتمطى
مستريحا على العشب ونسى تماما انه نائم .

وكان يرتدى نفس الملابس التي كانت عليه ذلك اليوم من
الصيف عندما كان هو وماركوس هنا . الا ان عصا الصيد الطويلة
المثبتة في الارض اللينة لم يضعها في ذلك اليوم بل كانت هناك دائما
منذ زمان بعيد . أنه يرى الآن هيلين اليوت قادمة من الارض
التي يعلوها الاعشاب والاشجار حافية القدمين مثله ، وقد ارتدت
ثوبا قطنيا بسيطا وراحت تسير على ممر ضيق متجهة اليه .

فقال هومير لنفسه : « هذه هيلين اليوت ، فتاتي ، التي
أحبها » . وجلس يتسمم يرقبها وهي تخطو اليه ، ثم قام على
قدميه لكي يلقاها ويحييها . ولم يتكلم هومير ، بل علاه شيء كالوقار
والجد ، وأخذ يد الفتاة وسارامعا الى الشجرة . وهناك خلع
هومير قميصه وسراويله واندفع سريعا ليغطس في النهر . أما
الفتاة فقد توارت وراء شجرة وخلعت ملابسها هناك وراح
هومير يرقبها وهي تقترب من حافة النهر فتقف لحظة ثم تلقى
بنفسها الى الماء . وظل الاثنان ، وما زالا في وقارهما ، يستحمان
برهة في الماء ، ثم غادراه معا ليرقد على الرمل جنبا الى جنب يلفهما
الشمس والنوم .



- ٢٤ -

شجرة الشمس

استيقظ يوليسس ماکولى مبکرا هذا الصباح وراح یحجل تحت أشعة الشمس المبکرة الی فناء رجل یمتلك بقرة . ولما وصل الی الفناء رأى یولیسس البقرة وظل یراقبها أمدا طویلا . وجاء أخیرا الرجل الذی یمتلك البقرة خارجا من بیت صغیر یحمل وعاء ومقعدا صغیرا . واتجه مباشرة الیها وبدأ یحلبها ، وتقدم یولیسس مقربا منهما حتی أصبح وراء الرجل مباشرة ولكنه لم یستطع أن یرى ما یقنعه ، فانحنى علی ركبته متقدما حتی کاد یكون تحت البقرة تماما . . ولحظ الرجل الصبى ولكنه لم یتکلم فقد کان مشغولا بما یفعل ، الا أن البقرة التفتت ونظرت الی یولیسس ، فنظر الیها هو الآخر ، وبدأ له أنها لم تسترح لوجوده تحتها ، فغادر مکانه وابتعد قلیلا یرقبها عن کتب . ولما نظرت الیه البقرة من جدید أحس الصبى أنهما أصبحا صدیقین .

وسار یولیسس فی الطریق عائدا الی البیت ، فمر برجل یبنى جرنا فوق یرقبه . ویبدو أن الرجل کان حساسا عصبیا نافذ الصبر ولیس البناء من عمله ، فکان الرجل یؤدیه فی ثورة وغضب محدثا أخطاء کثیرة بحركاته ، وظل یولیسس یرقبه دون أن یفهم شیئا .

وعاد يوليسس أخيرا الى طريق سائنا كلارا بينما كان مستر
أوينا يركب دراجته منصرفا الى عمله ، ووقفت ماري أزيينا في
الباب تلوح لأبيها حتى اختفى ثم عادت أدراجها الى البيت .

كان النهار صباح يوم السبت في ايتاكا ، وهو أسعد أيام تلاميذ
المدرسة . ورأى يوليسس صبيافي الثامنة أو التاسعة يخرج من
بيت غير بعيد . فلوح له محييا ورد عليه الصبي التحية ،
وهذا الصبي ، ليونيل كابوت ، هو أبله الناحية ، وكان مع ذلك صبيا
ضخم الجثة كريما دمث الخلق . وتطلع ليونيل مرة أخرى بعد
لحظة الى يوليسس ، ولما لم يجد شيئا آخر يفعله لوح له بيده من
جديد . وظل هذا يتكرر على فترات متباعدة حتى خرج أوجست
جوتليب من البيت المجاور لسوق آرا .

وقد تسلم أوجي قيادة أولادهذه الناحية منذ ان اعتزل هومير
هذا المنصب في الثانية عشرة . وتلفت القائد الجديد حوله يتفقد
أتباعه ، فاستبعد ليونيل لانه لا يفهم ، ويوليسس لانه مازال
صغيرا ، ولكنه مع ذلك رفع يده يحييهما ، ثم سار حتى منتصف
الطريق وأخذ يصفر صغير بائعي الجرائد ، وكان صغيره عاليا يشعر
بالسلطة وبالأمر الذي لا مرد له ولا تكرار . ووقف أوجي يفكر
في ثقة الرجل الذي يعرف ما هو فاعله ، إلواثق بما سيحصل عليه
من نتائج ، فتفتحت النوافذ مباشرة ودوت الصفارات في المكان
تجاوبه ، ومالبث أن جاءت جماعة الصبية تجرى متجمعة عند
الناصية . وفي أقل من ثلاث دقائق كانت العصابة كلها قد
التأم شملها ، أوجي جوتليب القائد ونيكي بالوتا وآلف ريف
وشاج مانوجيان ...

وقال نيكي : أين نحن ذاهبون يا أوجي ؟

فأجاب أوجي : سنذهب لنرى هل نضج المشمش لدى هندرسون
أم لا .

وسأله ليونيل : هل أستطيع أن آتي معكم ؟

- لا مانع يا لونييل . . ولكن اذا وجدنا المشمش قد نضج ،
فهل ستسرق معنا ؟

فأجاب ليونيل : السرقة خطيئة . .

فقال أوجي متكلفا أن يوضح له تفرقة هامة : « لا . لا ليس سرقة الشمس . » والتفت بعد ذلك الى يوليسس قائلا له : أما أنت يا يوليسس . . . فعد الى البيت ، هذا أمر خطير . وليس للصغار أن يتدخلوا فيه . »

فخطا يوليسس مبتعدا ثلاث خطوات ووقف يرقبهم . . ان أوامر أوجي لم تجرحه أو تغضبه فهو يفهم شريعة العصيان ، ويعرف أن أوجي لم يقصد ان يقول الا أنه لم يكبر بعد . ولكن يوليسس على احترامه لهذا القانون لم يكن يستطيع أن يجمع في نفسه الرغبة في الذهاب على أية حال مع العصابة .

واتخذ الصبية طريقهم الى بيت هندرسون ، لا يسلكون الشوارع والطرق المنتظمة بل ينفذون في الحارات ويعبرون الاراضي العارية ويتسلقون الاسوار والاسلاك ، فهم لا يحبون الطريق السهل بل يريدون أن يركبوا المسلك الصعب الوعر المليء بالمخاطر والمغامرات . أما يوليسس فقد سار وراءهم يتبعهم على مسافة ليست ببعيدة فتفرعه او قرية فتشغلهم .

وقال أوجي لافراد عصابته : أتعرفون ، أن الشمس اذا نضج فهو أطعم فاكهة في العالم .

فسأله نيكي بالوتا : ولكن هل ينضج الشمس في مارس ؟

فرد أوجي : لقد أصبحنا في ابريل تقريبا ، والشمس المبكر ينضج حالا مادامت الشمس وافرة .

فقال ألف ريف : ولكن السماء مع ذلك أمطرت كثيرا . .

فقال أوجي : ومن أين تظن اذن يأتي هذا العصف في الشمس ؟ . . من الماء . . من هذا المطر . ان المطر ضروري للشمس ضرورة أشعة الشمس تماما .

فقال شاج مانوجيان : الشمس أدفاته بالنهار والمطر بالليل ملاء بالعصف !! . . لا بد أن الشجرة الآن مليئة بالشمس الناضج .

فقال ألف ريف : آه . . يا بني نرجو هذا . .

ولكن نيكي بالوتا عاد يقول : ما زال الوقت مبكرا على نضوج الشمس . . انه لم ينضج في العام الماضي الا في يونيه . .

— هذا كان فى العام الماضى •• اننا الآن فى هذه السنة ••

وعندما أصبحوا على بعد مائة ياردة تقريبا من شجرة المشمش الشهيرة وقف الصبية جميعا يملأوهم الاعجاب بالشجرة العجوز الكبيرة وقد اخضرت أوراقها جميعا وبدأت غاية فى الجمال • كانت الشجرة القائمة فى الدحية الخلفية من فناء دار هندرسون وظل هندرسون الهرم عشر سنوات طوال يتلقى غزوات أطفال الجيرة على شجرته • ففى كل ربيع يجلس مستر هندرسون فى بيته المتهدم يرقب قدوم الصبية فى سرور وتلذذ ، ويحاول دائما أن يرضيهم فلا يظهر الا فى اللحظة الأخيرة ليفزعهم ويصرفهم عائدين • وكان مستر هندرسون الآن كعادته وراء ستائر نافذته ، فلما رآهم رفع عينيه عن الكتاب الذى يقرأ فيه وقال لنفسه :

— « أنظر •• أنظر •• جاءوا يسرقون المشمش فى مارس ، فى الشتاء •• أنظر •• أنظر » وراح يتلصص عليهم من جديد ويصغر كانه واحد منهم : « أجيئتم تقطفون مشمش هندرسون الهرم •• ها قد جاءوا •• رويدكم الآن •• ها •• » وبدأ الرجل يضحك وهو يواصل حديثه لنفسه : « لتنظر •• اليهم •• أنظر الى هذا الصغير بينهم •• انه لا يتجاوز الرابعة أبدا •• عضو جديد •• هيه •• تعال •• تعال •• تعال الى الشجرة القديمة العجوز الرائعة •• لو أنى أستطيع أن أنضج لك المشمش لتسرقه •• لفعلت •• »

ووقف هندرسون يتفرج على الصبية وأوجى يلقى اليهم بتعليماته ويقود الهجوم وينظمه • واحتاطوا الآن بالشجرة حذرين وجلين ، وقد امتزج فى قلوبهم الأمل والخوف • فالمشمش وإن كان لا يزال أخضر فهو مشمش هندرسون وعلى شجرته ولا فرق بين مجيئهم وهو أخضر وقدمهم وقد نضج ، فكم يأملون اذن أن يكون قد نضج فعلا • الا أنهم خائفون أيضا ، خائفون من هندرسون ومن الخطيئة ، خائفون من أن يقبض عليهم ومن أن يتهموا ، وخائفون مع ذلك كله من أن يكونوا قد بكروا فى المحيى وأن يكون المشمش مازال أخضر لم ينضج بعد •

وهمس نيكى بالوتا وقد وصل الصبية الثلاثة عند الشجرة تقريبا : « قد لا يكون فى البيت •• »

- من ؟ .. هذا ؟ انه دائما فى البيت ، وكل ما فى الامر انه مختلف !! هذه خدعة .. انه يريد ان يقبض علينا فاحترسوا جميعا .
اننا لاندرى من أين يطلع علينا .. يوليسس .. عد أنت الى البيت .

فتراجع يوليسس طائعا خطوات ثلاثا وزاح يرقب هذا الصراع الرائع مع تلك الشجرة العظيمة .

وسأل شاج : هل نضج يا أوجى ؟ أترى لونه ؟

- الاخضر فحسب ، ولكن هذه هى الاوراق ولا بد أن الشمس تحنها . أصمتوا الآن واستعدوا .. أين ليونيل ؟

فهمس ليونيل وقد ملأه الذعر : هنا ..

- حسنا .. كن مستعدا .. اذا رأيت هندرسون الهرم ..
فلنجر ..

فغمغم ليونيل : « ولكن أين هو ؟ » وكأنما هندرسون لا يكاد يرى ، أو هو شيء لا يكبر عن الأرنب ، وقد يقفز فجأة من وسط الاعشاب .

- ماذا تعنى .. أين هو ؟ .. انه فى البيت فيما أظن ..
ولكن من ذا الذى يطمئن من هندرسون هذا .. قد يكون مختفيا هنا فى الحارج فى مكان ما يريد أن يأخذنا على غرة !

وتساءل آلف ريف : هل تتسلق أنت الشجرة يا أوجى ؟
- ومن اذن ؟ .. أنا طبعاً الذى سيتسلقها .. ولكن

فلنطمئن أولا الى أن الشمس قد نضج ..

فقال شاج مانوجيان : ناضج .. أخضر .. سيان .. اننا نريد على الأقل أن نسرق ولو قليلا منه يا أوجى .

- اطمئن .. سنفعل . أما اذا كان قد نضج فسنسرق الشيء الكثير .

فقال ليونيل لأوجى : ماذا تقول غدا وأنت تعترف فى مدرسة الإحد ؟

- ليونيل ! سرقة الشمس ليست كهذه السرقة المذكورة فى الكتاب المقدس .. هذا شيء آخر .

فعاد ليونيل يسأله : ولماذا أنت خائف اذن ؟

- خائف ؟ .. أنا خائف !! .. كل ما فى الامر أنه لا بد من
الاحتراس .. فليس ما يدعو للقبض عليك اذا كنت تستطيع
الافلات .

فاستمر أوجى يقول : ولكنى لا أرى مشمشا ناضجا .
- لكنك ترى الشجرة .. أنيس كذلك .

فقال ليونيل : الشجرة .. نعم يا أوجى أراها تماما ، ولكن
هذا كل ما هناك .. مجرد شجرة كبيرة ، كلها خضراء .. وهى
لا شك .. أيضا .. جميلة جدا .

وأصبحت العصاة الآن تحت الشجرة تقريبا الا يوليسس فقد
كان يتبعهم على مسافة قريبة .. انه لا يستشعر أبدا ذرة واحدة
من الخوف ، وبالرغم من أنه لم يفهم شيئا مما يجرى فانه كان
واقفا أن هنالك أمرا هاما يتعلق بشجرة وبشمس .

وراح الصبية يتفحصون غصون شجرة المشمش القديمة وقد
اخضرت جميعها بالاوراق الصغير الجميلة ، ورأوا ان المشمش لا يزال
أخضر جدا غاية فى الصغر ، وانه لاشك صلب جدا .

وقال آلف ريف : أنه لم ينضج بعد .

فأجاب أوجى معترفا : حقا .. أظنه يحتاج الى يومين أو ثلاثة
.. ربما فى السبت القادم ..

فقال شاج : طبعاً .. فى السبت القادم .

- الا أن الشجرة محملة على أية حال .

فقال شاج : اننا لن نعود وأيدينا فارغة يا أوجى .. لا بد
أن نقطف واحدة على الأقل .. سواء كانت خضراء أم ناضجة .
لا بد أن نحصل ولو على واحدة ..

- وهو كذلك .. سأقطع أنا واحدة .. وتستعدون أنتم
للجرى .

واندفع أوجى الى الشجرة فتعلق بأحد غصونها القريبة ،
وأفراد العصاة وهندرسون ويوليسس يرقبونه فى سرور ودهشة
واعجاب . وعند ذاك خطا مستر هندرسون خارجا من البيت
ووقف على درج الشرفة الخلفية ، فاندفع الصبية جميعا يجرون
كسرب من الاسماك الصغيرة الفرعة .

وصاح شاج مانوجيان : أوجى •• هندرسون !

ففزع أوجى فزعة القرد فى الغاب ، وراح يتأرجح فى الشجرة
معلقا فى غصن من أغصانها ، ثم تركه ساقطا على الأرض واندفع
يجرى والأرض لم تكد تمس قدميه • الا أنه رأى يوليسس
فتوقف فجأة صارخا على الصبي: يوليسس •• اجر •• اجر ••

غير أن يوليسس لم يتحرك من مكانه فهو لم يستطع أن يدرك
ما حدث •• واضطر أوجى أن يندفع راجعا الى الصبي وأن يحمله
من الأرض جازيا به ، على حين وقف هندرسون ساكنا يرقبه •

ولما اختفى الصبية جميعا وعاد للمكان الهدوء والصمت من
جديد، ابتسم الرجل متطلعا لشجرته ثم استدار داخلا المنزل •



- ٢٥ -

كن سعيدا . . كن سعيدا

عاد أفراد جمعية أوجست جوتليب السرية من فرارهم من هندرسون العجوز واحدا بعد واحد ، وتجمعوا أمام سوق آرا ينتظرون قدوم رئيسهم . ولمح الاتباع المخلصون أخيرا الرجل العظيم الذى ينتظرونه ملتفتا عند ناصية الطريق وقد أمسك بيد يوليسس ماكولى ، فوقفوا جميعا ينتظرون فى صمت وصوله . وما لبث أن أصبح بينهم ، فتطلع الاتباع يتفحصون وجه القائد ويستكشفون أخباره حتى قطع ألف ريف الصمت سائلا : « هل حصلت على مشمشة يا أوجى ؟ »

فنظر الرئيس الى هذا الجاحد الذى لا يستطيع أن يؤمن به وقال : لم تسألنى هذا السؤال ؟ ألم ترنى على الشجرة ؟ أنك تعرف طبعاً أنى حصلت على مشمشة !!

وعند ذاك انفجروا جميعا ، الا ليوينيل وهو على كل حال ليس

عضوا معهم ، وقالوا فى صوت واحد يملؤه الاعجاب صائحين :
« أين هى يا أوجى .. دعنا نراها »

أما يوليسس فقد وقف يرقب ما يجرى مستشعرا أن هذه القيم الغامضة التى يتحركون بها لا بد أن تكون هامة جدا بل أهم ما فى العالم كله فى هذه اللحظة على الأقل . وإن كان لم يتأكد بعد من معناها . وصاح أعضاء الجماعة من جديد : دعنا نرى المشمشة التى سرقتها يا أوجى . أين هى ؟ .. دعنا نراها . فدفع أوجست جوتليب يده فى جيبه ثم مد قبضته أمامه . ولما تجمع الاتباع لرؤيتها، انتظر حتى لزم الجميع الصمت والاحترام الجديرين بالموقف ثم فتح لهم قبضته .

وهناك فى راحة يده رقدت مشمشة خضراء صغيرة فى حجم بيضة العصفور ، فأشرق وحوه أتباع القائد الدينى العظيم تهللا لمنظر هذه المعجزة القائمة فى يده ، وتقدم ليونيل ، وهو ألطفهم شعورا وأرقهم قلبا وإن لم يكن من أبناء العقيدة المؤمنين . ودفع يوليسس الصغير بين يديه حتى يستطيع أن يرى هذا الشئ الأخضر الصغير . ولما انتهى يوليسس من رؤية المشمشة الخضراء تلوى حتى خلس من يد ليونيل ونزل الى الأرض ثم اندفع فجأة جاريا الى البيت ، لا لأن مارآه لم يسره أو خيب ظنه ، بل من حرصه وتلهفه على أن يجد أحدا يقص عليه الامر كله .

وعند ذاك خرج عليهم من المحل آرا ، ذلك الرجل الذى فتح هذا السوق فى ايتاكا كاليفورنيا منذ سبع سنوات . كان الرجل طويلا نحيل الوجه يضع فوق ثيابه ميدعة بيضاء ، وتبدو عليه سمات الاسى وإن كان فكها حاضر النكتة . ووقف لحظة على مدخل دكانه يرقب هذا المسيح الجديد وتلاميذه، ويستمع الى صيحات اعجابهم وتمجيدهم لتلك الصورة المقدسة . ثم قال أخيرا : أنت يا أوجى .. شاج .. نيكى .. ألفو .. وأنت يال يونيل .. أين تظنون أنفسكم ؟ أتحسبون أنكم بمجلس الشيوخ فى واشنطن ؟ .. اذهبوا .. اذهبوا من هنا .. ابحثوا عن مكان غريب شاذ تعقدون فيه هذه الاجتماعات الهامة .. هذا سوق لا مجلس شيوخ !

فأجابه أوجست جوتليب : أوه .. طيعا يا مستر آرا ..
سنذهب الى الارض الفراغ في الناحية الاخرى .. ألا تريد أن
تري مشمشة ؟

فقال البائع : وهل معك مشمش ؟ من أين جئت به الآن ؟

- من الشجرة .. أتريد أن تراها ؟

- هذا ليس أوان المشمش .. ولا يظهر الا بعد شهر أو شهرين
.. عندما يقدم مايو ..

فأجابه شيخ الدراويش الراقصة : « تلك التي معنا من
مشمش مارس .. انظر ها هي » وفتح قبضته من جديد كاشفا
عن تلك الفاكهة الخضراء الصغيرة الجامدة في يده ، وقال : « انظر
يامستر آرا » ثم صمت لحظة وعاد يسأله : « أليست جميلة ؟ »

- نعم .. نعم جميلة .. انها مشمشة جميلة جدا .. اذهبوا
الآن فاعقدوا اجتماعات مجلس الشيوخ هذا في مكان آخر ..
ان اليوم هو يوم السبت والمحل مفتوح للتجارة .. فلا تزحموا
مدخل هذا السوق الصغير .. ونحن مازلنا في الصباح . دعوا
الناس تدخل اليه فالناس تعدل عن المحل الصغير اذا وجدوا امامه
زحاما . أفسحوا في الطريق .. هيا أسرعوا أنتم .

- حسنا يامستر آرا .. اتنا لا نريد أن نعطل محلك ...
سنذهب عبر الطريق .. هيا بنا يا رفاق ..

وراح مستر آرا يتأمل ذلك النفر من رجال الشيعة وهم
يهاجرون من أمام دكانه ، ثم هم بالعودة داخلا حين خرج اليهم
المحل طفل يشبه تماما ووقف الى جانبه يسأله : بابا ؟

فأجاب الاب ابنه بلفتهم : هيه يا جون ، ماذا تريد ؟

فقال الابن في جد بالغ وشيء يشبه الحزن تماما : « أعطني
تفاحة » ..

فأخذه أبوه من يده ودخلا معا الى الركن الذي رصت فيه
أكوام الفاكهة الطازجة وكرر الرجل كلمته يسأله : « تفاحا ؟ »
ثم اختار أفضل تفاحة في الكومونواولها للصبي قائلا : ها هي
اذن ... تفاحة !!

وذهب الاب الى منضدته ينتظر زبائنه وراح يرقب خلال ذلك

ابنه متطلعا اليه وقد بدا حزينا مثله رغم هذا الفارق
الذى لا يقل عن أربعين سنة بين عمريهما . وقضى الابن قطعة
كبيرة من التفاحة وراح يلوكها فى بطء ثم ابتلعها وظل لحظة ساكنا
وكانما يفكر فى الامر . ونظر اليه أبوه يفكر هو الآخر . فلقد أحس
أن التفاحة لم تجعل الصبى سعيدا . وتقدم الصبى فوضع
التفاحة على المنضدة أمام أبيه وراح يتطلع اليه . انهما هنا معا
فى ايتاكا بكاليفورنيا على بعد سبعة آلاف ميل من تلك البقعة
من الارض التى ظلت بيتا لهم ولأسلافهم مدة قرون طويلة ..
وهما يحسان هنا فى قلب كل منهما وحدة وعزلة ، ولكن من يدرى
أن قليهما سيخلصان من هذا الشعور لو أنهما عادا سبعة
آلاف الميل هذه ورجعا الى بيتهما هناك . هذا ابنه واقفا أمامه
فى أرض محله ، وهاهو ينظر اليه مكتشفا وجهه هو ، فى وجه
الصبى ، وعينه فى عينيه ، ولا شك أن وراء هاتين العينين شقاء
وحزنا كشقائه وحزنه تماما . ان الصبى هو الرجل بعينه تماما
الا أنه أصغر وأحدث .

وأخذ الاب التفاحة المرفوضة فأنشبت فيها أسنانه قاضما قطعة
كبيرة فى صوت عال ، وأخذ يلوكها ويبلعها وهو واقف وقد بدا
عليه من سرعة بلعه وما يحدثه من صوت أنه مرور غاضب .
فالتفاحة من أكبر النعم فى هذه الدنيا ولا ينبغى أن يلقى بها من
غير فائدة ، وإذا كان ابنه لا يأكلها فلا بد عليه أن يأكلها هو وان
كان لا يحب التفاح ولا طعمه .. وهو يعتقد أن من الخطأ أو من
الحرام أن يبدد المرء شيئا ، فلا بد أن يظل يقضم التفاحة
ويلوكها ويبتلعها . ولكنه على الرغم من هذا لم يستطع أن
يواظب ، فقد كانت التفاحة أكبر وأوفر من أن يحتملها كلها ،
وأصبح من الضروري عليه أن يلقى بعضها . وفى شئ من التهور
وشئ من الندم والاسف ألقى الرجل ببقية التفاحة فى سلة
المهملات .

ولكن الصبى عاد يسأله من جديد . بابا ؟

— هيه يا جون .. ماذا تريد ؟

— أعطنى برتقالة .

فأختار الأب برتقالة في الكوم المنتظم وناولها لابنه قائلا : هاهي
اذن .. برتقالة .

وعض الصبي قشرتها بفمه ثم بدأ يكمل نزعها بأصابعه بطيئا وثاقا ،
وفجأة زادت حركاته سرعة رلهفة ، وأحس الأب شعور ابنه وهو
يزيل قشرتها وكأنه سيجد تحت هذه القشرة سعادة قلبه كاملة
وليس مجرد برتقالة عادية .. ووضع الصبي قشرة البرتقالة
أمام أبيه على المنضدة وقسمها نصفين وراح يفصص أحدهما
وأخذ فصا ووضعها أخيرا في فمه وبدأ يلوكه ثم ابتلعه .. ولكن لا
.. وأسفاه ، انها برتقالة حقا ، ولكن ماذا فيها من سعادة القلب
وأمله ؟ وانتظر الصبي لحظة ثم وضع البرتقالة أمام أبيه . وعاد
هذا من جديد فالتقط ماتركه ابنه وراح يحاول صامتا أن يأكلها
ولكنه سرعان ما شارف حد قدرته واضطر أن يلقي حوالى
النصف من البرتقالة في سلة المهملات .

ومرت لحظة قال بعدها الصبي : « بابا ؟ » . وعاد الأب
يجيب : هيه .. ماذا تريد يا جون ؟

- أعطني حلوى !

- حلوى ؟ .. هذه اذن .. حلوى .

وأختار الأب من النافذة التي يحفظ فيها حلوى المحل قطعة
من ذلك النوع الذي يبيعه بخمسة سنتات ويفضله الأطفال جميعا
وناولها للصبي . وراح الصبي يتفحص تلك المادة المصنوعة
التي ناولها له أبوه ، ثم أزال ما عليها من ورق شمعي ، وقضم
قشرتها المغطاة بالشيكولاته وراح من جديد يلوكها ويبتلعها !
ولكن ما هذا ؟ انها لا تعنى شيئا .. انها مجرد حلوى .. قد
تكون حلوة الطعم ولكنها لا شيء أكثر من ذلك .. انها لا تعنى
شيئا أبدا .. أبدا . وأعادها الصبي من جديد تاركا أمام أبيه
عرضا آخر من أعراض هذه الدنيا التي فشلت في أن تجلب
له السعادة . وتقدم الأب في صبر يتحمل المسؤولية التي
ألقاها عليه ابنه ، مسئولية تجنب الافساد والتبذير . فالتقط
قطعة الحلوى وبدأ يقضمها ولكنه غير رأيه فجأة فالتفت الى سلة
المهملات وألقاها فيه . وأحس الأب لسبب لا يدريه أنه غاضب

ممرور وان قلبه مملوء نقمة ولعنة على أولئك الذين بدوا له
فى لحظة ما ، هناك ، على بعد سبعة آلاف ميل ، غلاظا لا
انسانية فيهم أو على الأقل جهلة لا يفهمون . وغمغم الرجل لنفسه :
أولئك الكلاب .

ولكن الصبى سأل أباه من جديد : « بابا » -

- هيه يا جون .. ماذا تريد ؟

- أعطنى موزة .

وتنهى الأب دون أن يفقد ايمانه قائلا : « موزة ؟ .. هذه
اذن .. موزة »

وتفحص أسباط الموز المعلقة فوق أكوام الفاكهة حتى عثر أخيرا
على ما رآها أفضل الفاكهة وأكثرها نضجا وحلاوة فقطعها وناولها
للصبى .

وأخيرا .. . قدم الى المحل عميل . انه رجل غريب ،
لا يعرفه مستر آرا ولم يره من قبل . وهز كل منهما رأسه
للآخر فى تحية خفيفة ، وقال العميل : « هل عندك كعك ؟ »
فأجاب صاحب المحل فى لهفة « من أى نوع ؟ »

ودخل المحل عميل جديد ، ولكن العميل فى هذه المرة كان
يوليسس ماكولى الذى وقف فى ركن من الأركان وراح يرقب
ويستمع منتظرا دوره .

وقال الرجل لصاحب المحل : هل عندك كعك محشو بالزبيب ،

- محشو بالزبيب ؟ ! وأحس الرجل بما فى السؤال من

مشكلة ، فراح يكرر الطلب هامسا لنفسه : محشو بالزبيب
.. محشو بالزبيب ؟ ! وتقدم يبحث فى المحل عن المطلوب .

ولكن ابنه تقدم فى الوقت نفسه فوضع على منضدة أبيه الطويلة
بقايا موزته المرفوضة وقال : « بابا »

فنظر الأب الى الصبى وراح يتكلم فى سرعة خاطفة : لقد طلبت
تفاحة ، فأعطيتك تفاحة ، وطلبت برتقالة فأعطيتك برتقالة ..
وطلبت حلوى .. فأعطيتك حلوى .. وطلبت موزة .. فأعطيتك ..
ماذا تريد الآن .. ؟

- كعك .

- « أى نوع من الكعك هذا الذى تريد؟ » انه لم ينس عميله، بل انه فى الحقيقة انما كان يكلمه وهو يجيب صبيه ، بل انه يسأل الناس جميعا ، انه انما يوجه سؤاله لكل الناس ، فى كل مكان ، وحيثما كان هذا الذى مازال يريد ويطلب .
ولكن الصبى أجابه : « كعك محشو بالزبيب » .

فأحس الرجل بالغضب يعتمل فى نفسه ويكنه، فكتمه متحفظا، وأجاب ابنه دون أن ينظر اليه ملتفتا الى زبونه أمامه متحدثا فى صوت أشبه بالهمس : ليس عندى كعك .. ليس عندى كعك من أى نوع ، ماذا تريد ان تفعل بهذا الكعك .. ان عندى كل شئ آخر الا هذا .. فما هذا الكعك اذن ؟ .. ما هذا الذى تريد ؟

فقال العميل صابرا : أريد كعكا لصبى صغير .

- ليس عندى كعك .. ولكن عندى أنا الآخر صبى صغير .
وأشار الرجل الى صبيه وهو يقول : « اعطيته تفاحا وبرتقالا .. وحلوى وموزا .. اعطيته كل هذه الاشياء الجميلة الطيبة! »
ونظر الى الرجل متفحضا فى عينيه وسأله وهو يكاد يكون غاضبا : ماذا تريد أنت ؟

فقال العميل : ان ابن أخى مريض بالانفلونزا .. وهو يبكى فى فراشه صائحا .. أريد كعكا .. أريد كعكا محشوا بالزبيب .

غير أن الانسان منا لا يعيش الا مهتما بحياته ، وفى كل حياة ما يشغلها ويكون محورها حتى أن الصبى وسط هذا لم يفعل الا أن راح ينظر لأبيه من جديد يسأله : « بابا ؟ »

ولكن الاب لم ينظر لابنه ، بل التفت الى العميل الذى يرقد ابن أخيه مريضا صائحا يطلب هذا الكعك المحشو بالزبيب . ونظر الاب للرجل فى فهم ومشاركة وفى شئ من الغضب الريفى ، لامن الرجل نفسه بل من هذه الدنيا وهذا المرض ، من هذه الوحدة وهذا الالم ، من ذلك القلب الذى يطلب ، ويطلب دائما ما لا يستطيع أن يحصل عليه . بل انه غاضب على نفسه هو لأنه قد قطع سبعة آلاف الميل وانه جاء الى كاليفورنيا وفتح

هذا المحل ومع ذلك فانه لا يملك هذا الكعك المحشو بالزبيب ،
 هذا الشيء الوحيد الذى يطلبه الصبي المريض . واد الرجل
 يشير الى ابنه وهو يقول نرجل: هنا تفاح .. موز .. حلوى ..
 أما هذا الكعك .. فلا .. هذا ابني أنا ، عمره ثلاث سنوات ..
 وهو ليس مريضا ، ولكنه يطلب أشياء كثيرة .. انه يريد تفاحا ،
 يريد برتقالا .. يريد من هذا الموز .. بل أنا لأعرف ماذا يريد ،
 ولن يستطيع أحد أن يعرف .. كل ما فى الامر انه يريد ..
 متطلعا الى الرب . أعطنى هذا .. أعطنى ذاك .. شقيا دائما محروما
 أبدا . ما أجحد ذوى القلوب المحزونة لنعمة هذا الرب !!
 لقد وهب من كل شيء وأعطى ما عنده جميعا .. أعطانا العالم
 وهذه الشمس المشرقة .. أعطانا الاب والام والاخ .. والاخت ..
 أعطانا العم والحال .. أعطانا البيت والارض المزروعة والنار
 الدفينة .. ووهبنا الفراش ..

ما أجحد الناس لهذا الرب !! لقد أعطى من كل شيء فلم يسعد
 أحدا .. اننا جميعا كهذا الطفل الصغير الذى أرقدته الانفلونزا .
 كلنا نقول له .. اعطنا كعكا .. وأن يكون هذا الكعك محشوا
 بالزبيب » .

وتنهذ الرجل تنهدا عميقا وقال لعميله عندما استجمع
 أنفاسه : « لا ياسيدى .. ليس عندى هذا الكعك .. المحشو
 بالزبيب » .

وراح البائع يتحرك فى محله نافذ الصبر ، غاضبا غاضبا شديدا
 رائعا . وتناول أول الامر كيسا من الورق فنفضه ليفتحه ، وبدأ
 يلقي فيه مما عنده قائلا : « هذا برتقال .. جميل جدا .. هذا
 تفاح .. رائع وهذه الموزة .. طيبة تماما » وامتلاء صوت الرجل
 رقة وتلطفا وتبدى فيه فهم ومشاركة مخلصه للعميل ولابن
 أخيه المريض ، وقال له وهو يناوله الكيس : « خذ هذا للصبي الصغير
 فقد يكف عن البكاء .. خذ هذه الأشياء الطيبة ولا تدفع لى شيئا
 فأنا لا أريد مالا » ثم توقف لحظة وراح يكرر عليه : « أنا ليس
 عندى هذا الكعك .. المحشو بالزبيب » .

فقال الرجل : « انه يبكى غاضبا جدا ويصيح يطلب كعكا
 فيه زبيب .. فشكرا لك . لقد أحضرنا له التفاح والبرتقال ..
 وهذه الأشياء الأخرى .. » ووضع الرجل الكيس على المنضدة

مكملا حديثه : « ان الصبي المريض لا يريد شيئا آخر الا الكعك المحشو بالزبيب .. أما البرتقال والتفاح .. فهذه كلها لا ترضيه .. لا يريد الا الكعك .. بعد اذنك .. سأذهب لاسأل في محل آخر .. فقد يكون عندهم » .

قال صاحب المحل : حسنا يا صديقي .. اذهب .. واسأل في محل آخر .. ولكنني أؤكد لك انه لن يكون عندهم .. فان أحدا لا يوجد عنده هذا الذي تريد » .

وغادر العميل المحل في شيء من الحجل ووقف البائع وراء منضدته ينظر ، لحظة طويلة ، محمقا في صبيه ، ثم بدأ فجأة يحدثه متكلما بالارمينية ، لغته القديمة الخاصة :

- لقد جن العالم .. ففي روسيا ، على مسافة قريبة من بلدنا ومن شعبنا الضئيل الطيب تموت ملايين الناس والاطفال جوعا .. فهم هناك في حال يرثى لهامن الجوع والعري مشردين بلا مأوى ينامون فيه .. يضرعون سائلين لقمة من الخبز الجاف وملجأ يستكنون فيه ولو ليلة واحدة من السلام والهدوء ..

أما نحن ، فماذا نفعل هنا ، في ايتاكا ، وفي هذا البلد العظيم ، أمريكا . ماذا نفعل نحن ؟ اننا نرتدي أفضل الثياب ، ونقوم في كل صباح فنضع في أقدمنا الاحذية المريحة ، ونسير في الطرقات آمنين لا يتعرض لنا من يحمل سلاحا أو من يحرق بيوتنا أو يقتل أطفالنا أو آباءنا أو اخواتنا . نحن هنا اذا أردنا نستطيع أن نركب سياراتنا وأن نتنزه بهافي الريف الجميل ، نأكل أحسن الطعام ، واذا ماجاء الليل وذعبنا الى فراشنا .. نمنا مستريحين .. ولكن مع هذا ، مع هذا كله نحن غير راضين .. ومازلنا غير قانعين . ورفع الرجل صوته يعلن لابنته هذه الحقيقة التي أدهشته وقد امتلأ قلبه له بحب كبير قاس ، وقال : « تفاح .. برتقال .. حلوى .. موز .. بالله عليك يا صغيري لاتفعل هذا .. واذا كنت أنا قد فعلت ذلك ، فأنت ابني ، أي أفضل مني ، ولا بد ألا تفعل ما فعلت أنا . كن سعيدا .. كن سعيدا .. أنا لم كن كذلك ولكن أنت يجب أن تكون » . وأشار بأصبعه الى الباب الخلفي للمحل المفضى الى داخل البيت فتحرك الصبي الصغير طائعا وغادر المحل وقد علت وجهه مسحة من الجد ودخل الى البيت .

وانتظر البائع لحظة يحاول أن يستجمع شتات نفسه ، ولما أحس أنه هداً وأصبح قادراً على أن يكلم يوليسس ماكولى عميله الجديد فى راحة وهدوء ، التفت اليه محاولاً أن يكون مرحاً بل أن يبتسم ثم قال له : هيه . . ماذا تريد يا يوليسس ؟

- بوريدج .

- من أى نوع ؟

- ه . ه . و .

- هنالك نوعان من هذا يا يوليسس ، النوع العادى والنوع

السريع . نوعان يا يوليسس . . بطيء وسريع . . قديم وجديد . .
ماذا تريد أمك يا يوليسس . .

وفكر يوليسس فى الامر لحظة ثم قال : ه . ه . و .

- القديم أم الجديد ؟

ولكن الصبى الصغير لا يعرف شيئاً عن هذا ، فاختار البائع النوع له قائلاً : « حسناً . . النوع الجديد أفضل . . ثمانية عشر سنتاً يا يوليسس . »

فمد يوليسس ذراعه للرجل وفتح له قبضته فأخذ منه ربع الدولار ورد له بقية النقود قائلاً : ثمانية عشر سنتاً وهذا هو الباقى ، شكراً يا يوليسس .

- حاضر . . يا سيدى . .

وأخذ يوليسس علبة الطعام الملفوفة وسار مغادراً المحل . وفى الطريق أحس أن هذه الامور كلها صعبة لا يستطيع فهمها . وفى أول الامر هذا المشمش على الشجرة ، ثم هذا الكعك المحشو بالزبيب ، وهذه اللغة الغريبة التى يتحدث بها الرجل لابنه . . غير أن هذا كله مع ذلك جميل رائع . ورفع الصبى قدمه يرفس بها الارض كدأبه كلما أحس السرور والفرح ، ثم انطلق فجأة يجرى الى البيت وهو يحمل لأمه ما أعطاه له البائع .



- ٢٦ -

لن تخلو الحياة من الالم

أعدت مسز ماكولى مكانا على مائدة المطبخ وراحت تنتظر مجيء ابنها هومير كى يتناول أفطاره ، ولما دخل هو المطبخ كانت قد أعدت أناء البوريدج ووضعته على المائدة • وألقت الأم على ابنها نظرة سريعة ولكنها كانت كافية لان تعرف أنه ما زال مثقلا بتجربة الحلم الغريب التى مرت به فى الليلة الماضية • فعلى الرغم من أنه لا يعرف أنه قد بكى وهونائم ، فان روحه تبدو مثقلة مستكنة سكون النفس بعد حزن عميق ، ويبعدو على صوته أنه قد أصبح أكثر لطفا وأبعد عمقا •

وقال هومير : أنا لا أريد أن أتأخر فى النوم هكذا • • لقد أصبحت الساعة التاسعة والنصف ، تقريبا • • ولا أدري ماذا حدث لجرس المنبه •

- ولكنك تشتغل كثيرا ويجب أيضا أن تستريح .

- أوه ليس العمل متعبا جدا . وعلى أية حال فغدا الأحد . .

وبدا هوميير يتلو صلاة الصبح ولكنها على غير العادة بدت طويلة جدا . فلما فرغ منها التقط ملعقته وشرع يأكل ، ولكنه توقف فجأة وراح يتفحص ملعقته في يده بنظرة غريبة شاردة ، وتطلع الى أمه المشغولة عند حوض المطبخ وقال : أمي .

فأجابته مسرعا ماكولي دون أن تدير ظهرها : نعم يا هوميير .

- أنا لم أحدثك ليلة أمس عندما عدت من العمل لانني لم أكن

قادرا ، كما قلت مرة ، على أن أتكلم . ولقد وجدت نفسي أبكي فجأة وأنا في الطريق بالأمس . وأنت تعرفين أنني أخجل من البكاء

وانني لم أعتد أن أبكي لا عندما كنت صغيرا ولا عندما كبرت وذهبت الى المدرسة !! أنت تعرفين أنني لا أبكي حتى عندما أكون

منزعجا مضطربا . بل يوليسس أيضا . . لا يبكي . . فما جدوى

البكاء على أية حال . غير أنني بالأمس لم أستطع أن أمتنع نفسي

فبكيت ، ولربكني لا أتذكر أنني خجلت من نفسي . . لا لا أظن

أنني أحسست بذلك . الا أنني لم أستطع أن أجيء الى البيت

مباشرة وأنا أبكي هكذا . . فركبت الى مصانع نبيذ ايتاكا .

ولما وجدت نفسي ما زلت أبكي عبرت المدينة كلها الى المدرسة

العليا . ولقد مررت في طريقي الى هنا بيت كان أصحابه

يحتفلون ويمرحون في أول المساء . . أما الآن فبيتهم مظلم حزين

. . لقد حملت لهم برقية . . . وتعرفين أنت أي نوع أقصد . .

وفي الطريق وأنا عائد رحت أدور في الطرقات أتطلع في كل شيء

. . في هذه المباني وكل هذه الاماكن التي عرفتھا طوال حياتي

ملئمة حبة بأولئك الناس جميعا . وأحسست اذ ذاك أنني أرى ايتاكا

حقا وأنني أعرف كل هؤلاء الناس فيها ، وأعرف كم هم قوم طيبون

خيرون ، وشعرت بالأسف والحزن عليهم ، فصليت ضارعا أن يجنبوا

الاحداث . . وبعد ذلك خفت دموعي وكففت عن البكاء . . وقلت

لنفسى اذ ذاك ان المرء لا يبكي أبدا اذا ما كبر ، بل يبدو لي

أنه لا يبكي الا وهو يبدأ حياة الكبار ، عندما يبدأ أن يفهم ويعرف

ماحوله من أشياء .

وتوقف لحظة عن الحديث، وعندما بدأ يتكلم من جديد كان صوته قد أصبح أكثر غموضاً وحزناً عما كان من قبل :

ان المرء لا يتبين في الدنيا الا بشر والحزن .

وانتظر أذ تجيب أمه ولكنها لم تتكلم ، بل لم تنصرف عما في يدها من عمل ، فعاد يقول : أمي ، لماذا ؟

فأجابته مسر ماكولى من غير أن تدير ظهرها :

ستعرف بنفسك ، فلن يستطيع أحد أن يخبرك .
ولكل انسان طريقته الخاصة فى معرفة هذا ، فلئن رأى الدنيا مؤسفة محزنة ورأى هذا الأسى الذى فيها نبيلًا مجيدًا أو اعتبره عبثًا تافهاً ، فانما هو وحده الذى يجعلها كذلك . ولئن رأى آلامها غنية مليئة بالجمال والروعة ، فليس هذا كله فى الأشياء من حوله ، بل فيه هو نفسه ، وهكذا : انما تكون الدنيا قبيحة أو مؤسفة مؤسفة لان الانسان الذى يراها هو مثلها ! ان كل انسان منا هو العالم بأكمله ، وفى يده وحده أن يصنعه كما يريد ، وان يملأه بحسن من الناس يحبه ، اذا كان قلبه يملؤه الحب ، وألا يسكن فيه الا جنسًا عليه أن يكرهه ويبغضه ، مادام هو نفسه لا يحمل الا الكراهية والبغضاء . . ان العالم موجود هكذا يتوقع من كل ساكن فيه أن يغيره وأن يعيد ترتيبه كما يعد الفراش فى كل صباح أو ينظم البيت حول سكانه الدائمين ، وهم هم أبداً متغيرون دائماً .

وخرجت الأم بما فى يدها من عمل الى شرفة البيت الخارجية ، وظل ابنها يتحدث اليها على الرغم من انه لم يعد يراها .

— ولكن لماذا بكيت يا أمي هكذا بالأمس . . اننى لم أعرف أبداً هذا الشعور من قبل ، ولست أستطيع أن أفهمه . . لماذا لم أستطع أن أتكلم حتى بعد أن جفت دموعى . . نعم . . لماذا صمت هكذا ولم أجد ما أقوله . . لماذا لم أستطع أن أتحدث الى نفسى أو أن أكلّمك انت ؟

وأجابته مسر ماكولى فى صوت واضح جدا فلم يخطئ كلمة واحدة من كلماتها :

— لقد بكيت من الشفقة لاعلى شخص يتألم بالذات ، بل على الأشياء جميعا ،

لقد بكيت شفقة بطبيعة الأشياء ذاتها . وما لم تعمّر الشفقة قلب الانسان فلن يكون انساذاً حقاً ، فمنها وحدها يخرج البلسم الذى يشفى ويبرىء الجروح . ان الاختيار وحدهم هم الذين ييكونون ، وان لم يبك الانسان لما فى هذه الدنيا من ألم فالطين الذى يسير عليه أفضل منه وأنفع . فان هذا الطين يطعم البذور والجذور والسوق والاوراق والزهور ، أما القلب الذى خلا من الشفقة فمجدب ممحل لن يتبت فيه شيء ، ولن تنمو فيه الا كبرياء تدفع صاحبها الى طريق من الجريمة والقتل ، قتل يعدو على ما فى الدنيا من أشياء خيرة جميلة ، بل قديعدو حتى على حياة الناس .

وعادت مسز ماكولى الى حوض المطبخ واشغلت نفسها بعمل جديد ! ولم يفت هويمير أن يدرك أنها تريد فقط ان تشغل نفسها ولو بعمل لا ضرورة له .

ولكنها واصلت حديثها له تائلة : لن تخلو الحياة من الألم ابداً ، وليس معنى هذا أن يئأس الانسان أو أن يفقد الأمل . فان الانسان الخير سيظل يحاول دائماً ان يخلص الأشياء مما فيها من ألم ، أما الاحمق فلن يلحظ وجوده الا فى نفسه هو . ولكن الشرير هو الذى يدفع الألم فيها ويزيده عمقا وينشره حوله اينما ذهب . ومع ذلك فكلهم جميعاً أبرياء ، الشرير والاحمق والخير ، فلم يقدموا العالم بارادتهم ولم يقدموا فرادى معزولين من العلم ، بل انما هم أبناء عوالم كثيرة ونتاج أجيال مختلفة عديدة . ان الشرير برىء لأنه لا يعرف أنه كذلك ، ولا بد علينا ان نظل نفقر له فى كل يوم ، وأن نظل نحبه دائماً ، فان فى هذا الشرير شيئاً من كل واحد منا ، وفى كل واحد منا شيء منه . . . انه متنا ونحن منه ، ولن نستطيع أحد ان ينقصل أو ينغزل عن الآخر . ان صلاة الفلاح الريفى هي صلاتى ، وجريمة القاتل جريمتى أنا . وأنت بالأمس بكيت لأنك قد بدأت تعرف هذا كله .

وصب هويمير ماكولى اللبن فى انائه ، وبدأ يتناول افطاره ، وقد أحس فجأة انه لاخير عليه ولا حرج اذا جلس لطعامه يأكل .



- ٢٧ -

كل هذه الاخطاء الرائعة

دخل يوليسس ماكولى ومعه خير أصدقائه ليونيل كابوت العظيم، مطبخ بيت ماكولى، ووقفامعا ، لا تستطيع العين أن تخطيء ما بينهما من صداقة على رغم ما بين عمريهما من فرق ست سنوات طوال . وراحا يتخركان معا ويقفان معا كما يفعل خير الاصدقاء ، فى بساطة ويسر دون حاجة الى أن يتبادلا الحديث أو أن يكلم الواحد منهما الآخر .

وقال ليونيل أخيرا : مسز ماكولى ، لقد جئت أستأذنك فى أن تسمح ليوليسس أن يذهب معى الى المكتبة العامة ، فعندى كتاب لأختى ليليان ، على أن أعيده للمكتبة .

- لا مانع يا ليونيل .. ولكن لماذا تركت الاولاد الآخرين ..
أوجى .. وآلف وشاج ..

- هم الدين . . . - وتوقف ليونيل مرتبكا لحظة ثم استأنف من جديد : « هم الذين طردوني ، فهم لا يحبونني لأنني لا أفهم » .
وتوقف من جديد ينظر لأم صديقه ثم قال : أنا لست غيبا يا مسز ما كولي ، أليس كذلك ؟

- لا يالايونيل . . أبدا . . انك أفضل الاولاد الذين حولنا جميعا . . ولكني لا أريدك أن تغضب من الاولاد الآخرين . .
فهم أيضا أولاد طيبون . .

- اني لست غاضبا منهم . . بل أنا أحبهم واحدا واحدا . .
ولكني في كل مرة أخطئ خطأ بسيطا بطردونني من اللعب . .
بل قد يشتمونني يامسز ما كولي . . انهم يغضبون جدا من كل خطأ بسيط أقع فيه ويقولون لي « كفى يالايونيل » . وعندما أسمعههم يقولون هذا اعرف أن الوقت حان لكي أتركهم . اني أحيانا لا أبقي معهم أكثر من خمس دقائق ، بل قد يكون أول شيء أفعله عندما أكون معهم خطأ لا يرضون عنه ، وعند ذاك يقولون لي : « كفى يالايونيل » دون أن أعرف ماذا فعلت أو كيف أخطأت ، ودون أن يقولوا لي ماذا يريدونني أن أفعل . أنا لأريد أن أعرف الا هذا ، ولكنهم لا يرضون أبدا أن يقولوا لي .
انهم يطردونني كل يوم سبت من صحبتهم ، ولا يرضى أن يصاحبني الا يوليسس فهو صديقي الوحيد . ولكنني أعرف أن الآخرين سيأسفون لذلك في يوم من الايام . ففي وقت من الاوقات سيقدّمون الي ويريدون مني أن أساعدهم . . ولن أتأخر أنا عن ذلك يا مسز ما كولي . . وعند ذاك سيأسفون هم لانهم كانوا يطردونني دائما . . هل أستطيع أن أشرب شيئا من الماء ؟

- طبعا يالايونيل ، وملات له مسز ما كولي كوبا من الماء ، فجرعه الصبي في عطش وتلذذ محدثا ذلك الصوت الذي يصدر عن الاطفال دائما ، ومازال الماء بالنسبة لهم أفضل شراب في العالم .

والتفت ليونيل الى صديقه يسأله : « ألا تريد أنت أيضا أن تشرب يا يوليسس ؟ »

وهز يوليسس رأسه موافقا ، فملأت له مسز ما كولي قدحا وأعطته اياه . وانتظر ليونيل حتى شرب صديقه ثم قال : « سنذهب

نحن الآن اذن الى المكتبة العامة » وسار الصديقان معا خارجين
من البيت .

وكان هومير مأكولى ما زال جالسا الى افطاره يرقب أخاه
الصغير وهو يتناولوه ، فلما خرج الصبيان التفت الى أمه يسألها :
« هل كان ماركوس وهو صغير يشبه يوليسس ؟ »

— ماذا تعنى ؟

— أقصد هل كان هكذا . . كيوليسس مهتما بكل شئ يقظا
متطلعا دائما . هل كان . مثله هكذا لا يتكلم ولا يقول شيئا ولكنه يفهم
ويجد فى كل شئ حوله ما يسره ويفرح به ، ويكون على استعداد
دائما لان يحب أى انسان وأن يكون محبوبا من الناس
جميعا . أنه لا يعرف من الكلمات الا عددا قليلا جدا وما زال
لا يستطيع الكتابة ، ولكن يكفى للمرء دائما أن ينظر اليه كى يفهم
ماذا يريد أن يقول ولو لم ينطق بكلمة واحدة . . هل كان
ماركوس مثله هكذا ؟

— على أية حال . . يوليسس وماركوس أخوه ، فلا بد أن يكون
فى يوليسس شئ من ماركوس . . ولكنهما مع ذلك ليسا متشابهين
تماما .

— ان يوليسس هذا سيصبح رجلا عظيما فى يوم ما . . أليس
كذلك يا أماه ؟

فأجابته مسر مأكولى وهى تبتسم : لا . . لا أظن ذلك . .
أو على الأقل لن يكون عظيما فى أعين الناس ، ولكنه بالطبع سيكون
دائما عظيما . . لانه كذلك الآن .

— وماركوس يا أماه . . ألم يكن عظيما هو الآخر عندما كان
صغيرا ؟

— أنتم جميعا تتشابهون فى أشياء كثيرة . . ولكنكم
لا تتشابهون تماما . . فلم يكن ماركوس قلقا هكذا مثلك ، وأنا
لا أقصد أنه لم يكن قلقا أبدا ، فقد كان قلقا بالطبع ولكن على
طريقته الخاصة . ولم يكن كيوليسس يحب أن يلقي الناس وأن
يتفرج عليهم ، بل كان خجولا يفضل أن يظل وحده ، ويحب

القرأة وسماع الموسيقى أو الجلوس صامتا من حولنا ، أو ينطلق
في نزهات طويلة على قدميه •

- ولكنني متأكد على أية حال أن يوليسس يحب ماركوس
بجدا •

- ان يوليسس يحب كل انسان في هذا العالم •

- ولكنني متأكد أنه يحب ماركوس حبا خاصا ، بل انني أعرف
أيضا لماذا ؟ فانه يخيل الى أن ماركوس ما زال طفلا على الرغم
من أنه في الجيش ، وأعتقد أن الطفل يبحث دائما في كل من يلقي
من الناس عن طفل مثله ، فاذا ما وجد في شخص يافع فانه يحبه
أكثر من أي أحد آخر • ولكم أتمنى أن أبلغ من الرجولة بقدر
ما في يوليسس نى طفولته ••• انى أعجب به وأقدره أكثر من
اعجابي وتقديري لاي شخص آخر من غ يرأسرتنا • هل قص عليك
ما حدث له بالامس ؟

- لا ، انه لم ينطق بكلمة واحدة عن ذلك ، انما أوجى هو
الذى جاء وقص الامر علينا •

- ولكن ماذا قال عندما عدت به الى البيت من مكتب التلغراف •

- لم يقل شيئا •• جلس يستمع للموسيقى ثم تناولنا
العشاء ••• وعندما كنت أضعه في الفراش غمغم «كريس الضخم» •
ونام مباشرة دون أن يقول شيئا آخر • ولم أعرف أنا من كريس
الضخم هذا حتى حكى لى أوجى •

- كريس الضخم ، هو الذى خلص يوليسس من الفخ ، وبعد
ذلك دفع لكوثنجتون عشرين دولارا ثمنا لهذا الاختراع السخيف
لانه كان قد تحطم تماما • ان الرجل يقول انه فخ ولكنني لأعتقد
ذلك ، ولا أظن انه يستطيع أن يمسك به شيئا في هذه الدنيا
الا يوليسس فحسب ، فأين هو هذا الحيوان الذى يترك نفسه ليقع
في مثل هذا الشيء المعقد •• ولكن فولى لى •• من أقرب الناس
شبهها بيوليسس ؟

- أبوه •••

- هل عرفت أبى وهو صغير؟

- لا لم أعرفه .. فهو يكبرنى بسبع سنوات . ولكن يوليسس الآن يشبه أباك تماما فى تصرفاته طوال حياته ...

وملا' مسز ماكولى فجأة شعور من السعادة الغامرة يطغى على كل ما حدث وكل ما قد يحدث ، فتنهدت قائلة :

- لقد كنت سعيدة الحظ دائما ، وانى أشكر الله على هذا . فان كل أطفالى ، الى جانب أنهم أطفال ، فيهم صفات الانسانية ، وكان من الممكن أن يكونوا مجرد أطفال فحسب ، فلاتكمل سعادتى ولا أكون حسنة الحظ حقا . بالامس بكيت أنت لانك انسان ، ولانك واحد من الملايين أمثالك فى هذا العالم . لقد بكيت لان تجربة الحياة وما فيها من مغامرة قد بدأت بالنسبة اليك ، وعلى الرغم من ان هذا العالم ملىء بما يصعب فهمه من الطيب والحيث ، والجميل والقيبح ، والسمح ، والقاسى ، فانه ليس الا شيئا واحدا . . انه عالم واحد يعيش فيه الناس ...

وتوقفت لحظة تنظر لابنها ثم عادت تقول :

- ولقد بكيت بالامس أيضا وأنت نائم !

فقال هومير وقد ذهل لانه لم يشعر بذلك : حقا ؟

- نعم .. وقد أيقظ بكأوك يوليسس فجاء وأيقظنى .. . وعندما سمعتك عرفت أنه ليس أنت الذى يبكى ...

- ماذا تقصدين .. ؟

- اننى أعرف هذا النشيج ، فلقد سمعته من قبل . لم يكن هذا نشيجك ولا نشيج أى انسان آخر ، انما العالم كله هو الذى يبكى . لقد أدركت أخيرا ما فى العالم من أسى ، وسلكت الطريق وليس أمامك بالطبع الا العثرات . كل الاخطاء الرائعة التى سترتكبها لامفر منها . أحب أن أجابهك أثناء افطارك هذا وفى ضحوة هذا النهار بما قد يجيبنى أى واحد منا عن أن يقوله فى ظلمة الليل العذبة الساكنة . ان روحك ما زالت نضرة من أثر هذا النوم وهذا الاسى ، وهذا شئ لامفر من أن أقوله لك . أريد أن أقول لك انه مهما كانت الاخطاء التى لابد أن ترتكبها فايك أن تفرغ منها

ولامن ارتكاب أخطاء كثيرة غيرها . ثق دائما أن قلبك على حق ، فهو قلب طيب ، وواصل سيرك ، لاتقف أبدا . وإذا ما عشت من خداع الناس وحيلهم أو من خطئك أنت ، فلا تراجع أبدا بل قم سريعا وسر . ستمر عليك أوقات كثيرة تضحك فيها وستعرض لك فترات كثيرة تبكي فيها ، ولكنك ستظل دائما تبكي وتضحك في الوقت نفسه ، ولن تكون لديك لحظة واحدة في حياتك تستطيع فيها أن تكون وضيعا تافها . فهذا شيء هو أدنى منك ، لا يليق بتوثب روحك ولا يمكن أن يقف في سبيل مراميك وأغراضك !! .

وابتسمت مسر ما كولي ووقفت الى جانب ابنها شاعرة بشيء من التحرج والارتباك ، ثم قالت : اننى آسفة أن أظل هكذا ليلا ونهارا أردد عليك أشياء أعرف تماما ان الانسان لا يحب أن يقولها له أحد الا نفسه .. فهل تغفلى .. ؟

ولم يستطع هومير أن يقول شيئا آخر الا « أوه .. أماه ! » وهو يترك مائدة الطعام - حاجلا على قدمه المريضة حتى النافذة . وراح يتطلع من هناك الى الارض الفراغ يرقب أوجست جوتليب ورفاقه وقد انصرفوا الى لعب الكرة .

— ماذا حدث لقدمك ؟

— أوه .. لاشيء .. قد انزلقت .. — ولم يدر هومير ظهره ولكنه واصل حديثه قائلا : « أماه .. أتعرفين .. أننى أعتقد أنك أروع انسان يمكن ان يعرفه المرء » !! وانطلق فجأة يضحك من شيء لاحظته فى اللعب وقال : « هذا أوجى يصيب المرمى من جديد . ولم يعد هذا اللقب لى أنا ... انى ذاهب الى مكتب التلغراف .. فقد قلت أننى سأعود ، اذ ربما يحتاجون الى .

واستدار منصرفا ولكنه توقف فجأة قائلا : « آه .. لقد كدت أنسى .. ان مستر جروجان .. انك تعرفينه ، عامل نوبة الليل ، قد أكل من الساندويتش الذى أرسلته لى بالامس مع بس . وقد كلغنى أن أشكرك .. ابلغك أذن شكر مستر جروجان !!

وغادر هومير البيت وسمعتة أمه وهو يضرب اطارات عجلته أكثر من مرة ليتأكد أنها منفوخة ، ثم رآته وهو يركبها دائرا حول البيت منجها الى مكتب التلغراف ، وأدارت هى بصرها الى المقعد

الذى كان يجلس عليه قرب المائدة ورأت هناك ماتيو مأكولى . كان
جالسا هناك كابنه هومير تماما يتفحص ملعقته ، وبعد لحظة
رفع عينيه اليها قائلا: كاتى - . .

- نعم ياماتيو . .

- كاتى . . ان ماركوس سيلحق بى . .

وساد الصمت لحظة ثم قالت كاتى : نعم . . أعرف . .

وعادت الى عملها . . .



- ٢٨ -

فى المكتبة العامة

سار الصديقان العزيزان ليونيل ويوليسس متجهين ناحية المكتبة العامة ، فرأيا على الناصبة التالية أمامهما موكب جنازة يخرج من كنيسة ايتاكا البرستيرية ، وشاهد احاملى النعش وهم يحملون النعش البسيط الى عربة قديمة على باب الكنيسة ، وقد سار خلفهم نفر قليل من المشيعين .

وقال ليونيل : تعال يا يوليسس .. هذه جنازة .. لقد ات احد الناس ، وأمسك بيده وجرى حتى أصبحا فى قلب المنظر كله . وهمس ليونيل : « هذا هو النعش .. وفى قلبه ميت . لو أعرف من الذى مات ! أنظر الزهور ، فعندما يموت الناس يحملون لهم زهورا .. وأولئك الذين يكون .. أولئك لابد أنهم كانوا يعرفونه . »

والتفت ليونيل الى رجل وجده لم ينخرط تماما فى البكاء ،
ولم يفعل الا أن مسح أنفه ومس عينيه بمنديله ، فتجراً يسأله :
« من الذى مات ؟ »

— انه المسكين جونى مرى ويزر الاحدب .

فردد ليونيل على يوليسس : أنه المسكين جونى مرى ويزر
الاحدب .

— قد مات وعمره سبعون سنة .

فكرر ليونيل على يوليسس : مات وعمره سبعون سنة .
واستمر الرجل يقول : لقد ظل يبيع الفشار ثلاثين سنة
على ناصية تلاقى شارع مارى بوزا بشارع برودواى .

— كان يبيع الفشار على ناصية ... ولكن ليونيل توقف فجأة
ونظر للرجل ثم قال له وهويكاد يصرخ :

« أتقصد بائع الفشار ؟ »

— نعم .. جونى مرى ويزر .. قد استراح الراحة الكبرى .

فصاح ليونيل : أننى أعرفه .. لقد وهبى شيئاً من الفشار
مرات كثيرة .. هل مات .. ؟

— نعم ، مات فى سلام وهونائى ، ذهب الى خالقه .

فقال ليونيل وهو يكاد يبكى : أننى أعرف جونى مرى ويزر
.. لم أكن أعرف أن اسمه جونى مرى ويزر ، ولكنى كنت أعرفه .
والتفت الى يوليسس ورفع ذراعه حول صديقه وهو يكاد
يبكى : انه جونى .. جونى مرى ويزر .. ذهب الى خالقه ...
واحد من خير أصدقائى .. استراح الراحة الكبرى ..

وتحركات العربى متعددة ولم يمض الا قليل حتى لم يعد أمام
الكنيسة أحد الا ليونيل ويوليسس . كان ليونيل يحس أن هناك
شيئاً من عدم اللياقة فى مغادرة المكان الذى عرف فيه أن الرجل
الذى مات وضمه النعش كان رجلاً يعرفه وان لم يكن يعرف أن اسمه
جونى ويزر . ولكنه قدر أخيراً على أية حال أنه لا يستطيع أن يظل
واقفاً هكذا أمام الكنيسة حتى ولو كان هذا الذى مات قد وهبه من
الفشار مرات كثيرة . فتحرك متفكراً فى الفشار يكاد يستشعر
طعمه فى فمه ، وانحدر هو وصديقه يوليسس ميمماً صوب المكتبة
العامة .

وبمجرد أن دخل الصبيان هذا المكان المهيب على تواضعه
ضمها مجال من الصمت والسكون كاد يبعث في نفسيهما شيئا من
الخوف والفرع ، وأحسا كأنما الحيطان وهذا السقف وهذه
المقاعد قد خرسست جميعا ، وإن الصمت ساد كل ما في
البناء فأغرقه . وشاهدا أمامهما شيوخا يقرأون الجرائد وفلاسفة
المدينة جالسين ، وصبية المدرسة العليا وبناتها يبحثون . ولكنهم
جميعا في سكون وصمت يجدون بحثا عن الحكمة ، وأصبحوا في
حمى الكتب يحاولون جاهدين أن يعرفوا . ولم يكف ليونيل بأن
يهمس لصديقه في حديثه إليه ، بل سار على أطراف أصابعه
لامرعاة للقراء ، بل احتراما لكل هذه الكتب . وحذا يوليسس
حذوه فسار على أطراف أصابعه ، وراحا معا يستكشفان المكتبة ،
وقد وجد كل منهما فيها كنوزا مختلفة ، فشغل ليونيل بالكتب
ويوليسس بالناس . وليس ليونيل بقارئ ، بل لم يحضر
إلى المكتبة ليستعير شيئا من كتبها !! إنه لا يحب إلا أن يتفرج عليها وأن
يرى كل هذه الآلاف منها . وأشار لصديقه أن صف من
الكتب على الرفوف وقال هامسا : كل هذه . . وهذه . . .
أنظر . . هذا واحد أحمر . . هذه جميعا . . وهذا آخر أخضر
. . أنظر كل هذا . .

ورأت مسز جالاهر أمينة المكتبة العجوز ، الصبيين
أخيرا فذهبت إليهما ، ولكنها لدهشتها لم تهمس بل
تكلمت إليهما بصوتها العادي ، وكأنما ليسوا في مكتبة عامة .
وصدم ليونيل من هذا ورفع بعض القراء أعينهم عن صفحات كتبهم
ولكنها سألت ليونيل :

- ما الذي تبحث عنه يا بني ؟

فأجاب ليونيل هامسا في رقة : كتب . . .

- أي كتب ؟

- كلها !

- كلها ؟ . . ماذا تعني ، انك لا تستطيع أن تستعير إلا أربعة
كتب في استعارة واحدة .

- أنا لا أريد أن أستعير منها شيئا .

— ماذا بالله اذن تريد منها ؟

— أريد أن أتفرج فحسب !

— تتفرج ..؟! ان المكتبة العامة لم تفتح لهذا .. انك تستطيع أن تفتح الكتب وأن تتفرج على الصور التي فيها .. ولكن ماذا تريد من مجرد الفرجة على ظهورها ؟

— أنا أحب هذا .. أليس مسموحا ؟

— ليس هناك قانون يمنع هذا !

ونظرت الى يوليسس وسألته: ومن هذا ؟

— هذا يوليسس .. انه لا يعرف القراءة ..

— وأنت ؟ هل تقرأ ؟

— لا .. أنا أيضا لأعرف .. ولهذا نحن أصدقاء .. هو الوحيد الذي لا يعرف القراءة .. من أعرف جميعا .

ونظرت أمينة المكتبة العجوز الى الصديقين ومر بذهنها ما يكاد يكون نطقا بلعنة خفيفة ، فهذا أمر جديد تماما لم يمر بها مثله من قبل طوال خبرتها الطويلة بالمكتبة العامة ، ولكنها قالت :

— من يدري .. قد يكون من الافضل أنك لاتستطيع القراءة .. وقد ظلت أنا أقرأ طوال سنتين عاما مضت ، ولاأرى الآن جدوى هذا .. اذهب .. اذهب يا بنى ، تفرج على الكتب كما تريد !!

— فليكن .. ياسيدتى ..

وتحرك الصديقان منطلقين فى عوالم أوسع من المغامرة والغموض ، وعاد ليونيل يشير ليوليسس الى مجموعة أخرى من الكتب : « وهذه .. يا يوليسس التى هناك .. أنظر .. هذه كلها كتب » .. وتوقف لحظة مفكرا ثم قال مشيرا الى رفوف خمسة مليئة بمجموعة كبيرة منها : اننى أتعجب ماذا يقولون فى كل هذه الكتب .. انظر .. كل هذه .. ماذا يأتري فيها ؟ »

واكتشف أخيرا كتابا يبدو من الخارج جميلا جدا ، قد تغطي بجلدة خضراء كالعشب النضر : وهذا يا يوليسس .. أليس جميلا ؟

وفى شئ من التوجس والحيفة مد ليونيل يده مذهولا لما يفعل ، وشد الكتاب من الرف وحمله فى يده برهة ثم فتحه قائلا :

« يوليسس .. أنظر .. كتاب .. ها هو .. أنظر .. انهم يقولون شيئاً .. هنا » ومد أصبعه مشيراً الى هذا الشيء في الكتاب وعاد يقول : « هذه ألف .. هنا .. هنا ألف .. وهذا .. لا بد أن يكون حرفاً آخر ولكنى لا أعرف اسمه .. ان كل حرف يا يوليسس هو غير الآخر .. وكل كلمة هنا مختلفة عن الاخرى » وتنهد ليونيل ناظراً الى الكتب واستمر يقول : « ما أظن أننى سأتعلم القراءة أبداً .. ولكنى مع ذلك أحب جداً أن أعرف ماذا يقولون هنا .. أنظر .. صورة .. صورة بنت .. أتراها ؟ .. أليست جميلة .. » وتوقف يقلب صفحات كثيرة من الكتاب : « أترى ؟ حروفاً أخرى وكلمات جديدة .. هكذا حتى آخر الكتاب .. هذه هى المكتبة العامة يا يوليسس .. والكتب هنا فى كل مكان ! »

وراح ليونيل يتأمل حروف الكتاب فى شيء من الاحترام والرهبة ، ثم راح يغمغم لنفسه وكأنما يحاول أن يقرأ ، ولكنه سرعان ما شعر بأن التجربة لا تقنعه ، فهز رأسه أسفا وقال : انك لا تستطيع يا يوليسس أن تعرف ماذا يقول الكتاب حتى تقرأه .. وأنا لا أستطيع أن أقرأ ..

وأغلق الكتاب فى ببطء وأعادته الى مكانه ، وتسلسل الصديقان على أطراف أصابعهما وغادرا المكتبة . وفى الخارج وقف يوليسس يرفس الارض بقدمه ، فقد كان مسروراً بحس أنه عرف شيئاً جديداً .



- ٢٩ -

في نادى المحاضرات

ترجل هومير من فوق دراجته أمام نادى ايتاكا للمحاضرات ووقف أمام البناء الأبيض الذى يبدو فى عمارته مزاجا من كنائس نيوانجلند وبيوت المهاجرين الاول أيام الاستعمار . ولما كانت الساعة قد شارفت الثالثة والنصف عصرا وقرب موعد البدء فى محاضرة الستبت من هذا الاسبوع فقد رأى هومير سيدات المدينة من الاعضاء يدخلن فى مرح وجلبة باب البناء . وكن جميعا سيدات فى متوسط العمر ، أغلبهن أمهات سمينات قد تهيأن للمحاضرة وتشابهن فى منظرهن حتى اختلطن وأصبح من الصعب التمييز بينهن . وأخرج الساعى برقية من قبعته وراح يتأملها ويقرأ العنوان عليها :

« روزالى سيمس بيودى ، نادى ايتاكا للمحاضرات ، ايتاكا ، كاليفورنيا ، يسلم اليها شخصا . »

- ١٧١ -

وعندما دخل الساعى البهو كانت رئيسة النادى ، وهى سيدة
فى أوائل العقد الخامس ، لطيفة ممتلئة ، قد قامت تقدم المحاضرة
النى لم تكن قد ظهرت بعد . ودقت الرئيسة على المنضدة
بمقبض صغير لكسر الجوز ، فبدأ الحاضرون يصمتون ، الا هومير
ماكولى بما اضطر أن يحدثه من حركة وجلبة بحثا عن روزالى
سيمس ييبودى . والتفتت اليه سيدة من السمينات اللاتى قد
يزدن على مائة وستين رطلا ، وأشارت اليه وهى تبتسم فى
لطف كى يقف ولا يحدث هذه الحركة .

فهمس هومير : « معى برقية لروزالى سيمس ييبودى . . تسلم
اليها شخصيا »

فصححت له السيدة الاسم : روزالى سيمس بيتى . . انها
فعلا تتوقع برقية . . فانتظر هنا حتى تظهر وسلمها اليها .

- ومتى يكون هذا ؟

- الآن . . حالا . . اجلس هنا وانتظر ، حتى تظهر روزالى
سيمس بيتى ، وعند ذلك تقدم الى المسرح وناد بصوت واضح
« برقية باسم روزالى سيمس بيتى . . بيتى . . يابنى . .
لابيبودى . . »

- حسنا ياسيدتى . .

وجلس الساعى على أقرب مقعد وانفلتت السيدة مبتعدة على
أطراف أصابعها وقد ابتسمت فخورة بما أدت من أمر خطير .

وسرعان ما بدأت رئيسة النادى تقول :

« سيداتى . . أعضاء نادى ايتاكا للمحاضرات . . لقد ادخر لكم
النادى مفاجأة عظيمة . . فمحاضرتنا اليوم هى روزالى سيمس بيتى
. . وتوقفت الرئيسة بعد اعلان الاسم كى تسمح للتصفيق المتوقع
أن ينطلق ، فلما توقف واصلت حديثها قائلة : ولست بحاجة
أن أقول لكم من هى روزالى سيمس بيتى . . فشهرتها
العالمية كواحدة من أعظم السيدات فى عصرنا هذا مقررمة معروفة .
اننا جميعا نعرف هذا الاسم ، ونعرف عن شهرته وذيوع صيته
. . ولكنى أتساءل . . أنعرف حقا سبب هذه الشهرة ؟ . .
واسنمرت تجيب بنفسها عن السؤال : « لا أظن ذلك » . .

وتوقفت لحظة تنظر الى صديقاتها من سيدات ايتاكا بين الحاضرين *
ثم بدأت تقص أسطورة الشخصية العظيمة ، وكأنها تحكى ملحمة
لا تقل عظمة عن الاوديسة ذاتها : « قصة روزالى سيمس يبيتى قصة
مثيرة للنساء خاصة * فلقد عاشت سيمس يبيتى ، وهذا هو
الاسم الذى تحب أن تعرف به ، حياة فاضت بالمخاطرة والمغامرة
والخطر والجمال * وعلى الرغم من ذلك فهى مازالت لاتعدو أن
تكون فتاة من فتيات بريطانيا الانبيات الجريئات .. الا أنها فى
الآن ذاته .. فتاة أشد من الصلب ، وأقوى من معظم الرجال *
بل فى الحقيقة ، يندر بين الرجال من عاش حياة فيها من المخاطرة
والمغامرة ما فى حياة سيمس يبيتى » *

وتسللت الى صوت الرئيسة نغمة من الاسى وهى تواصل'
أسطورة البطلة النسائية العظيمة: « أما نحن ، أولئك اللاتى سكن
فى البيوت تشتغلن أمهات أو تنشئن الاطفال ، فان حياة كحياة
سيمس يبيتى ليست بالنسبة لنا الا كحلم .. هو حلمنا ، نحن
جميعا .. ذلك الحلم الذى ساور كل واحدة منا وقد سكنت فى بيتها
تلد الاطفال وتدير المنزل * ان حياتها هى هذه الحياة الرائعة
الجميلة التى كانت تود كل واحدة منا أن تعيشها لو أنها
حرأت على ذلك * الا أن ارادة القدر شاعت ألا يكتب لنا مثل
هذه المغامرات ، وألا يكون فى هذا العالم الا سيمس يبيتى واحدة ..
واحدة فحسب » *

وتوقفت من جديد تتطلع فى وجوه صديقاتها القدامى من
الحاضرين ثم قالت :

« ماذا اذن هذا الذى فعلته سيمس يبيتى وجعلها هكذا
وحيدة بين النساء ؟ ان سلسلة مغامراتها مذهلة مدهشة ،
ولن تستطيع واحدة منكن أن تصدق وأنا أقرؤها عليكم أنه من
الممكن لاية امرأة أن تحقق كل هذا وأن تظل على الرغم من ذلك
تعيش بيننا * ولكن ها هى ذى ما زالت حية ، بل ستتحدث
الىنا بنفسها * ان سيمس يبيتى ستتحدث الينا اليوم فى لغة
بسيطة صريحة قد تصدم البعض منا * ولكن لتسمعوا لى أولا أن
أستعرض هذه المغامرات باختصار ، فلو أننى أردت سردها
بالتفصيل لما كفى هذا النهار كله بل لما كفى الليل أيضا ، فما خلا
يوم من أيام حياة سيمس يبيتى من المغامرات والمخاطرات * انها

تخلق المغامرات حيث سارت ، بل لنا أن نتأكد أنها لن تغادر
مدينتنا هذه ، ايتاكا ، المجهولة الصغيرة حتى تكون قد اكتشفت
فيها أشياء مازلنا نحن أنفسنا لانعرفها . ولكن فلنعد الآن الى
مغامراتها الماضية .

من عام ١٩١٥ حتى عام ١٩١٧ قادت سيمس بيتي عربية
الاسعاف في جبهة القتال أثناء الحرب الماضية . وخلال عام
١٩١٧ و ١٩١٨ خرجت في رحلة حول العالم مع فتاة أخرى على
ظهر سفن البضاعة ومراكب الحيوانات ، سائرة على قدميها
أو ممتطية أى شيء ، نازلة في أماكن غريبة كثيرة قد تكون
أحيانا مجرد أكواخ المواطنين في البلاد التي زارتها ، وبلغ عددها
سبعة وعشرين بلدا مختلفة . وعندما كانت في الصين قبضت
عليها جيوش الجنوب وهي تحاول أن تعبر النهر في مركب شراعي
بين كانتون وهانكو .

وتوقفت لحظة حتى يتسرب للنفوس أثر هذه الكلمات السحرية
ثم كررتها هامسة :

« نعم كانتون وهانكو . ولكن سيمس بيتي هربت من
أسرها مخترقة بقاربها شلالات نهر سيان في ابان موسم المطر ،
وفي وقت لايجرؤ فيه قارب آخر على القيام بمثل هذه الرحلة .

وفي عام ١٩١٩ عبرت شمال أفريقيا من مراكش الى الحبشة ،
وفي عام ١٩٢٠ استخدمها قلم المخابرات السرية في سوريا ،
فالتقت وهي في دمشق بالملك فيصل الذي ساعدها على القيام
برحلة للاستكشاف في (الكفرة) العاصمة السرية المقدسة لشيعه
السنوسيين المتعصبين ، هناك بعيدا في قلب الصحراء الليبية ،
وفي بقعة لم تطأها أقدام البيض من قبل . وقطعت سيمس بيتي
ألف ميل على ظهور الجمال متنكرة في ثياب امرأة مصرية ، وليس في
صحبتها الا نفر من أهل البلاد الحشنيين الذين لا يعرفون
الانجليزية . »

وبعد أن ألفت رئيسة النادي بهذه الملاحظة رفعت عينيها متطلعة
الى صديقتين من صديقاتها الحميمات ، ولحظها هو ميرفت عجب من معنى
هذه النظرة متسائلا في نفسه: متى تفرغ من الحديث عن روزالي
سيمس بيتي ، هذه الشخصية الغربية الحارقة .

وواصلت الخطبة حديثها :

«وأبحرت سيمس بيبتي طوال أربعة عشر يوما هابطة في البحر الأحمر على ظهر قارب ذى شراع واحد مع بحارة من الأعراب حتى وصلت إلى ميناء جيزان المحرم ، وقد تنكرت هذه المرة في ثياب امرأة عربية .

وفي عام ١٩٢٥ تسلقت جبال أطلس . وفي عام ١٩٢٦ سجلت ما يعد رقما قياسيا في السير على الأقدام قاطعة مائة ألف ميل خلال بلاد الحبشة » .

وعלת الرئيسة على هذه الحقيقة في استهجان كبير لنفسها ولصديقاتها من أيتا كاقائلة :

« فهل نستطيع نحن أن نسير دون ضيق أو ملل ولو مسافة قصيرة كالتي بين جونسوك وحدائق رودنج ؟ »

ثم تنهدت متأسفة ولم تعرف ماذا تجيب عن سؤالها فقالت : « مع أن هذا قد يكون مفيدا لنا »

وعادت بعد ذلك إلى تقديم المحاضرة متطلعة في أوراقها تبحث بين وقفت : « ولا وأصل حديثي أقول ٠٠ في عام ٢٨ جابت سيمس بيبتي بلاد البلقان كمراسلة صحفية لجريدة لندنية متكرة من بلد إلى بلد في ثياب نسائه ٠ »

وتملل همومير ماكولي ضجرا نافذ الصبر متلهفا على أن يعود إلى عمله في مكتب التلغراف ، وساءل نفسه متعجبا : ولكن لم هذا التنكر المتواصل ؟

ولكن الرئيسة واصلت تقديمها : « وفي عام ١٩٣٠ قامت سيمس بيبتي برحلة مثيرة خلال تركيا ، والتقت هناك بمصطفى كمال أتاتورك . وكانت سيمس بيبتي حينذاك متكرة في ثياب فتاة تركية من بنات الجبال . وقطعت ما يزيد على تسعة آلاف ميل على ظهر الحصان متنقلة خلال الشرق الأوسط كله . وعندما بلغت أذربيجان عاينت عن كثب القلاقل التي دارت بين الجيش الشيوعي الأحمر وفلاحى القوقاز . وفي عام ١٩٣١ قامت برحلة إلى أمريكا الجنوبية مخترقة غابات البرازيل لأصاحبها الأنفر من أهل البلاد ! ومن الغريب أن واحدا منهم ، كما فهمت من سيمس بيبتي نفسها - كان اسمه ماكس ٠ »

وشارفت رئيسة النادي أن تبلغ خاتمة حديثها فتنهدت قائلة

« ولكن مغامرات سيمس ببنتي لا نهاية لها ، وانتم انما تريدون ان تروها هي وان تستمعوا اليها لا الى أنا . »
وضحكت الرئيسة الرائعة لهذا النادي الرائع ، ضحكة مكتومة من تواضعها هذا اللطيف ، فجوابتها صديقاتها بين الحاضرات تشاركنها في قهقهة مرحة . ولما ساد الحاضرات صمت كاف ، قالت الرئيسة في صوت حازم مسرحي :

« سيداتي . لي الشرف الكبير أن أقدم لكن بصفتي رئيسة نادي ايتاكا للمحاضرات . . . روزالى سيمس ببنتي ! »

وتعالى التصفيق هذه المرة في صوت مدو وتحركت رئيسة النادي الى طرف المسرح كي تحيي الضيفة الممتازة ، ولكنها كانت للأسف لم تظهر بعد . فانتهزت الحاضرات فرصة هذا التأخر وزدن في ترحيبهن وتصفيقهن ، ومضت دقيقتان كاملتان تقريبا من التصفيق اضطرت فيهما بعض النساء الى التشكي من تألم أيديهن ، حتى طلعت عليهن أخيرا المرأة العظيمة !!

وتوقع هومير ما كولى أن يرى امرأة لم ير مثلها من قبل في حياته ! وعلى الرغم من أنه لم يكن يستطيع أن يتخيل على أية صورة سيطلع عليه هذا المخلوق ، الا أنه كان متأكدا ان منظرها لابد أن يكون مثيرا مسليا على أية حال . وكان منظرها هكذا فعلا ، فقد كانت روزالى سيمس ببنتي باختصار ، امرأة عجوزا متسلطة ، طويلة الوجه ، لا أثر للأنوثة في وجهها الذابل ، طويلة ، معروقة ، صفراء بادية العظام ، تثير الضحك والاشمئزاز . وبالرغم من أن الوقت حان كي يسلم هومير برقيته فانه ساءل نفسه عندما هب واقفا : هل هو قام لكي يوصل البرقية اليها ؟ أم هو قام دهشة لمنظرها ! وتعجب من نفسه : لم لم يندفع جاريا الى المسرح كما أمر من قبل !

واندفعت نحوه السيدة اللطيفة التي ألقت اليه بتعليماتها وراحت تدفعه قبل أن يشعر بوجودها الى الممر في البهو ، هامسة في صوت من الارتفاع بحيث لا يخطئه أحد : الآن . . . تقدم الآن يا بني . . . وسلم البرقية .

وتظاهرت السيدة العظيمة وهي واقفة على المسرح بأنها لم تشعر بهذه الحركة ، وبدأت تقول : « سيداتي أعضاء نادي ايتاكا للمحاضرات . » ورن صوتها منفرقا قبيحا كمنظرها تماما ، فتقدم هومير الى المسرح مسرعا وأعلن في صوت واضح عال : برقية لروزالى سيمس ببنتي !

وقطعت المرأة العظيمة حديثها والتفتت الى الساعى فى دهشة مصطنعة ، وكأنما كان ظهوره مفاجأة كاملة لها :

— ها نذا يا بنى •• أنا سيمس بيبتى •

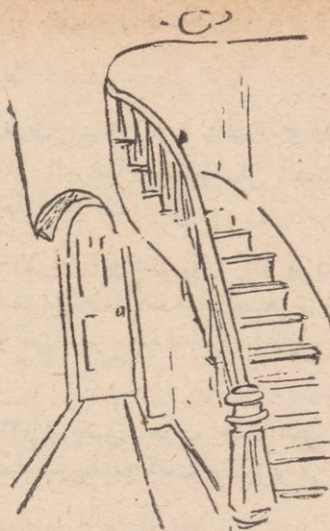
وأعادت النظر فى الحاضرين قائلة : « معذرة ياسيداتى » ، ثم انحنت توقع له بتسلم البرقية وأخذتها من الصبى وأعطته عشرة سنتات وهى تقول : خذ هذا لك يا بنى •

وآلم هومير هذا • الا أن الموقف كان كله مربكا مضحكا ، فلم يهتم أن يرفض ، وأخذ القطعة الفضية الصغيرة وأسرع على أشد الخجل والتحرج ، هابطا من المسرح مندفعاً الى الخارج ، وسمعها تبدأ حديثها :

« تصادف فى عام ١٩٣٩ ، قبل نشوب هذه الحرب مباشرة ، أن كنت فى بافاريا فى مهمة سرية ، وكنت متنكرة فى ثياب بائعة لبن الزاسية • »

وفى الطريق رأى هومير على الرصيف هنرى وليامسون الذى فقد ساقيه فى تصادم قطار عندما كان شابا صغيرا • وكان الرجل قد لجأ الآن وبعد ثلاثين سنة من الحادثة الى الجلوس هكذا على الرصيف ، وقد وضع فى حجره قبعة مليئة بالاقلام الرصاصية • ولم يكن هومير يعرف اسم الرجل ، ولكنه يذكر انه رآه هكذا طوال حياته ، وانه لسبب ما لم يحدث أبدا ان اشترى منه قلما أو أن ألقى له فى قبعته احسانا • وكانت السنوات العشرة التى أعطتها له سيمس بيبتى شيئا يريد أن يتخلص منه ، فلما رأى الرجل توقف وأسقطها فى قبعته وعاد مسرعا الى دراجته!

ولكنه ما كاد يبتعد قليلا حتى وجد بينه وبين نفسه أن مافعله لم يكن صوابا ، فدار بعجلته وعاد مسرعا حتى صار أمام الرجل الكسيح الجالس على الرصيف منذ ثلاثين سنة ، وألقى دراجته ثم سار اليه فأسقط فى قبعته هذه المرة ربع دولار من ماله الخاص •



- ٣٠ -

فندق بيثل

وبعد نصف ساعة كان هومير يترجل من جديد أمام فندق بيثل على شارع العين ويدخل صاعداً في الدرج الطويل . ولم يجد هومير في البهو الواسع مكتبا يستعلم منه ، ولم يكن هناك الا منضدة طويلة في أحد الأركان قد وضع فوقها زر جرس صغير وعلق على الحائط من فوقه اعلان كتب عليه « دق الجرس » . وراح الساعي يتلفت حوله لحظة ناظرا الى الابواب الكثيرة المغلقة في هذا الفندق الصغير ، ثم راح يتأمل البرقية التي يحملها باسم « دولي هوثورن » وتسلسل الى سمعه من إحدى الغرف صوت الحاكى يدور وأصوات رجلين وامرأتين يتكلمون ويضحكون . وبعد برهة خرج من إحدى الغرف رجل في نحو الأربعين من عمره ، ووقف عند الباب يتحدث مع امرأة شابة لم يظهر منها هومير الا رأسها فحسب ، ثم أغلقت الباب في عجل . ورأى هومير الرجل يندفع نازلا في الدرج بسرعة ، وقرر أخيراً أن يدق الجرس ، ففتح من جديد الباب الذي أغلقت صاحبة الفتاة في شيء أشبه بالتهلل والفرح : « سأحضر حالا »

وبعد قليل خرجت اليه الفتاة ، فدهش هومير اذ رآها جميلة
وفتية جدا لا تكاد تتميز عن بس أو ماري .

- معى برقية لدولى هوثورن .

- لقد خرجت الآن منذ لحظة .. هل أستطيع أن أوقع لك
بدلا عنها ؟

- نعم ، ياسيدتى .

ووقعت المرأة ثم راحت تنظر نظرات غريبة لساعى ، وقالت
له فجأة : « هل تستطيع أن تنتظر لحظة ؟ »

ومضت تجرى فى البور الطويل حتى وصلت الى : فتخفى
واختفت فيها . وبينما هى فى الداخل صعد رجل فى السلم ، وجاء
فوقف الى جوار هومير عند المنضدة ، وتلاقت نظراتهما أكثر من
مرة . ولما عادت الفتاة مسرعة كما ذهبت ، رأت الرجل ، فنادت
على هومير وصحبته معها الى الغرفة التى خرجت منها أول الامر ،
وهناك اشتم هومير للغرفة رائحة غريبة لم يعرفها أبدا من قبل ،
بعثت فيه تقززا . وناولته المرأة خطابا وهى تنظر فى عينيه
مباشرة وقالت :

- أستطيع أن ترسل لى هذا الخطاب ؟ انه هام جدا ، فهو
مرسل لاختى .. هل تستطيع أن تأخذه الى مكتب البريد وأن
ترسله بالبريد الجوى ، مسجلا ، خاصا مستعجلا .. ان اختى فى
حاجة الى نقود .. واخطاب فيه نقود وليس عندى الآن طوابع .
وتوقفت المرأة عن الحديث حتى يستطيع هومير أن يدرك أهمية
الامر بالنسبة لها ، ثم قالت : « أستطيع أن تفعل ذلك لى ؟ »

ولسبب لا يدريه عازد الساعى هذا الشعور بالمرض الغريب
المفاجىء الذى أحسه عندما كان فى بيت المرأة المكسيكية التى
قتل ابنها فى الحرب .

- نعم ياسيدتى .. سأأخذ الخطابات مباشرة الى مكتب البريد ،
وسأرسله بالبريد الجوى مسجلا خاصا ، مستعجلا .. سأذهب
الى هناك مباشرة .

- خذ هذا الدولار اذن ، ولكن ضع الخطاب فى قبعتك ولا تدع
أحدا يراه .. ولا تحدث أحدا عنه ..

- حسنا ، ياسيدتى .. لن أقول لاحد . سأذهب به الآن الى مكتب البريد ثم أعود لك بعد ذلك ببقية نقودك ..
ووضع هومير الخطاب ن قبعته واستعد للخروج ولكنها قالت له:
- لا .. لا تعد .. وأسرع .. هيا الآن .. وتذكر هذا ..
لا تحدث أحدا عنه .
- لن أتكلم .

وخرج هومير مغادرا الغرفة ، وما كاد يصل الى الدرج حتى كانت الفتاة لحقت بالرجل الذى تركه هومير عند المنضدة الطويلة .
فلما بلغ العتبة الاولى من الدرج التقى وجها لوجه بامرأة ضخمة أنيقة فى حوالى الخمسين أو الخامسة والخمسين من عمرها .
وتوقفت المرأة عندما رأت الساعى وقالت له مبتسمة :

- أمعك برقية لى .. ؟ دوللى هوثورن ؟

- نعم ياسيدتى .. قد تركتها فوق .

- أوه .. انك لطيف .. ! .. أنت ساع جديد ، أليس كذلك ؟ .. اننى أعرف الساعة جميعا فى الشركتين .. وسترن يونيون .. والبوستال ، وهم جميعا طيبون .. ظرفاء معى .. وأنا كذلك أحبهم ..

وفتحت دوللى هوثورن حقيبتها الغالية المحلاة بالجواهر وأخرجت حوالى عشرين بطاقة من بطاقات الزيارة وناولتها لهومير قائلة :
« خذ هذه .. »

- ما هذا .. ماذا أفعل بها ؟

- انك تذهب بالبرقيات الى أماكن كثيرة .. كالبارات وما شابهها .. ولست أريد منك الا أن تترك هذه البطاقات هناك فى مكان ما .. على البار .. أوفى أى مكان آخر وأنت خارج .. اتركها الى جوار المسافرين .. من الجنود والبحارة الذين قد يحتاجون الى غرفة يقضون فيها الليل . أليس علينا ، وهذه الحرب دائمة ، أن ندخل السرور على قلوب أولادنا ماداموا الى جوارنا .. ؟ .. اننى أعرف خيرا من أى أحد آخر وحدة أولئك الجنود الذين لا يعرفون ماذا سيحدث لهم غدا ولا كيف يطلع عليهم النهار أحياء أو أمواتا ..

- حسنا ياسيدتى ..

ونزل هومير فى الدرج خارجا الى الطريق ، على حين صغدت دوللى هوثورن الى تلك الغرف فى فندق بيثل .



- ٣١ -

الرجل الآلى

سار ليونيل ويوليسس بعد أن فرغا من مغامراتهما فى المكتبة العامة يستكشفان ايتاكا ، وألفيانفسيهما مع غروب الشمس واقفين فى مقدمة جماعة صغيرة من المتسكعين والمارة أمام نافذة متجر من المتاجر الصغيرة ، يتفرجان على ذلك الرجل المعروض فيها . وبالرغم من أن الرجل كان بشرافانه كان يتحرك كالآلة تماما ، ويبدو وكأنه صنع من الشمع لامن اللحم البشرى . وكان الرجل فى الحقيقة ذا منظر بعيد عن البشرية وكأنه جثة لم تدفن ، وضعت منتصبة ولا تزال قادرة على الحركة .

ولم يكن يوليسس قد رأى فى سنواته الأربع التى أمضاها فى هذا العالم شيئا عجيبا أكثر غرابة من هذا الرجل ومن عينيه اللتين لا يشع منهما ضوء وشفتيه اللتين تبدوان أنهما أغلقتا ولن تنفتحا أبدا .

كان الرجل يعمل ويتحرك بين لوحتين منهمكا فى الاعلان عن مقو

للدكتور برادفورد • وعلى احدى اللوحتين وضعت الرسالة التالية:
« الرجل الآلى • النصف آلة والنصف انسان • • ميت أكثر
منه حيا • • لك ٥٠ دولارا لو جعلته يبتسم ، و ٥٠٠ دولار لو
جعلته يضحك » • أما على اللوحة الاخرى فقد كان الرجل الآلى
يضع بطاقات صغيرة يتناولها بطريقة آلية بحتة من المنضدة
الصغيرة الموضوعة بين اللوحتين • وعلى كل بطاقة من هذه البطاقات
طبعت رسالة مختلفة تستحث الناس أن يشتروا الدواء المسجل
الذى اخترعه الدكتور برادفورد حتى يصبحوا أكثر حياة ونشاطا •
وكان الرجل الآلى اذا ما وضع البطاقة على اللوحة راح يشير الى
كل كلمة من كلماتها بمؤشر فى يده حتى يفرغ من البطاقات العشر
جميعا ، وعند ذلك ينتزعها كلها ويبعدها الى المنضدة لبدأ العمل
من جديد • •

وقال ليونيل لصديقه : « انه رجل يايوليسس • • انى أرى
ذلك تماما • • ليس آلة أبدا • • أنظر اليه • • أنظر الى عينيه • •
أليس حيا ؟ »

وكان الرجل الآلى قد وضع على اللوحة بطاقة كتب عليها :
« لماذا تبقى فى الحياة نصف ميت • • تمتع بالحياة • تناول مقوى
الدكتور برادفورد لتشعر أنك رجل جديد »

وقال ليونيل : وهذه بطاقة أخرى • • مكتوب عليها شئ •
ولكنه أحس فجأة بالتعب والكلال والرغبة فى العودة الى
المنزل ، فقال لصديقه : هيا يايوليسس • • نرجع • • لقد
رأيناه يضع البطاقات كلها ثلاث مرات • • هيا نرجع الى البيت • •
فقد كاد يدر كنا المساء • • وأخذ بيد صديقه ولكن يوليسس سحبها
بيدا من جديد •

فعاد ليونيل يقول : هيا يايوليسس • • انى جعت ولا بد أن
أعود للبيت •

ولكن يوليسس لم يرد أن يتحرك بل بدا وكأنه لم
يسمع كلمة واحدة مما قال ليونيل ، فاضطر ليونيل الى أن يتحداه
أخيرا قائلا : « أنا ذاهب يا يوليسس » • • وانتظر أن يعود
صديقه معه ولكن الصبي لم يتحرك مطلقا ، فبدأ ليونيل يتحرك عائدا
الى البيت وقد دهش وتألم لحيانة يوليسس فى صداقته ، ولكنه ظل

بالرغم من ذلك يتوقف كل ثلاث خطوات أو أربع متوقعا أن يلحق به صديقه . غير أن يوليسس كان واضح الرغبة فى البقاء والنظر الى الرجل الآلى ، فأكمل ليونيل رحلته وحيدا الى البيت وقد جرحه يوليسس جرحا عميقا ، فراح يقول لنفسه : « هذا الذى كنت أحسبه خير صديق لى فى هذا العالم » .

وقف يوليسس وسط ذلك النفر القليل ينظر الى الرجل الآلى حتى لم يعد أمام المحل الا هو ورجل هرم آخر . وظل الرجل الآلى يلتقط البطاقات ويضعها على اللوحة مشيرا الى كل كلمة من كلماتها ، حتى انصرف الرجل الهرم ولم يعد على الرصيف الا يوليسس واقفا يرقب ذلك الكائن الغريب . وتقدم الليل وأضيئت أنوار الطريق وخلص يوليسس من تلك النشوة التى أثارها الرجل الآلى فى نفسه وكأنما كان قد نومه منظره تنويعا مغناطيسيا . فلما استيقظ راح يتلفت حوله فرأى النهار قد فرغ وانصرف الناس جميعا ، وأحس أنه لم يعد حوله غير شئ لا يستطيع أن يسميه . . هو الموت .

وتلفت خلفه من جديد فوقع نظره فجأة على الرجل الآلى ، وأحس كأنه ينظر اليه هو وحده ، فأمتلا قلبه برعب بشع عاجل وانطلق فجأة يجرى . وأحس يوليسس أن أولئك الافراد القلائل الذين التقى بهم فى الطريق هم موتى كالرجل الآلى ، وأصبح منظرهم فجأة بشعا قبيحا لا محببا جميلا كما تعود أن يراهم .

وظل يوليسس يجرى ويجرى حتى أنهكت قواه ، فتوقف يجذب أنفاسه بصعوبة ويسكاد يبكى متلفتا حوله ، مستشعرا برعب دائم صامت من الاشياء جميعا . . . هو الرعب الذى يتمثل فى الرجل الآلى . . هو الموت !! ولم يكن يوليسس قد عانى من قبل أى لون من ألوان الخوف ، فلما اعتراه هذا الشعور بالرعب كان من الصعب عليه جدا أن يعرف ماذا يفعل ، ففقد سكينته كلها وبددها خوفه من أن يلحق به هذا الرعب ، فعاد يجرى من جديد قائلا لنفسه وقد أوشكت الدموع تتساقط من عينيه : بابا . . بابا . . ماركوس . . بس . . هومير . . بابا . . بابا . . ماركوس . . بس . . هومير !!

ولا شك أن الحياة كانت من قبل جميلة رائعة مليئة بما يحب أن يراه ويراه مرات عديدة ، أما الآن فإنها لم تعد الا شيئا مفزعا مرعبا عليه أن يهرب منه وأن يتجنبه لو يستطيع ان يعرف الى أين يذهب وأين يتجه • أنه يريد لو يلقي بأسرع ما يستطيع فردا من أفراد أسرته ، ولكنه يسير فى هذا الاتجاه خطوات ويعود فيسير فى الاتجاه الآخر، قد شله الرعب، مستشعرا فى كل ما حوله بكارثة فظيعة خارقة لن يستطيع أن يخلصه منها الا لقاء آبيه أو أمه أو أخته أو أحد أخويه • ولم يستطع يوليسس أن يعثر على واحد من هؤلاء جميعا، ولكنه رأى فى آخر الطريق أوجست جوتليب رئيس عصابة أولاد الجيران • كان بائع الجرائد واقفا فى ناصية الطريق المهجور يصيح بأعلى صوته مرددا الاسطر الأولى ، وكان المكان من حوله قدملاء قوم حريصون على أن يعرفوا أخبار اليوم كلها • وكان يجد دائما فى الصراخ بأسطر الاخبار الاولى شيئا سخيفا مضحكا ، فهم لا تعدو أن تكون أبدا أخبارا عن جرائم قتل من هذا النوع أو ذاك ، كما أنه لم يكن يرى أن من حسن الذوق أن يسير فى شوارع ايتاكا رافعا صوته هكذا فى أوجه الناس العابرين • ولهذا كان الصبى يستشعر السرور كلما اكتشف أن الطرقات قد خلت وهجرها الناس، فيندفع دون وعى بما يفعل ، رافعا قيرته، وهو مالا يفعله أبدا ، بأخبار النهار السيئة ، صائحا وسط شوارع ايتاكا الحالية ، وكأنما ينعم شاكرا بتلك الفرصة التى أتاحتها له سكان المدينة • فلماذا عسى يفعل المرء بأخبار كل نهار • ؟ ألا يستطيع أن يفعل الا أن يبيع الجرث و أن يكتسب هذه البنسات الضئيلة ؟ ألا يستطيع أن يفعل غير ذلك ؟ أليس من المضحك اذن أن يصيح المرء معلنا أخطاء كل يوم وكأنها أنباء مفرحة ؟ أليس من المخجل حقا أن يظل الناس هكذا لا يدركون ولا يهتمون بطبيعة هذه الاخبار المتكررة كل يوم ؟ ان بائع الصحف الصغير يرى نفسه أحيانا حتى فى أحلامه وهوائه ، رافعا صوته مناديا بأخبار العالم ، ولكنه يستشعر دائما اذ ذاك شعورا صادرا من أعماق تجربته بالاستهزاء والاحتقار لهذه الاخبار ولطبيعتها •

وطالما رأى نفسه فى أحلامه يصيح من مكان عال دائما وقد شغل الناس من تحته بما ألفوه من جريمة وأخطار ، فما يكادون يسمعون صوته مدويا حتى يقف كل واحد منهم فى طريقه ويتطلعون

جميعا اليه ،وعند ذلك يصرخ فيهم صائحا : « أرجعوا الآن ..
عودوا الى بيوتكم .. كفى قتلا .. اذهبوا فازرعوا الشجر » ..
نعم كان أوجست جوتليب يحب دائما فكرة زراعة الشجر .

رأى يوليسس اذن أوجست جوتليب على ناصية الطريق ،فتبدد
شئ كثير من الفزع الذى ملا قلبه ، وبدأ يشعر من جديد أنه لن
يضطر الى الانتظار سنوات وسنوات طويلة قبل أن يجد الحب
والخير فى العالم مرة أخرى .

وحاول الصبى أن يصرخ مناديا أوجست ولكن صوته احتبس ،
فراح يجرى بكل ما فيه من قوة حتى وصل اليه وألقى نفسه
عليه محتضنا اياه بشدة مفاجئة كادت توقع أوجى على الارض .

- يوليسس ! .. ماذا جرى ؟ .. لم تبكى ؟

فرفع يوليسس وجهه متطلعا فى وجه بائع الصحف الصغير
ولكنه كان لا يستطيع النطق ، فقال بائع الصحف : .. !

- انك خائف .. يا يوليسس .. لا تخش شيئا .. ليس هنا
ما تخافه .. يوليسس .. لا تبك .. لا تخش شيئا .

وظل الصبى ينشج ، فعاد يقول له : كفى .. كفى .. لا تبك .

وظل أوجى ينتظر أن يكف يوليسس عن البكاء وحاول
يوليسس جاهدا ألا يبكى ، فبدأ النشيج يسمع على فترات متقطعة
وكانما أصابه الفواق .

وقال له أوجى أخيرا : تعال .. معى .. نذهب الى هومير ..

وما كاد يوليسس يسمع اسم أخيه حتى تبسم وندت عنه نشجة
أخرى ، وكرر وراءه وكانما هو غير مصدق : هومير ؟

- نعم .. أخوك .. هيا بنا ..

- نرى هومير ؟ !

- طبعاً .. ان مكتب التلغراف على الناصية هنا .

وسار أوجست جوتليب ويوليسس ماكولى حتى الناصية التالية
الى مكتب التلغراف ، فوجدا هومير جالسا على مكتب التوزيع . فلما
رأى يوليسس أخاه تحول وجهه تحولا رائعا وتبدد الرعب كله من
عينيه ، فلقد أحس أنه وصل أخيرا الى البيت .

ورأى هومير أخاه فقام الى الصبي ورنعه في يديه ملتفتا الى
أوجي يسأله : ماذا حدث ؟ ما الذى أبقي يوليسس فى المدينة
حتى الآن ؟

- أظن انه قد تاه .. فقد وجدته يبكى ..

- يبكى ؟! .. واحتضن هومير أخاه فخرجت منه نشجة أخرى ،
فقال هومير : كفى يا يوليسس .. لا تبك .. سأعود بك على دراجتى
الى البيت .. كفى بكاء .. !

وراح توماس سبانجلر مدير المكتب يرقب الصبية الثلاثة ، على
حين توقف وليام جروجان العامل الهرم عن العمل ، وظل هو الآخر
برقبهم متبادلين النظرات مرات عديدة . وأنزل هومير أخاه الى
الارض وعرف ان الصبي قد اطمأن تماما اذ رآه يتجه الى مكتب التوزيع
ليتأمل ما عليه من أشياء ، فيوليسس دائما بخير مادام
اهتمامه قد استثير وعأوده حرصه على التطلع الى الاشياء . ووضع
هومير ذراعه حول أوجست وقال :

- شكرا يا أوجي .. لأدري ماذا كان يمكن أن يحدث ان لم
يقابلك !

ووقف سبانجلر واتجه الى الصبية ثم قال : هللو أوجي ..
أعطني الجريدة .

- ها هي ياسيدى .. وهم أوجي أن يؤدى حركاته المألوفة فى طي
الورقة واعداد الصفقة ، ولكن سبانجلر أوقفه ليذكر الجريدة
قبله ، وأخذها منه متطلعا فى أسطرها الاولى ثم ألقاها فى سلة
المهمات .

- هيه .. وكيف حال العمل يا أوجي ..

- انه جيد .. يامستر سبانجلر .. لقد جمعت اليوم حتى
الآن خمسة وخمسين سنتا .. ولكن ذلك لاني لم أبدأ العمل الا
فى الواحدة بعد الظهر ، وسأنتظر حتى يتجمع لى خمسة وسبعون
ثم أعود الى البيت ...

- ولكن لماذا .. لماذا الخمسة والسبعون سنتا بالذات ..

- لأدري .. غير اننى أتصور أنه يجدر بى فى يوم السبت
ان أجمع هذا المبلغ . والبلد الآن يكاد يكون خاليا تماما ، ولكنى

أعتقد أنى سأستطيع بيع بقية الصحف في ظرف ساعة أو ساعتين،
فبعد قليل يبدأ الناس العودة بعد عشايتهم .. ويتجمعون في
زحام السينما .

ـ فليذهب زحام السينما الى الشيطان .. أعطنى أنت بقية
الصحف وعد الى البيت .. خذاهذا هو ربع دولار !!

وبالرغم من أن بائع الصحف قد أحس بالتقدير والاعتراف
بجميل هذه المكرمة من مدير المكتب فإنه وجد فيها
شيئا لا يستطيع أن يرضى عنه بسهولة . ليس على المرء أن
يبيع الصحف واحدة واحدة لانه لا يبيعها لمتعدد دين .. أليس عليه أن يقف
في ناصية الطريق وأن يصيح بالاعذار حتى يجعل الناس يرغبون
فى قراءتها . ولكنه مع ذلك متعب يريد أن يعود للبيت ليتعشى ..
ومستر سبانجلر هذا ، انسان لم يعرف مثله من قبل . ولقد تكون
رغبته فى شراء هذه الصحف كلها دفعة واحدة والقائها جميعا فى سلة
المهمات هى أفضل خبر فى هذا النهار بطوله . ولكن لماذا يتحمل
مستر سبانجلر وحده ثمنها دون بقية أولئك النكرات فى الطريق .
! أوه : قد لا يكونون نكرات .. ولكن لماذا يتحمل وحده ثمنها
دونهم جميعا أيا كانوا !!؟

وأحس بائع الصحف ان عليه أن يحتج وأن يرفض هذه الصفقة
فقال :

ـ ولكنى لأريد أن آخذ هذه الخمسة والعشرين سنتا منك أنت
يامستر سبانجلر ...

ـ لا تفكر فى هذا .. أعطنى هذه الصحف وعد الى البيت .

ـ ليكن ياسيدى .. ولكنى أرجو أن تتيح لى فرصة فى يوم
ما كى أعوضك عن ربع الدولار هذا ..

ـ أوه .. طبعاً .. طبعاً .. - وألقى الصحف فى سلة المهملات .

وحول أوجى نظره الى يوليسس الواقف عند مكتب التوزيع وقال
لمستر سبانجلر : هل عرفت أن يوليسس قد تاه ؟

فقال سبانجلر : نعم . . . ولكنه ليس ضالا الآن . - ورفع
صوته مناديا : « يوليسس » .. فالتفت الصبى اليه ، وظل سبانجلر
لحظة لا يعرف ماذا يقول له ، فسأله أخيرا : « كيف حالك ؟ » وتردد

الصبي هو الآخر لا يجد ما يجيبه به ثم قال : « بخير » . وأحس كل منهما أن في نفس الآخر شيئاً غير ذلك قد قصد أن يقوله .

وعلق هومير مجيباً عن يوليسس « انه بخير » مستشعراً أن في كلماته شيئاً من الخطأ ، وإنها ليست ما يجب عليه أن يقول . وكرر أوجي مرتبكا نفس هاتين الكلمتين وكأنه قد خرج عليهما بشيء جديد رائع .

كانوا جميعاً يستشعرون شيئاً من التخرج ، ولكنهم مع ذلك في غمرة من السعادة والسرور وعلى الأخص سبانجلر . أما وليم جروجان فقد راح ينصت لهم وهم يتبادلون كلماتهم هذه ، ثم أخرج زجاجته وأدار غطاءها وجرع منها جرعة كبيرة .

وهم أوجي مستدير يريد العودة الى البيت ، فاستوقفه هومير قائلاً : « أوجي ، انتظر لحظة ... اني سأأخذك على دراجتي الى البيت ... هل تسمح لي يا ماستر سبانجلر ؟ فأنا ذاهب الى مصانع نبيذ ايتاكا أحضر برقياتهم من هناك ، والمصنع في الطريق الى البيت ، فإذا سمحت لي فاني سأحمل أوجي ويوليسس الى البيت أولاً ثم أذهب الى المصنع .

- طبعاً ... طبعاً ... وعاد سبانجلر الى مكتبه وأخرج البيضة المسلوقة التي يؤمن أنها تجلب له الحظ أو على الأقل تبعد عنه الشرور والمصائب الكبيرة .

وقال أوجي لهومير : لا يا هومير ... ليس هناك ما يدعو أن تحملني الى البيت ... ان حمل اثنين على الدراجة ليس بالشيء الهين ... وأنا أستطيع أن أعود بسرعة ماشياً .

- لا ... لا ... سأحملك ، ان البيت على بعد ثلاثة أميال تقريباً ، وليس هذا بالشيء الهين ... ثم اني لن أجد صعوبة في حملكما معاً على الدراجة ، فستجلس أنت أمامي ونضع يوليسس في المقدمة ... هيا بنا ...

وخرج الصبية الثلاثة الى الدراجة وانطلق هومير بحمله الثقيل ، ولاسيما أن قدمه تؤله ... ووصل براكبيه سالمين الى البيت . وأوقف هومير دراجته أولاً عند بيت أوجي الى جوار سوق آرا ، وهناك رأوا آرا نفسه واقفاً أمام باب محله وقد أمسك

يد ابنه الصغير بيده وعمما يتطلعان معا الى السماء • وعند نهاية الطريق الى جوار الارض الفراغ شاهدوا مسز ماكولى واقفة فى فناء بيتها تحت الشجرة الكبيرة تجمع غسيلها من احوال وسمعوا غناء مارى وبيانو بس يتسلل خافتا من غرفة الجلوس فى المنزل •

فلما وصلوا الى البيت نزل أوجى من الدراجة داخلا بيته ، على حين وقف هومير لحظة فى الطريق ممسكا بدراجته رافعا نظره الى السماء متطلعا الى بيت أسرة ماكولى أمامه • وبعد قليل عاد أوجى خارجا من البيت وذهب الى مستر آرا يسأله :

- كيف حال العمل اليوم يا مستر آرا ؟

- أشكرك يا أوجى •• أنا راض بما كسبت •

فقال له أوجى : معى الآن خمسة وسبعون سنتا أريد أن أصرفها •• وأن أشتري بها لغد الشيء الكثير •

- حسنا يا أوجى ••

والتفت البائع الى السماء قبل أن يدخل محله ، وأشار الى السحب ثم قال لابنه : « أنظر يا جون! •• لقد جاء الليل •• وبعد قليل نذهب الى فراشنا وننام •• ننام طول الليل •• فاذا ماطلع الصباح قمنا مرة أخرى •• فى يوم جديد •• »

ودخل الرجل وابنه وابن جاره الى المحل ، على حين كان يوليسس يرقب أمه وهو جالس على مقدم الدراجة ، وبعد قليل اعتلاها هومير ومضيا راكبين الى البيت •

وفى الطريق استدار هومير متطلعا الى وجه أخيه قائلا :
ماما ••

- طبعا •• هذه هى ماما •• فى الفناء تحت الشجرة ••
أتراها ؟

ولما اقتربا من المرأة الواقفة فى الفناء تحت الشجرة ، امتلأ وجه الانه الاصغر بابتسامة مضيئة ، وان ظهرت على وجه الام آثار حزن عميق ، كما بدا الحزن فى وجه الاخ الاكبر المسك بمقدم الدراجة وهو يكاد يحتضن أخاه الصغير ••• واخترق هومير بدراجته الارض الفراغ الى فناء البيت حتى الشجرة الكبيرة ، فنزل من فوق دراجته وأنزل أحاه ، وعلى الارض وقف يوليسس يتطلع

الى أمه ، وقد ذهب عنه الى الابد ذلك الرعب الذى أشاعه فى قلبه الرجل الآلى .

وقال هومير : لقد تاه يوليسس يا ماما .. ووجدته اوجى فصحبته الى فى مكتب التلغراف . وجئت الآن أعيده الى البيت فقط ، فلن أستطيع أن أبقي ، لكنى سأدخل لاجيى بس ومارى قبل أن أعود .

ونفذ هومير داخلا الى البيت ، ولكنه وقف فى الظلمة فى غرفة الطعام ينصت لاخته وفتاة أخيه حتى فرغت أنشودتهما ، فدخل عليهما غرفة الجلوس قائلا : هللو .

فاستدارت الفتاتان وحيته ماري : « هللو يا هومير .. » ثم انطلقت فجأة تقول له فى سرعة وسعادة عظيمة : « لقد وصلنى اليوم خطاب من ماركوس » .

- حقا .. يامارى ؟! وكيف حاله ؟

- بخير ، ولكنه يقول انهم سيرحلون قريبا دون أن يعرفوا الى أين ، ويطلب منا ألا تقلق خواطرننا عليه اذا تأخرت رسائله قليلا .

وقالت بس : لقد كتب لنا جمعا .. لماما .. ولى .. وحتى ليوليسس .

- « صحيح » ؟ وانتظر هومير أن تعلن له وصول خطاب له هو أيضا ، خائفا ألا يكون قد أرسل اليه ، وسألها أخيرا فى خفوت : وهل أرسل لى خطابا ؟

- أوه طبعا .. خطابك أنت أضخمها جميعا .. كنت أظن أنك ستعرف أنه مادام قد كتب لنا جميعا فلا بد أن يكتب لك أنت أيضا ..

ورفعت من المنضدة خطابا ناولته لهومير ، فراح ينظر اليه طويلا دون أن يتكلم ، فسألته أخته أخيرا :

- لماذا لا تفتحه وتقرؤه ؟ .. اقرأه علينا ..

- لا يابس .. أنا مضطر لان أذهب الآن ، وسأخذ الخطاب معى الى المكتب لأقرأه بالليل ، عندما يكون لدى وقت كاف .

فقالت بس : لقد قضينا نحن النهار نبحث عن عمل .. ولكننا لم نجد شيئا ..

فأصافت ماري : ولكننا على أية حال وجدنا الكثير من المتعة
والتسلية في مجرد الدخول على الناس وسؤالهم عن عمل .

فأجابها هومير : اننى سعيد على أية حال لأنكما لم تجدا عملا،
سواء كان هذا قد سركما أم لا . ويجب ألا تفكرا في هذا أبدا ،
فما أكسبه أنا يكفي لحاجاتنا جميعا . . ولايك يا ماري وظيفة
طيبة في مصانم ايتاكا . . ونستما في حاجة الى البحث عن
عمل .

- لا . . يا هومير . . نحن فعلا في حاجة الى أن نبحث عن عمل،
ولا شك أننا سنحصل عليه يوما من الايام . . بل لقد طلبوا
الينا العودة فعلا في مكانين . .

فقال هومير وقد بدأ يظهر في صوته الغضب : أقول لا تبحثا
عن عمل . . فلست يابس . . . ولا أنت يا ماري في حاجة الى
هذا ، واذا كان هناك ما يعمل . . فالرجال هنا قادرون على القيام
به . . . ان مكان البنات هو البيت ، وليس عليهن الا أن
يرعين الرجال . . يلعبن على البيانو ويغنين ويحاولن أن يظهرن
مبيلات ليراهن المرء كذلك اذا ما عاد الى البيت . . هذا هو كل
ما عليهن أن يعملنه . .

وصمت لحظة ثم استأنف حديثه في حنان ملتفتا الى ماري . . فاذا
ما عاد ماركوس يا ماري استأجرتا منزلا صغيرا لكما وكونتما أسرة
على نحو ما تريدان . . وأنت يا بس سيجي اليوم الذي تلقين
فيه شابا تحبينه . . هـذا هو العمل الذي يجب أن تفكرا
فيه . . فليس معنى أن العالم قد نشبت فيه الحرب أن يجن الناس
جميعا . . الزمى البيت ، مكانك الطبيعي وساعدى ماما . . وأنت
يا ماري التفتي الى مساعدة أبيك .

وكان في صوته شيء من السيادة والسلطة ، فشعرت أخته
بالفخر به ، فما رأته من قبل مهتما بشيء كما تراه الآن .
- لا تنسيا هذا أبدا . . والآن . . أعزفا لى أنشودة أخرى
قبل أن أذهب .

فسأله بس : ماذا تريد أن تسمع ؟

- أي أنشودة . .

فبدأت بس تعزف وسرعان ماشاركتها ماري في الغناء ، على حين
ظل الساعى فى ظلمة غرفة الجلوس يسمع ، ثم انسحب منصرفا
فى هدوء قبل أن تفرغ الانشودة . وعندما صار فى الفناء رأى
يوليسس عند بيت الدجاج ينظر متأملا فى بيضة .

ونادى هومير : « أماء » فلما التفتت أمه اليه قال لها : فلنعقد
العزم على الذهاب كلنا غدا الى الكنيسة . . . كلنا معا . . . ونأخذ
معنا ماري .

— ماذا تقصد يا هومير ؟ . . . نحن نذهب الى الكنيسة تقريبا
كل أحد . . . وماري دائما معنا . . .

فقال هومير فى عجلة : نعم . . . نعم . . . أعرف ذلك . . .
ولكن لنعقد العزم على ذلك غدا . . . وعلى أن تكون ماري معنا . . .
والتفت الى أخيه يسأله : ماهذا الذى فى يدك يا يوليسس ؟

فأجابه يوليسس وكأنما ينطق باسم الرب : بيضة .

واعطى هومير دراجته وسلك طريقه راكبا الى مضانع ايتاكا
للنبيد .



- ٣٢ -

مستنداً الى الاذرع الخالدة

بينما كان هومير يشق طريقه الى مصانع النبيد ، كان قطار أمريكي سريع يتحرك في مكان بعيد تختلف فيه الساعة الزمنية عنها في ايتاكا . وكان القطار بطوى أرضاً أمريكية ويخترق ليلاً أمريكياً حاملاً شبانا أمريكيين بينهم ماركوس وصديقه توبي ، وقد ارتدوا جميعاً ملابس الجنود وأعدوا ودربوا للقتال . ولكنك اذا ما نظرت في عيونهم ولمست أرواحهم العالية واستمعت الى أصوات الضحك والصياح والغناء الصادرة منهم عرفت أنهم لا يمثلون جيشاً فحسب بل يمثلون أمة بأكملها ، أمة كبيرة عظيمة . انهم وان كانوا قد تعلموا أن ينتظموا في الصف ، متحركين في أوقات محددة متخلين عن كل رغباتهم الشخصية في سبيل وحداتهم العسكرية ، فان هذا كله لم يجعلهم مجرد آلات ، بل ما زالوا أناساً طبيعيين تعمل في نفوسهم - على الأقل - رغبات الناس ومقاصدهم العادية . انهم

- ١٩٣ -

حقاً مصدر ضجة وضوضاء كبيرة، وقد لا يبدو عليهم أنهم لا يدركون أهميتهم وقيمتهم ، ولكنهم على أية حال لم يفقدوا أبداً شعورهم بكرامتهم ... ولئن كان للمرء أن يتأكد أن هذه الضجة إنما تنبع من خوف داخلي عميق ، فأنهم مع ذلك مازالوا جسورين لا يتهيبون شيئاً . لقد تقبلوا هذه الضرورة التي أوجبت عليهم أن يطردوا الخوف من نفوسهم دون أن يكونوا بحاجة إلى التمسك بأسباب زائفة أو تعلات وأقاويل مزوقة ، بل لقد رضوا قابلين أن يلقوا الموت إذا ما واجههم . انهم جميعاً أولاد أمريكا مازال معظمهم صبية صغاراً وإن كان بينهم من جاوز الأربعين : مازال معظمهم صبية صغاراً جاءوا من المدن الكبيرة أو القرى الصغيرة ، من المزارع أو المكاتب ، من أسر غنية أو فقيرة ، انتزع بعضهم من عوالم واسعة كبيرة ، وبعضهم الآخر من دنيا محدودة مغلقة ، مخلفين وراءهم أحلاماً وأماناً رائعة أو تاركين وراء ظهورهم أحلام حياة هادئة وادعة ، بينهم الانعزاع والغبى البطيء الفهم ، وبينهم التأثير المتقلب والسكان الثابت . ووسط هذا التهليل والضحك ، وفورة الانفعال والاضطراب والتلف ، وبين هذا المزيج الرائع من الجهل العميق والحكمة البعيدة ، كان ماركوس ماركولى يتحدث هو وصديقه توبى جورج فى صوت هادئ خافت .

وقال توبى : ها نحن اذ في طريقنا .

— نعم ...

— أتعرف يا ماركوس ؟ اننى أعد نفسى محظوظاً ، فلولا هذه الحرب لما التقيت بك ولما عرفت ما عرفته عن أسرتك .

فأحس ماركوس بشيء من الارتباك ولكنه قال : شكراً ... هذا هو شعورى أيضاً نحوك .

وتوقف لحظة عن الحديث ثم اتجه إلى صديقه بذلك السؤال الذى لابد أن يتردد مراراً على بال كل رجل يحس أنه معرض لخطر مجهول لا يعرفه :

— أريدك أن تقول لى الحق ، هل ستنزاع حقاً ، لو حدث أن قتلت ؟

ولم يستطع الآخر أن يجيب السؤال مباشرة ولكنه استطاع أخيراً أن يحمل نفسه على أن يقول : طبعاً ... اننى أستطيع أن أخدعك

وأن أظاهر بأن هذا لن يهمنى أوزيرعجنى ... ولكن لاشك أنى
أخشى ذلك وأخافه .. ألا تحس ذلك أنت ؟

- نعم ... انى أخشى ذلك جدا ... ولكنى كنت أريد فقط
أن أعرف .

وانتظر لحظة ثم استأنف حديثه يسأله : فيم تفكر؟ وما هذا الذى
تريد أن تعود اليه ؟

ولم يكن توبى حقا يعرف ما الذى يريد أن يعود اليه ، فأجابه
قائلا : لا أدرى .. أظن أننى أريد أن أعود .. أن أعود .. الى أى
شئ .. كيفما كان ... انى لست مثلك ، فلا أسرة لى ، وليس هناك
من أعود اليه ، ولكن أيا كان هذا الذى ألقاه عندما أعود فأنا راض
به : ليست لى فتاة كفتاتك مارى تنتظرنى ، ولكن بالرغم من ذلك
أعرف أنى أود العودة .. لو استطعت ...

- طبعاً ...

وساد بينهما الصمت من جديد حتى قطعه ماركوس قائلاً :

- كيف اتفق أنك أحببت الغناء ؟

- وكيف لى أن أعوف أنا هذا ... أنا أحب أن أغنى ، وهذا
كل ما هناك ...

وظلا لحظة يستمعان لصوت القطار وللضجة فى داخله ثم سأله
توبى : فيم تفكر ؟

ومضى بعض الوقت قبل أن يجيبه ماركوس ، وقال أخيراً :

- أفكر ... فى أبى وأمى ، وفى أختى بس وأخوتى هومير
ويوليسس . أفكر فى مارى وفى أبيها مستر أرينا ، وفى كل
جيتنا بما فيها الأرض الفراغ والاولاد والبيوت وسوق
آرا ومستر آرا نفسه ! أفكر فى عربات القطار التى تعودت
أن أرقبها تمر وفى مدرسة الاحد والكنيسة وحديقة المحكمة والمكتبة
العامة ومدرسى القدامى ... وكل أولئك الاولاد الذين عرفتهم فى
حياتى ... وفى أولئك الذين ماتوا منهم ... ماتوا ... لافى
هذه الحرب ... بل ماتوا موتاً طبيعياً .

- ماركوس .. قد يبدو ما أقول مضحكاً .. وقد لا تستطيع
أن تفهمنى .. ولكن أحس كأن أيتاكا هى وطنى !!

وتوقف لحظة ثم قال : لو أننا خرجنا سالمين .. لو أن هذا كله قد انتهى في خير ، فهل ترضى أن تصحبنى معك الى ابتاكا .. ؟ هل ترضى أن ترينى الاماكن التى عرفتها وأن تحدثنى عنها ، وأن تقص على ما حدث فى هذا المكان أو فى ذاك ؟

- طبعاً .. طبعاً .. انى ريد أن افعل هذا .. بل اريد أيضاً أن تلقى أسرتى .. اننا قوم فقراء .. وكنا كذلك دائماً .. ولكن أبى كان رجلاً عظيماً .. انه لم يكن أبداً رجلاً ناجحاً ، فهو لم يكسب فى حياته من النقود إلا ما يكاد يكفى حاجتنا .

- ماتيو ماكولى ؟

- نعم .. أبى .. ماتيو ماکولى . كان يعمل فى حقول الغنم ، وفى مصانع الطعام المحفوظ ومعاصر النبيذ .. كان يقوم بهذا العمل العادى اليومى ، فلو رأيت فى الطريق لما أحسست أنه يتميز بشئ عن أى انسان آخر . كان فى مظهره كبقية الناس جميعاً وكان يعمل كأي واحد منهم ، ولكنه بالرغم من ذلك كان رجلاً عظيماً . انه أبى وأنا اعرف انه كان عظيماً ، لم يكن بهنم بشئ الا بسرته .. بزوجه واطفاله .. وأذكر انه راح يقصد شهراً بعد شهر ويوفر النقود حتى استطاع أن يشتري بالتقسيط قيثارة .. نعم قيثارة .. ولست أعرف أن أحدا مازال فى وقتنا هذا يريد العزف على قيثارة ، ولكن هذا كان ما أرادته أمى وما راح أبى يقصد من أجله ويسدد ثمنه بالفائدة حتى اشتراها لها .. وظل خمس سنوات يدفع ثمنها .. لقد كانت أغلى قيثارة يمكن للمرء أن يشتريها . ولقد دخل فى أذهاننا ونحن صغار انه لا بد أن يكون فى كل بيت قيثارة لمجرد انه أصبح لدينا واحدة .. وبعد ذلك اشترى أبى بيانو لاختى بس ، ولكن هذا لم يكلفه مبلغاً كبيراً .. وأنا لم أكن أتصور وأنا صغير أن أبى وحيد فى عظمته هذه . بل كنت أعتقد أن كل انسان هو عظيم كذلك مثله .. حتى خرجت الى الدنيا وعرفت بعضاً من أولئك الآخرين .. انهم اناس طيبون .. لا عيب فيهم .. ولكنى لا أظن انهم عظماء ، أو من يدري فقد يكونون كذلك ، وأنا لا اعرفهم جيداً ، فلا شك أن من الواجب أن تعرف الناس حقاً قبل أن تلمس اذا كانوا عظماء أو لا . فمن الناس من هم عظماء حقاً دون أن يتصور أحد ذلك .

- كم كنت ود لو أننى عرفت أحداً كأيك ، وست أقصد

بذلك طبعاً ان يكون أبى أنا بل أن يكون موجوداً أستطيع أن أعرفه وأن ألقاه . ويخيل الى على أية حال اننى كنت محظوظاً بأن لم أعرف أبى ، فما زلت أستطيع ، مادمت لم أعرفه ، أن أعتقد أنه كان عظيماً .. كأيك تماماً .

- من يدري .. ربما كان كذلك .

- ربما .. هذا ما أرجوه . أتعرف اننى لم أدرك أن للاطفال آباء وامهات حتى ذهبت الى المدرسة وسمعت الاولاد يتحدثون عنهم .. وضحك توبى مرتبكاً ثم قال . ولم أستطع اذ ذاك أن أفهم ذلك ، فقد كنت أتصور أن كل رجل انما قد جاء الى الدنيا وحده ، مثلى ، وحيداً بنفسه . وأظن اننى عندما عرفت هذا تأملت زماناً طويلاً ، فقد جعلنى أحس اننى وحيد .. أقصد .. جعلنى أحس أكثر بالوحدة ، ومن يدري فقد يكون هذا هو السبب الذى دفعنى أن أحب الغناء ، فأن المرء اذا غنى لا يعود يشعر بوحده .

وتبدى فى صوته خجل وتحرج وهو يقول لصديقه : حدثنى عن بس ، كيف هى ؟

وأدرك ماركوس تحرج صديقه وهو يسأله هذا السؤال ولم يكن يريد له أن يحس بذلك فقال :

- لاضير من هذا ياتوبى .. انك تستطيع ان تسألى عن أختى .. بل اننى أريد أن ألقاها وأعتقد أنها ستحبك .

- أنا ؟

- نعم .. اننى أحس انها ستعجب بك جداً . وأريد أن أصحبك معى اذ: ماعدنا الى البيت لتبقى معنا هناك ، فاذا ما أعجب أحدكم بالآخر .. نعم .. لاشك أن بس الآن على أية حال فى سن الزوج .. وبالرغم من أنها أختى .. فانى أظن اننى أستطيع أن أقول هذا .. أنا متأكد .. وهذا هو المهم .. انها ستعجب بك جداً .

وبدأت كلمات ماركوس تتعاقب فى سرعة ، فقد كان يحس أنه بالرغم من استحالة الكلام فى مثل هذا الموضوع فان عليه أن يحاول على أية حال . ولذلك راح يحاول أن ينطق الكلمات وأن ينقل ما يريده من معنى بأسرع ما يمكن حتى لا يطول تحرجه

واضطرابه . وقال لصديقه أخيراً : « تزوجها .. وعيشاً في
ايتاكا ، فهي بلدة جميلة وستستطيع ان تكون سعيداً
هناك . وسوف أعطيك الآن صورتها كي تحتفظ بها . »
وناوله صورة لأخته بس وهو يقول : ضعها مع بطاقة شخصيتك
كما أضع أنا صورة ماري .

واخذ توبي صورة أخت صديقه وراح يتأملها وقتاً طويلاً ، على
حين راح ماركوس يتأمله هو ، ثم قال أخيراً : ان بس حقا جميلة ..
ولست أدري هل من الممكن أن يحب المرء فتاة لم يلقها أو لا ،
ولكنني أحس الآن أنني أحب بس فعلاً .. أنا أحس مرض
الحب حقا .. وأقول لك الحق ، لقد كنت متردداً قبل الآن أخشى
أن أفاتحك في أمر بس . ولكنني قلت لنفسى : « ما دمنا هكذا في
طريق لا يستطيع أحد أن يتنبأ بعاقبته ، فقد لا يزعجك أن
أكلمك في هذا » . وكنت أحس دائماً ، ولا حيلة لي في هذا ،
أنني لا أملك من الحقوق ما للآخرين .. انك تفهم ما أعني .. شاب
مثلي أعطاء الملجأ اسمه ولم يأخذه عن أب أو أم .. شخص لا يعرف
ماذا كانت جنسيتهم .. بل ما هي جنسيته هو . لقد
سمعت بعض الناس يقول أنني أسباني وفرنسي ، وبعضهم
يقول لا ، أنني ايطالي ويوناني .. وآخرون غيرهم يقولون أنني
انجليزى وايرلندى .. نعم .. يكاد كل واحد منهم ينسبني الى
جنسية تخالف ما ينسبني اليه الآخر ..

قال ماركوس :

- ولكن لماذا ؟! .. انك أمريكي .. هذا كل ما هناك ..
وكل انسان يستطيع أن يرى هذا بوضوح ..

قال توبي :

- نعم .. نعم .. صحيح .. أعتقد أنني أمريكي فعلاً ..
ولكنني ما زلت أريد حقا أن أعرف أى أمريكي .. أنا .

قال ماركوس :

- أنك الأمريكى الذى اسمه توبي جورج .. وأعتقد أن في
هذا الكفاية لائى انسان . اسمع .. احتفظ بالصورة .. فاننا
سنعود الى ايتاكا لتكون أنت أسرة وأنشئ أنا أخرى ، وسنتزاور

بين الحين والآخر لنستمع للموسيقى أو نغنى .. وهكذا نقضى حياتنا .

قال توبى :

- ماركوس .. أتعرف أننى أصدقك .. اننى أحلف بالله أنى أصدقك ! ولست أظن أبدا أنك تقول لى هذا لمجرد أننا قد تعارفنا وأصبحنا أصدقاء فى طريقنا هذا .. لا .. انى أصدقك وليس هناك ما أتمناه فى الدنيا أكثر من أن أعود معك ، انى أريد أن أعيش هناك وأن أحقق كل هذا الذى تحدثنى عنه .

وتوقف لحظة يفكر متصورا ماقد يعوقه عن أن يحقق هذا ، ثم قال : وإذا لم ترض عنى بس .. أو أحببت شخصا آخر .. أو وجدتتها قد تزوجت عندما أعود .. فاننى على أية حال لن أعيش الا فى ايتاكا ، فلست أدري لماذا ، ولكنى أحس أن ايتاكا قد أصبحت وطنى أنا الآخر . انى أحس لأول مرة فى حياتى انى أنتهى الى مكان ما .. وأن أسرة ماكولى - اذا لم يزعجك هذا - انما هى أسرتى .. فلو أننى خيرت لما اخترت أسرة أخرى . اننى أرجو من الله أن ترضى بى بس وألا تحب أحدا قبلى .. فأنا أعرف تماما .. اننى .. الآن .. أحبها .. وخفت صوته وهدأ ، ولكن ماركوس بالرغم من ضجة انقطار وما امتلأ به من صوت قد استطاع أن يسمعه وهو يقول : بالرغم من أن بس لا تعرف هذا ، فانها قد أصبحت فتاتى أنا ، ومنذ الآن لن أنففس الا لكى أبقى ، لأعود الى ايتاكا والىها هى .. ستكون ايتاكا وطنى الذى أعيش وأريد أن أموت فيه .. لو استطعت !!

قال ماركوس :

- اننا سنعود .. وسنجتمع فى ايتاكا ، أنا ، مارى وأنت وبس ومعنا أمى وهومير ويوليسس .. ليس الا أن تنتظر وسترى .

وصمت الصديقان فيما بينهما وقتا طويلا ، ثم قدم عليهما الآخرون فى القطار يحيونهما ، وما لبثا أن اشتركا معهم فى الصباح بل راحا يغنيان معهم أغنية قد ابتدعوها بأنفسهم عن نساء الطريق وما يصنع بهن . وفجأة ، وفى وسط الأغنية وكان

ما يقوله إنما هو أمر مناسب تماماً ، قال توبى لصديقه : أتصلى ؟
فأجابه ماركوس سريعاً : نعم دائماً .. دائماً .

- لقد كانوا يجبروننا ونحن في الملجأ على الصلاة ، فكنا نصلى
أردنا ذلك أو لم نرد .

- قال ماركوس :

- ما أظن العرض سيئاً على أية حال .. ولكن الصلاة هي
آخر ما يجبر عليه المرء ، والصلاة المقتضبة ليست بصلاة ...

قال توبى :

- نعم .. أنا معك .. ولهذا تركت الصلاة منذ غادرت الملجأ ،
ولا أظن أنى صليت منذ كنت في الثالثة عشرة .. ولكنى أريد أن
أعاود الصلاة من جديد من الآن .. واسمع .. هذه صلاتى ..

وانتظر لحظة ثم بدأ يصلى دون أن يغمض عينيه أو يحنى رأسه أو
يطوى ذراعه ، ولكن ما قاله كان ، ولا شك فى هذا ، صلاة
حقاً .. قال :

« اللهم لا أريد منك إلا أن تردنى لايتاكا .. إذا كان ذلك
مستطاعاً .. فلتجر مشيئتك كما تريد على ، ولكن ردنى لايتاكا
.. عد بى الى وطنى .. واحم الناس جميعاً .. وجنبهم الألم .
هب للضالين البيت ورد غربة المسافر .. وعد بى أنا الى ايتاكا »
وانهى صلاته ثم عاد يغنى من جديد كلمات الانشودة الفاجرة ،
ولكنه توقف فجأة صائحاً : آمين .

قال ماركوس :

- هذه صلاة صالحة .. أرجو أن تجاب .

وأحس اليتيم أنه ترك من صلاته شيئاً يريد أن يطلبه ، فاستأنفها
قائلاً : اللهم احفظ تلك المدينة وانعم على بالسير فى طرقاتها .
وارع هنالك أسرة ماكولى .. جميعاً ، احفظ لى بس ودعها
تعرف أننى أحبها .. واحفظ لنا ماركوس ومارى . وارع أمه
وأخويه هومير ويوليسس . واحم لنا البيت والأرض الفراغ الى
جواره . واشمل القيثارة والبيانو والناشيد بخيرك . وأحط برعايتك
قضايا القطارات حتى أستطيع أن أرقبها عندما أعود . دع العالم

يبقى كما هو ، وامنحنى فرصة العودة الى هناك .. الى ايتاكا ..
حيث أريد أن أكون .. ردنى الى ايتاكا .. اذا كان ذلك مستطاعا
فهذا كل ما أريد » .

ثم صاح من جديد : « آمين » .

وكان الجنود قد اندفعوا ينشدون أنشودة جديدة صاغوها
بأنفسهم أيضا ، ولكن الانشودة في هذه المرة تتحدث عن فناء
الاشياء جميعا وخاصة حب النساء ، معجبين جميعا بما فى الاغنية
من حكمة مستهتره متهكمة .

وشارك توبى وماركوس فى الغناء ولكن توبى توقف فجأة
يسأل صديقه : وأنت ياماركوس ماذا تطلب فى صلاتك ؟ فتوقف
ماركوس هو الآخر عن الغناء مجيبا : نفس ماتصلى له أنت ..
عين هذه الاشياء جميعا . وعاد الصديقان من جديد يشاركان فى
الاغنية ذات الحكمة المستهتره المتهكمة !

وانتهت الاغنية وساد القطار جميعه الصمت ، ولم يدر أحد
سببا لذلك ، ولكنهم نزلت عليهم جميعا لحظة سكنوا فيها ومسهم
جد عميق . وتقدم أخيرا جندى اسمه جوهيجنز الى ناحية
ماركوس وتوبى قائلا :

- ماهذا ؟ .. لماذا صمتنا هكذا جميعا ؟ .. ألا تغنى لنا يا توبى ؟
وأنت ياماركوس لم لا تلعب على الاكورديون ؟
- وماذا تريد أن تسمع يا جو .. ؟

- أوه .. أى شيء .. لا أدري .. لقد غنينا كل أغانينا القدرة ،
وقد يكون من الاولى بنا الآن أن نغنى واحدة من تلك الاغاني
القديمة .. أنت تعرف ماذا أقصد .. أغنية جميلة طيبة .. لم
لا نغنى شيئا من أغاني الكنيسة .. شيئا من هذا الذى كنا نغنيه
جميعا ونحن صغار ؟

فقال ماركوس : نعم .. لم لا .. ماذا تريد يا جو من أغاني
الكنيسة ؟

- أريد .. اسمعوا .. لاتضحكوا على .. أريد أن أسمع
« مستندا » أتعرفها .. مستندا الى الاذرع الحائلة » .

فالتفت ماركوس لتوبى يسأله : أتعرف كلمات هذه الاغنية
يا توبى .. أنا أعرفها وسأساعدك ان كنت لاتعرفها ..

— لا أعرفها؟! كيف؟ .. أظن أنني غنيتهما كل أحد في
عشر سنوات طوال ..

— اذن .. هيا .. نغنيها لجو ..

والتفت ماركوس لجو يقول له: وإذا كنت تريد يا جو أن تشترك
في الغناء فلا تتردد .. فليس من المهم أن تحسن الغناء .. ليس
عليك الا أن تشاركنا ..

— أوه .. طبعاً .. سأغنى ..

وبدأ ماركوس يعزف النغم القديم وسرعان ما شاركه توبى
بالغناء :

« مأجمل الصخرة والفجرح الالهى »

« مستندا .. مستندا الى الاذرع الخالدة »

« ماأنعم البركة ، وماأشمل ماأحس من سلام »

« مستندا .. مستندا الى الاذرع الخالدة »

وارتفع صوت جو عاليالاموسيقية فيه ولكنه مع ذلك محبب
جذاب ، يغنى مع توبى ، على حين راح جميع من فى القطار
يستمعون اليهما ، ولم يمض الا قليل حتى تجمعوا جميعا حول
الثلاثة : ماركوس وتوبى وجو مقتربين ما استطاعوا من كلمات
الانشودة القديمة الرائعة ونغماتها ، واستمر جو وتوبى يغنيان :

« مستندا ، مستندا ، آمنا محفوظا من كل شر »

« مستندا ... مستندا الى الاذرع الخالدة »

وعند ذاك كان كل من اجتمع حول المغنين قد اشترك معهما
فى الغناء .



- ٣٣ -

خطاب ماركوس لأخيه هومير

كان ذلك الاحد من أطول أيام حياة هومير ماكولى وأملئها بالاحداث . فقد بدأ يرى الاشياء الصغيرة كلها تكتسى برداء جديد من الاهمية ويبدو لها معنى واضح يستطيع أن يفهمه وأن يدركه ، وأصبحت ليلة الامس بما فيها من رقاد مضطرب مليء بالاسى جزءا دائما من يقظته وصحوه . لقد حاول جاهدا بالامس أن يبعث رسول الموت عن ايتاكا وأهلها ، ولكن هذا الذى كان حلما بالامس لم يعد كذلك الآن .

انه ما زال يحمل خطاب ماركوس معه لم يفتحه بعد ولم يقرأه .

ودخل هومير مكتب التلغراف يعرج متعبا يتلهف على أن يستريح ، ولكنه راح أولا ينظر الى القائمة التى يسجلون فيها الطلبات فلم يجد شيئا عليه أن يتسلمه ، فاتجه الى حيث يعلقون البرقيات الجديدة فلم يجد شيئا أيضا . لقد انتهى

العمل وحق له أن يستريح . فذهب الى العامل الهرم وقال له :

— أشاركنى الليلة يا مسترجرجوجان فى فطيرتين طازجتين .. من فطائر التفاح وجوز الهند بالقشدة ؟

وكان عامل البرق الهرم اذ ذاك نصف سكران . ولكنه قال له : أناصفك الثمن يا بنى .. ولكنى لن أكل من الفطائر .. وشكرا لك على أية حال ..

— ولكن اذا كنت لن تأكل من الفطائر ، فلن أكل أنا أيضا ، لقد كنت أظنك جائعا ، فأنا لأحس أبدا رغبة فى الطعام ، ولكن هذه هى أول لحظة أستطيع فيها أن أستريح طول هذا النهار ، وانى لا تعجب حقا انى لست جائعا ، فقد كنت أظن أن المرء بعد هذا العمل كله طيلة النهار لابد أن يجوع .. ولكنى لا أحس شيئا من هذا أبدا بالرغم من أنى لم أكل الا صحننا من الشيلى (١) فى السادسة !!

— وكيف حال ساقك الآن ؟

— بخير .. لقد نسيتهما تماما .. فأنا على أية حال أتحرك بسهولة .

وراح هومير ينظر لعامل التلغراف الهرم فى تمعن وتطلع ثم قال له فى صوت هادئ : أنت سكران يا مسترجرجوجان ؟

ألقي هومير سؤاله فى جد وإخلاص فلم يجرح الرجل أو يتألم بل قال له : نعم .. يا بنى .

وذهب الى مقعده فجلس هناك لحظة ثم رفع عينيه ينظر الى الصبى الواقف أمامه على الناحية الاخرى من المنضدة وقال :

— عندما أسكر أشعر بتحسن كبير .

وأخرج زجاجته وشرب منها جرعة كبيرة ثم استأنف حديثه : وأنا لم أقول لك يا بنى اياك أن تمس الخمر .. لن أقول لك كما نقول بعض الحمقى .. انظر ماذا فعلت الخمر بى .. واتعظ .. لن أقول لك هذا .. فلن يكون الاسخفا كبيرا . لقد خرجت

(١) صحن مكسيكى وطنى من خضروات مطبوخة مع اللحم وأبرز عنصر فيها هو الفلفل الاحمر واللوبيا الناشفة .

الى الدنيا الآن ورأيت أشياء كثيرة . . لم تكن قد رأيتها من قبل . . فدعنى أقول لك الآن شيئا . . تمهل جدا وتأن في كل ما يتعلق بالناس ، فاذا رأيت فيهم ما توقن أنه خطأ فلا تثق كثيرا بيقينك ، كن حريصا جدا اذا ما تعلق الامر بالناس . . وانى لأرجو أن تغفر لى اذا كنت مضطرا أن أكلّمك ، فأنت رجل أحترمه ولا يزعجنى أبدا أن أقول لك انه من الخطأ جدا بل من الحق أن ينتقد المرء الناس وماهم عليه !! اننى لأعرف شيئا البتة عنك . . لا من أنت ، ولا من أين جئت . . ولا كيف أصبحت على ما أنت عليه الآن ، ولكنى مع هذا سعيد شاكر لهذا كله . فان المرء كلما اقترب من خاتمة عمره ازداد عرفانه وشكره لأولئك الافراد الطيبين الذين سيموت هو ويتركهم وراءه للحياة . اننى لو لم أكن سكرانا لما قلت لك شيئا من هذا، وهذا وحده دليل طيب لك كى تعرف أن من الخطأ أن يكون المرء أحكاما عن أولئك الناس الذين يفعلون ما يعتقد الآخرون جميعا أنه خطأ !! لقد كان من الضرورى ، بل من المهم أن أقول لك هذا وأن تسمعه أنت ، أفليس من الخير اذن أنى كنت سكرانا واننى قلت لك ما قلت . . أتفهمنى ؟!

— لا أظن ذلك يا مستر جروجان .

— اننى أريد أن أقول لك شيئا قد يحرّجك ويربكك ، ولم أكن أستطيع أن أقوله لك لو لم أكن سكرانا . . أريد أن أقول لك أن تحمد نفسك وان تعرف لها قدرها شاكرا . . نعم . . نفسك انت ، فأنا أريدك أن تفهم أن المرء بما هو عليه انما هو شيء يحق له أن يفرح به . بل أن من الواجب عليه أن يسعد به وأن يحمد الله عليه . فانه اذا كان خيرا، فليس هذا لنفسه فحسب ، بل انما هو كذلك لى أنا أيضا ، ولكل اخوانه جميعا، وليس يخصه من هذا حقا الاحماية هذا الخير ونشره حولى أنا وكل الناس . وانت يابنى لك فى نفسك خير كبير عليك أن تشكر الله عليه ، فلن يلقاك أحدا ولا وهو يحمد الله مرحبا به ، مدركا ما فيك أول ما يلقاك .

ولسبب لا يدريه هومير تذكرفتاة فندق بيثل وطريقتها فى الحديث اليه ، ولكن الرجل الهرم استمر يتحدث اليه على حين راح هو يواصل تذكره للفتاة .

— ان الناس جميعا سيعرفون لاول وهلة أنك لن تخدعهم أو
تسبى اليهم ، سيعرفون أنك لن تحتقرهم ولن تنكرهم وأن كان
العالم كله قد احتقرهم وأنكرهم ، وانك لن تعجز عن أن تبين
فيهم ما لم يقدر بقية الناس على تمييزه وتقديره . ان من
الضرورى أن تعرف انت ذلك والا تخجل أو ترتبك أمامه ،
انك يا بنى رجل عظيم على الرغم من سنواتك الاربع عشرة .
ولست أدري أنا ، بل لا يدري أحد ما الذى جعلك هكذا عظيما ،
ولكن عظمتك مع هذا حق لا باطل فيه ، فاعرف أنها كذلك
وتواضع أمامها ، لا تغتر بها بل احرص عليها واحمها .. أتفهمنى ؟
وأحسن الساعى الصغير بحرج شديد ووجد صعوبة كبيرة فى
أن يقول :

— أظن ذلك يا مستر جروجان .

فواصل العامل الهرم حديثه قائلا :

— انى اذن أشكرك ، لقد ظلمت أرقبك صاحيا وسكرانا
منذ جئت تعمل هنا ، واستطعت دائما فى صحوى أو سكرى أن
أعرفك وأن أميز ما فيك . لقد عملت من قبل فى مدن متناثرة
فى أجزاء العالم كله ، وكنت حريصا وأنا فى شبابى أن أرى
الكثير من مدن العالم ، واستطعت فعلا أن أحقق هذا ، وأينما ذهبت
كنت أبحث طوال حياتى عنك ، بل لقد وجدت جوانب منك فى
أماكن كثيرة غير متوقعة ولا مطروقة ، وفى أفراد مجهولين
لا يعرفهم أحد ، بل اننى وجدت شيئا منك فى كل انسان لقيته ،
ولكنى لم أجد فى واحد منهم كفايتى مما أبحث عنه .. والآن
وأنا فى ايتاكا وفى طريقى عائدا الى حيث أستقر ، ها نذا أجذك
أنت أفضل وأعظم من كل من وجدت من قبل .. فلو أنك
تستطيع أن تفهمنى .. لاستطعت أيضا أن تقبل شكرى .. ما هذا
الذى تحمله فى يدك .. خطاب ؟ لقد انتهيت من كلامى .. فهيا
أنت يا بنى فاقرأ خطابك .

— انه خطاب من أخى ماركوس ولم تتح لى فرصة قراءته من
قبل .

— هيا افتحه اذن .. واقرأه بصوت عال .. أسمعنى خطاب
أخيك ...

— أتحب أن تسمعه يا مستر جروجان ؟

— نعم ، لو سمحت ، فانى رغب فى ذلك كثيرا •

وأخذ العامل الهرم جرعة جديدة من شرابه •

ومزق هومير مطروف خطاب أخيه واستخرج الخطاب ونشره
وبدا يقرأ بصوت عال وفى بطاء شديد :

« عزيزى هومير • قبل أى شئ • آخر أريد ان أقول لك ان كل مالى
فى البيت هو ملك لك أنت الآن لكى تعطيه بدورك ليوليسس اذا
لم تعد بحاجة اليه •• كل ما لى من كتب وفونوغراف وأصوات
وملابس حينما تستطيع أن ترتديها ، ودراجتى وميكروسكوبى
وعدة الصيد ومجموعة الصخور التى جمعتها من بيدرا •• وكل
شئ آخر أمتلكه هناك فى بيتنا ، اننى أعطيتها جميعا لك أنت
لا لبس ، فقد أصبحت أنت الآن رجل بيت ماكولى فى ايتاكا •
وأنت تعرف طبعاً اننى أعطيت أُمى أجرى عن العمل أثناء العام
الماضى فى مصانع الطعام المحفوظ للمساعدة فى البيت ، ولكن هذا
المبلغ لا يكاد يكون كافياً • وانى أتوقع أن تفكر أُمى وبس سريعاً
فى الخروج للعمل • ولست أستطيع أن أطلب منك ألا تسمح
لهما بذلك ولكننى أرجو ألا ترضى أنت من تلقاء نفسك بالسماح
لهما ، نعم انى أعتقد أنك لن ترضى عن ذلك كما كنت لا أرضى
أنا • ان أُمى طبعاً ستريد أن تعمل وكذلك بس ، ولكن هذا
نفسه أدعى لان لا تسمح لهما بذلك • ولست أدري كيف
تستطيع أن تجمع شمل أسرنا وأن تذهب الى المدرسة فى الوقت
نفسه ، ولكننى أعتقد أنك ستجد حلاً لهذا • ان ما يدفعه لى الجيش
يرسل لأُمى ماعدا بعض دولارات قليلة لا أستغنى عنها أنا ، ولكنى
أعرف تماماً أن هذا المبلغ لن يكون كافياً ، وليس من السهل على
أن أنتظر منك هذا كله ، على حين لم أذهب أنا للعمل الا عندما
بلغت التاسعة عشرة ، ولكننى ، على نحو ما أو من أنك ستحقق
ما لم أستطع أنا تحقيقه •

اننى أفتقدك طبعاً وأفكر فيك دائماً ، وأريد أن أقول لك انى
سعيد ، واننى — وان كنت لا أو من بالحروب بل أعتقد أنها حماقة
حتى لو كانت ضرورة — فانى أحس شيئاً من الفخر لأنى أحدم
وطنى ، الذى هو كما أراه ايتاكا وكل أفراد أسرة ماكولى • انى
لا أستطيع أن أتصور عدوى الذى أحاربه انساناً فليست أستطيع
أن أرى كيف أتخذ من أى انسان عدوا لى •• ولكن أيا كان هذا

العدو وأيا كان لونه ومدى خطئه فيما يعتقده ، فاني أعتبره صديقي لا عدوي لانه لا يكاد يختلف عني أنا . ولست أعتقد أنني أحاربه هو بل أحارب فيه نفس هذا الذي أريد أن أحطمه في نفسي أنا أيضا . ولا تظن أنني أتصور نفسي بطلا ، فليست لي القدرة على تلبس مثل هذه المشاعر ، بل انني لا أحس حتى بمشاعر الوطنية ، فقد أحببت دائما وطني بناسه ومدنه ، وعشقت دائما بيتي وأسرتي . ولقد كنت أفضل ألا أكون في الجيش وأرجو ألا تكون حالة حرب ، ولكن مادمت قد وجدت نفسي في الجيش ووجدت هذه الحرب قائمة فقد عزمتم منذ أمد على أن أكون أفضل جندي أستطيع أن أكونه . انني لا أعرف ماذا ينتظرني ولكن أيا كان هذا فاني أنتظره مستعدا في خشوع وتواضع . ولا بد أن أقول لك انني خائف جدا ، ولكنني واثق تماما أنه اذا ما حان الوقت فسأؤدي ما هو متوقع مني ، بل قد أجازه ، ولكنني على أية حال ، وهذا ما أريدك أن تعرفه ، لن أكون مطيعا في هذا كله الا لما يمليه علي ضميري وصوت فؤادي . ان معي الآن اخوة من كل أنحاء أمريكا ، وآلاف متعددة من مدن كائناكا ، ويجب علي أن أقول لك في صراحة دون تغطية أنني قد أقتل في هذه الحرب ، ولا شك طبعاً انني لأحب التفكير في هذا ، فليس أحب الي في العالم من العودة الى ايتاكا وقضاء سنوات طويلة معك ومع أمي وأختي وأخي . . . اني أريد العودة من أجل ماري ، وما أريده لنفسى من بيت وأسرة . . . ولكن من المتوقع جدا أن نسافر قريبا الى جبهة القتال ، ولا يعرف أحد أين يكون هذا ، ولكن من المفهوم بيننا جميعاً أننا سنرحل قريبا . ولهذا قد يكون هذا الخطاب آخر خطاب لك ، الى حين ، فأنا أرجو ألا يكون آخر خطاباتي جميعاً . على أنه اذا كان كذلك فاعمل على ألا يتفرق شملنا ، وألا تتصور أبدا اني قد ذهبت الى الابد ولا تدع الآخرين يشعرون بذلك . لقد اتخذت لنفسى هنا صديقا اسمه جورج توبي ، وهو يتيم لقيط ، ومن العجيب أن يصبح هو من بين الآخرين جميعاً صديقا لي . وقد حدثته عن ايتاكا وعن أسرتنا ، وأنوى في يوم من الايام أن أصحبه معي الى هناك . . .

وأنا أرجو منك ألا تحزن عندما تقرأ هذا الخطاب ، فاني سعيد اذ كنت أنا الذي أرسل للحرب من أفراد أسرة ماكولي وليس أنت ، والا كان هذا خطأ يدعو للحزن حقا .

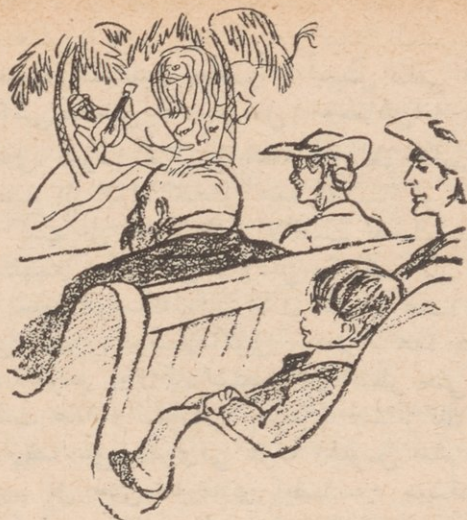
اني أستطيع الآن أن أكتب لك مالم أكن أقدر على أن أحدثك

به • أستطيع ان أقول انك أفضل أبناء أسرة ماكولى ، وان عليك أن تظل كذلك وألا تدع شيئا يعوقك أو يوقفك • انك الآن فى الرابعة عشرة ، ولكنك ستعيش ويجب أن تعيش حتى تبلغ العشرين والثلاثين والاربعين والخمسين والستين ، يجب أن تعيش سننى حياتك كلها الى الابد ، بل اننى مطمئن أنك ستفعل • وسأظل أنا أرقبك دائما ، فأنت هو هذا الذى نخوض الحرب من أجله • نعم • أنت ، أخى • كيف كنت أستطيع ان أقول لك مثل هذه الاشياء لو أننا كنا الآن معا ؟ فلو كنت الى جانبك الآن لألقيت نفسك على ولرحمت تصارعنى وأنت تتهمنى بأنى أحق !! ولكن ، مع ذلك ، فإن كل ماقلتة أنا حق صحيح تماما • سأكتب لك الآن اسمك هنا حتى تراه وحتى أذكرك من أنت : هومير ماكولى ، نعم ، هذا هو أنت • اننى افتقدك جدا يا هومير ، ولا أكاد أستطيع ان أنتظر حتى أراك مرة أخرى • فاذا ما حدث هذا والتقينا من جديد ، فسأتركك تعاركنى ، وأدعك تلقينى أرضا على ظهرى فى غرفة الجلوس أمام أمى وأمام بس ويوليسس ، بل حتى أمام مارى أيضا • سأدعك تفعل هذا لاننى سأكون سعيدا جد المجرد أن أراك مرة أخرى • ليباركك الله ، والى اللقاء ••

أخوك ماركوس

كان الساعى الصغير قد جلس أثناء قراءته للخطاب وراح ينطق الكلمات فى ببطء شديد مبتلعا ريقه بين حين وآخر ، مستشعرا ، مرات عديدة عين هذا المرض الذى فاجأه عندما كان فى بيت الام المكسيكية ، وعندما بكى فى تلك الليلة التى جاب فيها ايتاكا على دراجته بعد العمل • فلما فرغ من قراءة الخطاب هب واقفا ، وقد ارتعشت يداه وراح يعض على شفتيه وينظر متطلعا الى الرجل الهرم الذى لم يكن يقل فى انفعاله وتأثره بالخطاب عن هومير نفسه • وقال هومير فى خفوت : لو قتل أخى فى هذه الحرب الحمقاء •• فسأبصق على العالم كله •• • سأكرهه •• ولن أكون طيبا بعد ذلك •• سأكون شر من فيه ، وأسوأ من عاش على هذه الارض • وتوقف فجأة وقد صعدت اندموع الى عينيه ثم أسرع الى صندوقه وراء ذراع التيسار فخلع رداء العمل وارتدى ملابسه العادية ، ثم خرج من المكتب يجرى من غير أن ينظم هندامه •

وظل عامل البرق الهرم جالسا بعد ذلك وقتا طويلا ، وساد المكان صمت وسكون عميق ، فهز الرجل نفسه أخيرا وجرع ما تبقى فى زجاجته ثم قام واقفا ينظر حوله فى المكتب •



- ٣٤ -

اليك قبلة

تسير حياة الناس فى ايتاكا بل فى العالم كله على نحو
قد يتوهمه المرء أول الامر سخيلا معنى له ، فاذا مامرت الايام
والليالى وتراكت الشهور والسنون ، أدركنا ماكان
فى هذا النحو القديم من جمال ، وتوارت معالم القبح
التي كانت فيه مرتدية ثيابا من نعمة الحنان والحب ، وأحسنا
ان قوى الحشونة والغلظة قد لطفت واستحالت الى قوى جديدة أكبر
وأعظم من التجبب والوداعة . وعند ذاك لانكاد نميز لون الشر ،
فقد ضاع وتبدد فى ضياء الخير المنير ، وامتزجا معا فى لون جديد
يفوق جماله ماكان للخير وحده من ضياء .

وظل صندوق البرق يدق مرة بعد أخرى فيجلس مسترجرجان
الى آلهة الكتابة يدق رسائل الحب والامل وأخبار الالم والموت
آتية من العالم كله الى أطفاله جميعا : « عائد الى البيت » ،
« ميلاد سعيد » ، « تأسف وزارة الدفاع أن تبلغكم أن أبنيكم ... »

« قابلنى فى محطة باسفيك الجتوب » ، « اليك قبله » ، « أنا بخير » ، « فليباركك الله » . . . وهومير دائما يوصل هذه البرقيات جميعا . . .

وفى غرفه الجلوس فى بيت ما كولى شدت أوتار القيثارة وسمع بشير الغناء . . . أما الجنود فقد ظلوا يتحركون سائرين على الارض وفوق الماء أو فى الهواء عابرين أماكن جديدة ، تمر بهم الايام والليالى الى نوم جديد ولحظات جديدة غريبة قد ملائتها أصوات خارقة ومشاكل لم يسمع بها أحد ، وأخطار بالغة فى القسوة لا يكاد يصدقها انسان . ومع هذا كله . . . تتغير وجوه الاحياء جميعا على نحو خفى غير ملحوظ . . . نعم وجوههم جميعا . . . ماركوس ، توبى ، هومير ، سباجلر ، جروجان ، مسز ماكولى ، يوليسس ، ديانا ، أوجى ، ليونيل ، بس ، مارى ، وقتاة فندق بيثل . . . وروزالى سيمس ، ومستر آرا وابنه جون ، وكريس الضخم . . . ومس هيكس . . . بل حتى الرجل الآلى .

وظل قطار البضاعة الذى يحمل الزنجى فى عربته الاخيرة سائرا يطوى الارض ، والسنجاب الصغير يطل من حجره ، واكتسى المشمش على شجرة هندرسون بلون باسم جميل من ضوء الشمس وحمرة خدود الصبية الذين جاءوا يسرقونه ، وغادرت الدجاجة الراقدة كنها ، وخرجت وراءها جماعة الكتاكيت الصغار ، ويوليسس . . . مازال كما هو دائما يرقب ويتفرج ، والعرج فى ساق هومير قد شفى . . . وجاء على ايتاكا أحد عيد الفصح ومضى بعد العيد أحد آخر فثالث ورابع ، وتعاقبت على ايتاكا الاحاد حتى جاء هذا الاحد الذى جلست فيه أسرة ماكولى كلها تصحبهم مارى أرينا فى أولى كنائس ايتاكا البرسبترية . وكان مجلس يوليسس على الممر وقد تصادف ، وكأنما هى معجزة دينية ، أن جلس أمامه مباشرة رجل أصلع الرأس . وبدل يوليسس أن الرأس موضوع رائع للفرجة ، وأن شكله الذى يكاد يشبه البيضة يستحق الدراسة والنظر . كانت هنالك فى الرأس الاصلع بضع شعيرات تمت منعزلة وحيدة فى بطولة وجسارة ، وانقشع الرأس عن معجزة من التخطيط بتجعيدة طويلة تمر فى وسطه كما يمر خط الاستواء بالارض . ان الرأس بدل يوليسس شيئا رائعا فاتنا حقا .

وكان القس المبجل قد بدأ مع الحضور فى الكنيسة حوارا ثنائيا دينيا عن الحياة المباركة ، فقرأ القس أولا آية من الانجيل وأجابه الحضور فى صوت قوى وحنون .

وتغنى الاب بالآية : (متى - الاصحاح الخامس - آية ١)
« ولما رأى الجموع صعد الى الجبل • فلما جلس تقدم اليه
تلاميذه • »

« ففتح فاه »

فاجاب الحضور : وعلمهم قائلا:

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات • »

« طوبى للحزاني • لانهم يتعزون »

« طوبى للودعاء • لانهم يرثون الارض • »

« طوبى للجياع والعطاش الى البر • لانهم يشبعون »

« طوبى للرحماء • لانهم يرحمون »

« طوبى لانتقاء القلب • لانهم يعاينون الله »

« طوبى لصانعي السلام • لانهم أبناء الله يدعون »

« افرحوا وتهللوا : انتم ملح الارض • انتم نور العالم »

« فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة

ويمجدوا أباكم الذى فى السموات» •

كان الحضور يجيبون القس بآيات الانجيل ويوليسس منهمك فى فحصه للرأس الاصلع ، وعلى حين فجأة حطت على موضوع درسه ذبابة زيتته وبدأت تجوب الرأس مستكشفة، فانتعشت روح الصبي الصغير التى كاد أن يشملها النوم • وراح يوليسس يرقب الذبابة برهة ثم مد يده يحاول أن يمسك بها ، ولكن مسز ما كولى قبضت بلطف على يده وظلت ممسكة بها • فاستمر يوليسس يحملق فى الذبابة على الرأس الاصلع وهو لا يفكر فى شيء بالذات ، وسرعان ما استغرقه حلم من أحلام اليقظة حمله بعيدا عن كل شيء • رأى يوليسس جلد الرأس الناعم كأنه صحراء واسعة، وشاهد فى التجعيد الذى يمر بوسطه نهيرا صغيرا وفى سبع الشعيرات نخلات طويلة ، وفى تلك الذبابة أسدا هصورا • ولكنه حلم بنفسه أيضا وقدارتدى ملابس الاحد، ووقف على ضفة النهر يرقب الاسد على الناحية الاخرى، على حين التفت الاسد بدوره وراح ينظر اليه ، وكانت قراءة آيات الانجيل مستمرة متصلة •

وتبين يوليسس عن بعد أعرايا في ثياب فضفاضة رقد نائما على الرمل وإلى جواره ماندولين أو شيء آخر ، ولكنه آلة موسيقية على أية حال ، ثم ابريق صغير فيه ماء . ورأى الاسد يقترب في سلام ووداعة أشبهما تكون يوداعة الرجل النائم ، وانحنى على رأس الرجل يشمه دون أن يقصد به أى ضرر .

وانتهت القراءة من الانجيل ، وبدأ أرغن الكنيسة يتنفس في عظمة وروعة ، وشرعت الجوقة والحضور جميعا يغنون « صخرة العصور » .

وتلاشت رؤى الصحراء من عيني الحالم الصغير وبدأ في مكانها محيط واسع ، ورأى يوليسس نفسه يتشبث بصخرة قد علت بضع أقدام على سطح الماء المنعزل الذي غمره كله إلا رأسه ويديه . وراح يتلفت حوله عن مفر أو منقذ ولكنه لم ير شيئا غير الماء ، إلا أنه ظل مع ذلك صابرا لم يفقد الأمل أو الإيمان . وأخيرا رأى يوليسس من بعيد الرجل العظيم ، كريس الضخم سائرا على الماء متجها إليه حتى وصل عنده ومد يده دون أن ينطق بكلمة ، فرفعه من الماء إلى سطح المحيط . ولكن يوليسس ، بعد لحظة وقع من جديد وتناثر الماء حوله ، فمد كريس الضخم مرة أخرى يده واستخرجه . ولما أعاده واقفا على قدميه أمسك بيده وسارامعا على الماء . ولاحث عن بعد أبراج مدينة بيضاء امتدت حولها الأرض وازدهر النبات وأخذ الرجل والصبي سيران ميممين صوب المدينة البعيدة .

وانتهت الاغنية ، وأحس يوليسس أن أحدا يهزه فجأة ، فصحا من حلمه مفزوعا ليرى ليونيل يهزه وقد أمسك طبقا يجمع فيه الحسنات للكنيسة . وعندما عثر أخيرا على الخمسة السنتات التي معه وضعها في الطبق وانتقل من بعده إلى أمه .

وانحنى ليونيل على يوليسس يهمس إليه في خشوع ورهبة غامضة : يوليسس ؟ هل خلصت نفسك ؟

— ماذا ؟

— اقرأ هذا ..

وناول صديقه نشرة دينية مطبوعة . فبدا يوليسس يتفحصها ولكنه لم يستطع أن يقرأ ما عليها من حروف كبيرة كتبت بها

الكلمات التالية : « هل خلصت نفسك ؟ ان الوقت لم يضع
بعد » .

واتجه ليونيل الى الناحية الاخرى من الممر حيث يجلس
رجل عجوز وكرر عليه نفس السؤال : هل خلصت نفسك ؟
فالتفت الرجل الى الصبى بقسوة وهمس له نافذ الصبر :
سر في طريقك ابها الغلام .

ولكن ليونيل لم يمش ، بل قدم للرجل واحدة من نشراته ،
وكانه من الشهداء القديسين . فتار الرجل الهرم وضرب النشرة
فاوقعها من يد ليونيل ، فأفزع الصبى وزاد في شعوره بأنه أحد
الشهداء العظام .

وهمست زوجة الرجل الهرم : ماذا حدث يا عزيزى ..

- هذا الغلام .. يسألنى .. هل خلصت نفسك ؟ .. وبعد
ذلك يناولنى هذه .. ! وانحنى الرجل فالتقط النشرة من على
الارض وناولها لزوجته قائلاً : ناولنى هذه .. هذه النشرة ..
وبدأ الرجل يقرأ فى شيء من الثورة والحنق ماعليهما من كلمات :
هل خلصت نفسك ؟ ان الوقت لم يضع بعد .

وربتت الزوجة على يد الرجل الهرم قائلة : هون عليك ، لا شيء
فى هذا .. فمن أين يعرف الصبى أنك كنت مبشراً فى الصين
ثلاثين عاماً ؟

وواصل الصبية عملهم الدينى فى جمع الحسنات على حين كان
الارغن يدق فى رقة وعذوبة ، وارتفع فى الكنيسة صوت رفيع
عال يغنى . كان ليونيل وأوجى وشاج ومعهم عدد آخر من
صبان ايتاكا قد وقفوا فى آخر الممر الرئيسى وقد حمل كل منهم
طبقاً يجمعون فيه الحسنات . وظل الصبية فى مكانهم حتى
فرغت الموسيقى فانحدروا فى جد يسرون فى الممر وقد علاهم
صمت عجيب ومضحك ، متجهين مباشرة الى أسفل الممرات ،
وهناك وضعوا أطباقهم واحداً فوق الآخر ثم عادوا الى أماكنهم
فى جوار أهليهم .



- ٣٥ -

ضحك الاسد

وقف أوجى جوتليب ، بعد أن فرغ من زيارة الكنيسة ومن طعام الاحد ، وسط فناء بيتهم الخلفى يرفع شبكة من شباك التنس القديمة آملا أن يخرج منها شيئا ذا نفع . ومربى به نشيطا أنوك هوبر ، وهو صبي فى عمره تقريبا ، ووقف الى جانبه بخفة وراح يرقبه فى خفة كذلك . وكان الصبي يمتلك كرة باسبول قديمة قد ذهب غطاؤها ولكنه ظل مع ذلك يضربها بعنف على أرض الرصيف حتى تقفز الكرة عالية جدا ، ثم يلقفها ليعود يضربها من جديد مرة بعد أخرى — كان أنوك هوبر أكثر صبية أيتاكا عصبية وقلقا وأسرعهم حركة وأقلهم صبورا وأعلاهم صوتا فى الحديث .

— ماذا تفعل يا أوجى ؟

— شبكة .

— شبكة ماذا ؟ للسبك ؟

— لا .. للحيوانات .

ولكن حتى هذا الحديث القصير كان قد أمل أنوك هوبر فقال : أوه .. هيا بنا .. هيا نلعب باسبول .. أو نذهب الى خزان جوجنهم لننسلقه .

— لابد أن أعد هذه الشبكة ..

فصاح أنوك نافد الصبر : تعدها لماذا ؟

— لصيد الحيوانات .

— أين هى هذه الحيوانات التى تراها حولنا .. تعال ..

هيا بنا نذهب الى بحيرة مالقة لنستحم ..

— هذه الشبكة ستصطاد الحيوانات لا شك فى ذلك ..

— انك لن تستطيع أن تصيد برغوثا بشبكة التنس هذه ..

هيا .. هيا بنا نلعب .. أو تعال نتسلل الى سينما الجوهرة لنرى فلم طرزان ..

— اننى سأصطاد بها فى أول الامر كلبا كى أجربها .. فاذا

ما صلحت .. تعال اذن وتفرج ..

— هذه شبكة تنس قديمة ولن تستطيع أن تصطاد بها

شيئا .. تعال نذهب الى حديقة المحكمة أو الى سجن المدينة نحدث المساجين ..

— لابد أن أعد شبكتى أولا .. وسأجربها اليوم .. فاذا

وجدتها نفعت ففدا اذن .. غدا ..!

— ماذا غدا ..؟! هل ترى هنا حولنا حيوانات..؟ ماذا..

بقرة ؟ كلب أو كلبين .. بضعة أرانب ... دجاج ... ماذا تصطاد بها ؟

— شبكتى هذه قوية .. انها تصلح حتى لدب ..

— كفى هراء .. وهيا بنا .. ما هذا الذى تتخيل أن

تمسكه بهذه الشبكة القديمة ..؟ تقول انها تصلح لدب ؟ انك

لن تستطيع أن تمسك بها ولو دبا محشوا بالقش .. هيا ..

هيا بنا نذهب الى حى الصينيين لنسير فى شارع الصين ..

فتوقف أوجست جوتليب لحظة عما فى يده من عمل ليفكر

فى حى الصينيين ومن فيه من صينيين ، ثم رفع نظره الى أنوك

هوبر قائلا : أخائف أنت من الصينيين ..؟

فأجابه أنوك مخلصا : خائف .. لا .. أنا لا أخاف شيئا

أبدا ، فهم حتى وان كانوا خطرين ، فلن يستطيعوا أن يلحقوا

بى أبدا .. أنا سريع جدا .. اذا ما أطلقت ساقى ..

— أعتقد أن الاسد نفسه لا يستطيع أن يلحق بك .

— لا .. أنا سريع جدا .. فأين يذهب الى جانبى الاسد .. أو أى شىء آخر . الدببة أو النمر أو الصينيون ، افنى أسرع منهم .. هيا .. الآن .. هيا بنا لنعبر سكة حديد جنوب الباسفيك وهناك نلعب فرقة كوزموس .

— أعتقد أن صيدك أنت فى الشبكة أصعب من صيد الاسد!

— ليس هناك شبكة فى العالم من السرعة بحيث تستطيع أن تصطادنى .. تعال .. تعال الآن نذهب الى أراضى الملاعب المسواة لتتسابق ميلا فى الجرى .. وسأعطيك مقدما مائة ياردة أمامى ..

قال أوجى :

— ان أباك نفسه لا يستطيع أن يلحق بك ..
— يلحق بى ! .. لا .. انه لا يستطيع أن يقترب منى ..
ولوجرى ورائى لأعماه ترابى ..

وعند ذاك قدم عليهما ليونيل قائلا : ماذا تفعل يا أوجى ؟

— شبكة .. لصيد الحيوانات ..

فقال أنوك : أنه لن يستطيع أن يمسك برغوثا بهذه الشبكة يا ليونيل .. هيا .. تعال معى الى الارض الفراغ ترسل لى الكرة لأصدها .. ثم أرسلها لنا لك بعد ذلك .. ماذا تقول فى هذا؟
قال ليونيل : أنا ؟

قال أنوك : نعم ، يا ليونيل .. هيا .. أرسلها لى بقوة ..
وأنا سأرسلها لك سهلة جدا .. هيا .. هيا .. لقد كاد العصر ينقضى .

قال أوجى : اتفقنا يا أنوك .. لكن تذكر ما قلت .. انك سترسلها لى سهلة هينة .. فأنا لا أحسن صد الكرة وأحيانا تضعب منى فتضربنى فى وجهى .. وقد أصابت مرة عيني وأصابت أنفى مرتين ..

قال أنوك : لا تخش شيئا .. سأرميها سهلة جدا .. هيا .. هيا بنا ..

وعبر أنوك هوبر وليونيل كابوت الطريق الى الارض الفراغ

وعاد أوجى الى عمله من جديد . وفرغ أخيرا من حياكة أجزاء شبكة التنس القديمة كلها حتى أصبحت لديه قطعة كبيرة مربعة تقريبا . فراح يشدها من أطرافها ثم ثبت كل ركن من أركانها فى عصا غرزها فى الأرض وبدأ يتفرج على ما صنعت يده .

وجاء شاج مانوجيان من ناحية سور الفناء الخلفى وسأل أوجى : ما هذا ؟

فقال أوجى : شبكة لصيد الحيوانات .. أتريد أن تساعدنى فى تجربتها ..؟

— نعم .. طبعاً .. ولكن كيف تجربها ..؟

— هذا ما سأقوله لك .. انى سأمسك الشبكة واختفى وراء محل آرا .. وأنت تنادى أنوك .. فهو هنا يلعب بالكرة مع ليونيل ، وأنوك كما تعرف أسرع وأصعب فى صيده من أى أسد ، فإذا استطاعت هذه الشبكة أن تمسك به فلا شك أنها ستمسك بأى شىء آخر بعد ذلك .. اتفقنا .. لقد اختفيت .. أنا مستعد .. هيا فلتناد أنوك .. قل له أنك تريد أن تطلب منه شيئا ..

— ليكن .

وتطلع شاج الى أنوك فى الأرض الفراغ ثم رفع صوته عاليا ينادى : أنوك .. أنوك ..

فالتفت أنوك هوبر صارخا وقد ارتفع بصوته أضعافا على صوت شاج : ماذا تريد يا شاج ..

— تعال هنا .. أريد أن أسألك شيئا ..

— ماذا تريد منى ؟

— سأخبرك اذا ما جئت ..

— حسنا .

وبدأ يجرى ناحية شاج ، وجاء وراءه ليونيل لا يعرف اذا كان يحسن به أن يجرى أو أن يسير ..

وهمس أوجى : هذا ما يجب .. تعال الآن واختف هنا يا شاج .. امسك طرف الشبكة ، فإذا ما جاء قفزنا عليه أنا

وأنت وهو يدور عند ناصية المحل واصطدناه !! هل فهمت ؟

وصاح أنوك وهو يجرى مسرعا : هيا بنا نذهب الى بحيرة
ملقة لنستحم .. لقد ضاع العصر ولم نفعل شيئا .. ماذا
ننتظر هنا ؟

واستدار أنوك سريعا عند ناصية المحل فقفز عليه أوجى وشاح
ونشرا الشبكة فوقه . ولا شك أن أوجى كان محقا فيما توقع ،
فقد راح أنوك هو بر يتحرك كحيوان مفترس متوحش أشبه
ما يكون بالاسد . وبدل الصائدان جهدهما كله الا أن الشبكة لم
تكن قوية الى حد الكفاية ، فسرعان ما خرج أنوك هو بر واقفامنتصبا
لم يصبه شيء مسرورا جدا بنتيجة التجربة .

وضرب الكرة على الرصيف ثم قال : أوجى .. هيا بنا .. ان
هذه الشبكة لن تصطاد برغوئا .. هيا .. ماذا تنتظر ؟ ..

فقال أوجى وهو يلقي شبكته في الفناء : لا مانع .. هيا بنا
الى حديقة المحكمة نكلم المساجين .. وانحدر أوجى وأترك وشاح
فى الطريق ووراءهم غير بعيدليونيل ، متجهين جميعا الى حديقة
المحكمة ، ولم يمض قليل حتى كان أنوك هو بر قد سبقهم جميعا
ناصية بأكملها فتوقف يصيح فيهم : هيا .. أسرعوا .. ما هذا
البطء ؟

وهبط طائر أمامه من الشجرة فصوب كرتة اليه ولكنه أخطاه .



- ٣٦ -

الاشجار والكروم

خرج توماس سبانجلر وديانا ستيد فى عربة قديمة مكشوفة
يتنزهان عصا يوم الاحد حول كنجزبرج .

وفى الطريق أشار توماس الى صف من الاشجار يحيط بالكروم
وقال : هذه اشجار التين . . والكروم من ورائها عنب موسكاتى
. . وانظرى هناك . . تلك اشجار الزيتون . . وهذا ردان . .

والكروم هناك من عنب ملقة . . وبعد ذلك تكعيبة من اشجار
الحوخ . . وذاك مشمش . . هذا الوادى أجمل وديان العالم . . أنظرى
هذه . . شجرة جوز ، وهذه شجرة برسيمون لا ترينها كثيرا !
ان كل ماهو جميل رائع ينمو فى هذا الوادى .

فقالت المرأة الشابة : أوه . . يا حبيبى . . انك تحب الاشجار
. . أليس كذلك . . ؟

- أنا أحب كل شىء . . ولكن لا تسألينى الآن . . اذا كنت
أحبك . . فأنا أفعل . . أنا أحبك وأحب العالم أجمع وكل ما فيه !

ورفع صوته وقال وهو يكاد يصيح : لقد رأيت نهر الحياة
النقى صافيا كالبللور ، ورأيت فى المجرى وعلى الضفتين شجرة
الحياة قد حملت ألوانا من الفاكهة وجعلت أوراقها بلسما للشعوب !

وانحنى سبانجلر على الفتاة فقبلها عند منتهى عينها .

- حبيبى .. أنت سعيد ؟

- طبعاً .. طبعاً .. انى لا أهتم كثيراً بمسألة السعادة هذه
.. ولكن أيا كانت فلا شك عندى أنها شيء مثل الذى أنا فيه ..
أنظرى .. أشجار زيتون أخرى !!

ولف ذراعه حولها وقال : انى لا أستطيع الانتظار لأعرف ماذا
يكون .. وأظن أننى أفضل أن أكون فتاة صغيرة ، وانى لأحب
أن تتحرك حولى ابنة صغيرة تشبهك تماماً .. وأحب أن أسمع
صوت مثل هذه الفتاة !!

وأضاف توماس فى رقة : « أتعرفين .. لقد كنت أحسبك من قبل
حمقاء .. » وقبلها على فمها ثم قال : أما الآن .. فلا شك أن
من يستطيع أن يفعل هذا فهو ليس بالأحمق .. وها أنت قد
استطعت .

- أوه يا حبيبى .. كم أردت ذلك .. وأنا لست خائفة أبدا
.. لست خائفة على الإطلاق !

وسارت العربة الصغيرة فى موازاة نهر الكنجز مقتربة من
الحدائق التى يخرج إليها الناس للنزهة ، وهناك فى عصر هذا
الوقت تجمعت جماعات كبيرة من الإيطاليين .. ثم من
اليونانيين ثم من الكرواتيين والصرب ثم من الأرمن ثم من الأمريكيين
وكلهم يغنون ويرقصون . وكانت كل جماعة منهم تتغنى
بموسيقاها وترقص رقصها الوطنى ، فراح سبانجلر يوقف عربته
دقائق عند كل جماعة يستمع الى الموسيقى ويتفرج على الرقص
مستكشفاً فى كل منها ما يجب أن يعلق عليه وأن يحدثها به .

- أنظرى .. أولئك يونان .. انى أعرف هذا من الموسيقى
فقد كنت أعرف قديماً أسرة من اليونانيين ؟ هل ترين هذه الفتاة
التي ترقص ؟ هكذا كانوا يرقصون فى وطنهم القديم » .

وسارت العربة قليلاً ثم وقفت من جديد .

- وهؤلاء من الأرمن فانى لا أعرف هذا من القسيس والأطفال

الذين معهم .. فهم يؤمنون بهذا .. بالله وكثرة النسل .. انهم
يشبهون اليونانيين شيئا ما وفيهم بعد ذلك من الناس جميعا شيء
آخر .. أتريين هذا الرجل الهرم وهو يرقص .. ؟ استمعى الى
الموسيقى ..

وسارت العربية لتقف مرة أخرى عند جماعة جديدة .

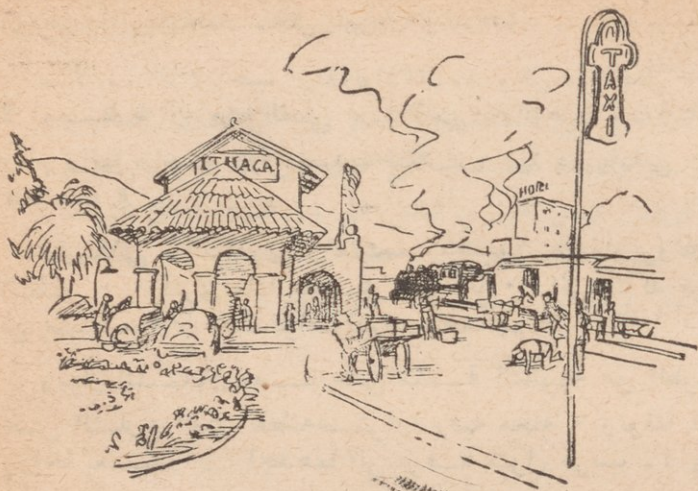
- واظن هؤلاء من الكروات والصرب .. وقد يكون بينهم
آخرون من تلك المنطقة .. فهم جميعا سواء .. ولف ذراعه حول
الفتاة وقال لها فى سرعة : « انى أريدها أن تكون فتاة صربية
صغيرة .. ولم لا يكون فيها شيء من اليونان أيضا .. أو من
الأرمن .. أو الطليان أو الروس . بل اننى أريد أيضا أن يكون
فيها شيء من الألمان والاسبان والفرنسيين كذاك .. نعم ..
قليل من كل مكان .. »

وعادت العربية تسير لتقف من جديد : وهؤلاء .. أتعرفينهم؟
إيطاليون . لقد يكون كوريت هنا فى مكان ما مع زوجته
وأولاده .. أسمعين غناءهم لأنشودة الحب ؟.

وسارت العربية حتى الجماعة الاخيرة من المتنزهين ، فبدوا
وكانهم أروع الجماعات جميعا ولكنهم لاشك أكثرهم حمية
وانطلاقا . كانت موسيقاهم هى الجاز والسوينج والبوجى -
ووجى ، ورقصهم غاية فى العنف والشدة . وصاح سبانجلر :

- امريكيون ! .. أنظرى اليهم .. امريكيون .. من اليونان
والصرب والبولنديين والروس والأرمن والألمان والاسبان
والبرتغاليين .. من الايطاليين والحش واليهود والفرنسيين .
من الانجليز والاسكتلنديين والابرلنديين .. أنظرى .. استمعى
لهم ..

وظلا ينظران ويسمعان لحطهم استأنفت العربية سيرها
متبعة ..



- ٣٧ -

ايتاكا . . وطنى . . ايتاكا

كان ذلك فى العصر عندما وصل قطار « سانتافيه »
للركاب قادما من سان فرانسيسكو وتوقف فى محطة ايتاكا لينزل
منه تسعة ركاب كان بينهم جنديان شابان . وقبل أن يعاود
القطار تحركه من جديد نزل منه جندي ثالث بعرج قليلا بقدمه
اليسرى وسار مبتعدا يتحرك فى ببطء .

ونظر الجندي الاول لصديقه وقال : هذه هى اذن ايتاكا . .
يا صديقى . . لقد عدنا الى بيتنا .

فقال الجندي الثانى :

- يا الهى . . انظر اليها . . نعم دعنى أشع منها . . الله . .
الله . . بيتى . . ايتاكا . . انى لا أعرف شعورك أنت الآن . .
ولكن انظر . . هذا ما أحس به . . وانحنى الجندي على ركبتيه
وقبل الحجر على أرض رصيف المحطة قائلا : قبلة لك منى
يا ايتاكا . . وقبل الأرض وهو يقول : وقبلة خرى . . وأخرى
. . وراح يقبها من جديد .

- ٢٢٢ -

- هيا بنا .. ياهنرى .. فم، ان الناس ينظرون لنا .. اتريد
أن يقولوا أن الحمد مجانيين ..

- لا .. أنا لا احب ان يقولوا ذلك .. ولكن ماذا افعل .. انى
لا أستطيع أن منع نفسى .. ي الهى .. وطنى .. ايتاكا ..
وقام واقفا وأخذ ذراع صديقه قائلا : « هيا بنا يادانى ..
فلنذهب » .

قال داني : انك تقول ان اهلك سيدهشون عندما يرونك ؟ !
انتظر .. لترى ماذا يفعل أهلى أنا .. انى متأكد من أنهم
لن يستطيعوا أن يصدفوا عيونهم من دهشتهم !!

وسار الشبان معا حتى الناصية التالية من الطريق في
نفس الشارع الذى يقطنه مستر آرا وفيه محله . وتوقفا فجأة ،
وراحا يعدوان ، أحدهما الى شرفة منزل قريب .. والآخر
الى شرفة المنزل المجاور . وخرج ألف رايف من وراء أحد البيوت
ووقف على الحضرة المزروعة بين البيتين يتفرج . وعندما فتح
الباب في هذا البيت فتح الباب فى البيت الآخر ، وفى نفس الوقت
احتضنت المرأة التى فتحت اسباب فى كل من البيتين الصسى
الواقف امامها . ولم يلبث أن انضم اليهما رجال وبنات وبنون ،
وراحوا جميعا يقبلون الجنديين . ولكن ألف اكتشف أن هناك
خطأ ما ، وراح يصيح بأعلى صوته :

- ليس هو .. ليس هو .. انه داني بوث ابن الجيران ..
لقد عاد .. انه يسكن فى بيت الجيران . ودخل البيت خطأ .
لقد كنا نحسبه لنا .. انه ابن مسز بوث .. وهذا اخونا نحن
بقبل مسز بوث .. ليس هو .. بالامى .. ليس هو ..
وقالت مسز رايف لداني بوث : اوه .. هللو داني .. لقد
حسيناك هنرى ..

- لا بأس يامسز رايف .. انى ذاهب قبل امى هناك ..
وارجو ان تاتوا جميعا أيضا .

وعلى الشرفة فى المنزل الآخر كان هنرى رايف يقول : هللو ..
مسز بوث .. لا تاتون الى بيتنا .. جميعا .. اننى مسرور جدا

برؤيتكم يامسز بوٲ . وقبلها مرة أخرى قائلا : هذا دانى يقبل
أمى على شرفتنا ..

وتكاثر الناس على العشب الاخضر بين البيتين رائحين
غادين فى اوتباك وبهجة محببة، على حين ظل آلف رايف يصيح
مرة بعد أخرى : ليس هو .. ليس هو .. لقد دخل البيت
خطأ .. انه يسكن بيت الجيران .. هيه .. هنرى .. ماما هنا
.. هذه مسز بوٲ .. دخلت خطأ .. ياهنرى ! ..



- ٣٨ -

ان الحب خالد وأما الكراهية فتموت كل لحظة.

كان هومير ماكولى واخته بس واخوه يوليسس وصديقتهم ماري
أرينا قد خرجوا جميعا يتريضون فى ايتاكا عصر يوم الاحد ، فمروا
فى سيرهم بصف من الناس واقفين أمام دار السينما وتبينوا ليونيل
بينهم • فتوقف هومير وقال : هلوليونييل هل ستدخل السينما ؟

قال ليونيل : ليس معى نقود •

فقال هومير : لماذا تقف اذن فى الصف ؟

- قال ليونيل : كنت مع أوجى وشاج وانوك فى حديقة
المحكمة نكلم المساجين ولكنهم طردوني ولم أعرف أين أذهب •
ولما رايت أولئك الناس واقفين جئت أنا الآخر ووقفت معهم ••

قال هومير : وكم بقى لك هنا فى الصف ؟

قال ليونيل : حوالى ساعة فيما أظن •••

- ٢٢٦ -

قال هوميير : ... ولكن هل تريد أن ترى الفيلم ؟ وأخرج من جيبه بعض نقود ، ولكن ليونيل أجابه :

— لا أدري ... ليس هناك مكان أذهب اليه ولكنى لا أحب السينما كثيرا .

قال هوميير : حسنا أذن ... لم لا تأتى معنا ... اننا نتفرج على نوافذ المحلات ... وسنسير قليلا ثم نعود الى البيت ، فتعال معنا يا ليونيل ...

ورفع الحبل الذى يصطف خلفه الناس فخرج ليونيل من تحته مغادرا الصف وهو يقول :

— شكرا ... أنا كنت فعلا قد تعبت من الوقوف على هذا النحو .

وبينما هم سائرون وقف يولييس فجأة وراح يشد ذراع أخيه هوميير مرات عديدة مشيرا الى أرض الرصيف ، وهناك على الأرض كان أمام الصبى بنس معدنى ملقى على وجهه المرسوم عليه صورة لنكولن .

فقال هوميير : انه بنس ... خذه يا يولييس ... فهو يجلب الحظ خذه واحتفظ به دائما .

فالتقط يولييس القطعة المعدنية وراح يتطلع فى وجوه من حوله متبسما مسرورا بحظه السعيد . ومروا فى سيرهم بمكتب التلغراف القائم على الناحية الأخرى من الطريق فتوقف هوميير ليلقى نظرة على ما يجرى فى المكتب قائلا لهم : هنا أعمل ... منذ شهور ستة تقريبا . وقطع حديثه لحظة يفكر ثم عاد يقول وكأنما يكلم نفسه : وكأنها مائة سنة ...

ونظر الى داخل المكتب قائلا : أظن أن هذا هو مستر جروجان ، اننى لم أكن أعرف أنه يعمل اليوم ثم التفت للآخرين يقول لهم : انتظرونى هنا لحظة ... سأعود حالا ...

وعبر الطريق مسرعا ودخل المكتب فرأى مستر جروجان أمام صندوق البرق والاسلاك تدق ولكن العامل الهرم لا يتلقى شيئا من البرقية المرسلة . فجرى هوميير الى الرجل قائلا : مستر جروجان ... مستر جروجان ، ولكن الرجل الهرم لم يجبه ولم يستيقظ . فعاد الساعى مسرعا يعبر الطريق الى الآخرين الذين ينتظرونه

وقال لهم : ان مستر جروجان ليس بخير ... ولا بد ان اعود
لاهتمامه ، فعودوا انتم الى البيت وسالحو بكم بعد قليل .

فقالت بس : حسنا ياهومير .

ولكن ليونيل سألته وهو لا يكاد يعرف عن يتكلم :

- ماذا جرى له يا هومير ؟

فقال هومير : لابد ان اعود بسرعة ... سيروا انتم الآن ، لا
ياليونيل ... لم يجر شيء ... سوى انه رجل هرم .

وعاد هومير مسرعا الى المكتب وراح يهز مستر جروجان مرات
عديدة ، ثم جرى الى اناء الماء فملا كوبا ورقيا ونثر الماء على وجه
الرجل الهرم ، وفتح مستر جروجان عينيه ، فقال هومير :
- عذا هو أنا .. يا مستر جروجان ... انني لم أكن أعرف
أنك ستقدم اليوم للعمل والا كنت جئت كما أفعل دائما في الاحاد
التي تعمل فيها . اني ذاهب بسرعة لاحضر لك القهوة . .

فهز الرجل الهرم رأسه ومد يده ليمسك بمفتاح صندوق البرق ،
وقطع التيار عن العامل في الناحية الاخرى من الخط ، ثم أخرج برقية
بيضاء ووضعها في الآلة الكاتبة وبدأ يدق الرسالة .

وخرج هومير عاديا من المكتب متجها الى محل كوربيت على ناصية
الطريق وطلب كوب القهوة .

فقال له بيت الواقف على البار : انتظر دقيقة او اثنتين ياهومير .
فهو يصنع الآن قهوة طازجة . .

سأل هومير :

- او ليس عنده قهوة جاهزة ولو شيئا قليلا ... ؟

فأجاب بيت :

- لقد فرغت كلها .. وها هو يصنع الآن ابريقا جديدا .

فقال هومير : انها لأمر هام جدا ، وسأذهب للمكتب الآن
واعود بعد لحظة فقد يكون أعدها ..

وعندما عاد وجد الاسلاك تدق حاملة البرقية والرجل الهرم
لا يكتب عنها شيئا على الآلة الكاتبة ، فراح هومير يهز
قائلا : مستر جروجان .. انهم يرسلون برقية .. وانت لاتلقاها
منهم .. أوقفهم يا مستر جروجان .. قل لهم ان ينتظروا

لحظة .. انهم يعدون قهوة طازجة في محل كوربيت وسأحضر
لك كوبا هنا بعد دقيقة .. أوقفهم يا مستر جروجان ..
انك لا تتلقى شيئا من البرقية ..
وخرج هومير عاديا من المكتب .

ونظر عامل البرق الهرم الى البرقية التي كان يدقها على
الآلة الكاتبة وعاود قراءة ماكتبه منها :

« مسنز كات ماكولى

٢٢٢٦ طريق سانتا كلارا

ايتاكا ، كاليفورنيا

تأسف وزارة الدفاع أن تخبركم أن ابنكم ماركوس «
وحاول عامل البرق الهرم أن ينهض من مقعده ولكن الازمة
عاودته من جديد ، فقبض بيده على قلبه وسقط بعد لحظة على
وجهه فوق الآلة الكاتبة .

ودخل هومير المكتب وكوب القهوة يهتز في يده ومضى الى
الرجل العجوز فوضع الكوب الى جانبه على المنضدة ، وعند ذاك
كان صندوق البرق قد توقف عن الدق وساد المكتب سكون
عميق .

— مستر جروجان .. ماذا جرى ؟

ودفع الرجل الى الخلف بعيدا عن الآلة الكاتبة كي ينظر الى
وجهه ، فوقع بصره على البرقية الناقصة في الآلة . وعرف هومير
البرقية ، ولكنه رفض أن يصدقها ، وظل واقفا كأنه قد
شل ممسكا بالرجل الهرم :

— مستر جروجان !

ودخل فيليكس الساعى في يوم الاحد الى المكتب وراح يحملق
في هومير وفي الرجل الهرم ويسأل :

— ماذا حدث يا هومير ؟ .. ماذا جرى للرجل الهرم ؟

قال هومير : لقد مات .

فقال فيليكس : ماذا .. أجننت .. ؟

ورن صوت هومير فيما يشبه الغضب وهو يقول :

— لا .. لقد مات .

فقال فيليكس : سأدعو مستر سبانجلر على التليفون ..
وراح يدير قرص التليفون ثم انتظر قليلا وأعاد السماعه
الى مكانها قائلا : انه ليس في البيت .. ماذا نفعل ؟
وعبر فيليكس الى الآلة الكاتبة لينظر هذا الذى يحملق فيه
هومير هناك ، فلما قرأ البرقية قال له :

- ان البرقية لم تنته بعد يا هومير .. وربما كان أخوك قد
جرح أو فقد فحسب ..

فنظر هومير الى مستر جروجان ثم قال : لا .. لقد سمع
هو بقية البرقية .. انه لم يكتبها ولكنه سمعها ..

- قد لا يكون يا هومير .. سأضرب الآن مرة أخرى لمستر
سبانجلر فقد يكون عاد الى البيت ..

وتلفت هومير حوله في المكتب ، وفجأة ، بصق على الارض
في حنق واحتقار فظيع ، ثم جلس ينظر محملا أمامه وليس في
عينيه أثر لدموع .

وكان توماس سبانجلر قد فكر أن يتجه بعربته الى مكتب
التلغراف بعد أن فرغ من نزهته في الريف حول المدينة ، فلما
وصل الى باب المكتب نفخ النفير فخرج فيليكس اليه مسرعا .

- مستر سبانجلر .. لقد كنت أحاول أن أتصل بك بالتليفون
.. لقد حدث هنا حادث .. انه مستر جروجان .. هومير
يقول انه مات ..

فقال سبانجلر لديانا ستيد : عودي أنت الى البيت ..
وسأعود أنا متأخرا فلا تنتظريني للعشاء .. وقد يكون من
الأفضل أن تذهبي الى أهلك وتمضى الليلة هناك ..
وقبلها ، ثم خرج من العربة وهى تقول له : حسنا ..
يا عزيزى ..

وأسرع سبانجلر داخلا المكتب وتطلع في مستر جروجان ثم
في هومير والتفت الى الساعى الآخر قائلا :

- فيليكس .. اتصل بالدكتور نلسون .. رقم ١١٣٣ ..
وقل له أن يأتى هنا حالا ..

وذهب سبانجلر ورفع الرجل من المقعد وحمله الى أريكة
في آخر المكتب ، ثم عاد الى هومير ينظر اليه وقال له : لا تحزن

يا هومير .. انى .. برز .. ففى هذا الآن .. ولا تحزن
التي كان يريد لها لنفسه .. فكفى هذا الآن .. ولا تحزن
هكذا كثيرا ..

ودق صندوق البرق ، فذهب سبانجلر يجيب النداء ، فلما
جلس على مقعد مستر جروجان رأى البرقية التي لم تتم . وظل
ينظر فيها لحظة ثم عبر بعينه الى حيث يقف هومير ، وعاد الى الآلة
يبرق للعامل الآخر على منتهى الخط يسأله عن البرقية الناقصة .
ورد عليه العامل فراح يدق البرقية كاملة ثم أبرق اليه طالبا أن يؤجل
ارسال أى برقيات أخرى الى حين . وقام الرجل الى مكتبه فجلس
هناك يحتمق فى الفراغ .

وسقطت يده فى كسل وتراخ على البيضة التي حفظها لتجلبله
الحظ ووجد نفسه دون أن يشعريدق البيضة على المكتب فى غير
ما انتباه حتى تكسرت قشرتها ، وعند ذاك بدأ فى بطاء يفرغ القشرة
كلها ، وفى ذهول يائس أكل البيضة . ولما اكتشف فجأة
قشرها على المنضدة دفعه بيده الى سلة المهملات وقال :

- فيليكس .. ادع هارى بيرك عامل البرق وقل له أن يأتى الى
هنا مباشرة ، واذا ما جاء الطبيب فقل له أن يهتم هو بالامر كله وقل
له اننى سأتصل به بعد ذلك .

وتحرك هومير ماكولى أخيرا الى الآلة الكاتبة ، فنزع البرقية
الناقصة ، وأخذ صورتها فحفظها كالمعتاد وطوى الاصل ووضعها فى
مظروف ثم دسه فى جيب معطفه ، ونهض سبانجلر ذاهبا الى حيث
يقف هومير فلف ذراعه حوله وقال :

- هيا بنا يا هومير .. نتمشى معا قليلا .

وتركا مكتب التلغراف معا وسارا ناصيتين لا يتبادلان كلمة
واحدة ، حتى بدأ هومير أخيرا يتكلم فى هدوء يكاد يكون فيه حنو
ورقة :

- ماذا تظن على المرء أن يفعل ؟ اننى لا أعرف من أكرهه ، بل لقد
حاولت أن أعرف اذا كنت أكره أحدا فلم أجد .. اننى ببساطة
لا أعرف . وهل تقول لى ماذا على المرء أن يفعل فى هذه الحالة ؟ ماذا
أستطيع ان أفعل أنا فيما حدث هذا ؟ ماذا أقول ؟ . . . وكيف
يستطيع المرء أن يظل حيا ؟ ومن يجب ؟

هومير ورد هو عليهم تحيتهم واحد واحد بالاسم . واقترب المساء
ومالت الشمس للغروب وشاعت الحمرة فى السماء وبدأ الظلام
يشمل المدينة ، واستأنف هومير حديثه :

- « من هو هذا الذى يكرهه المرء ؟ اننى لأعرف أحدا أستطيع
ان أكرهه . . . لقد صدمنى بايفيلد وأوقعنى وأنا أجرى فى السباق ،
ولكننى لم أكرهه ، فهذه هى طبيعته هو . ولكننى لأفهم هذا
الذى حدث ولاأعرف من الذى فعله . . . ولست أستطيع ، ولو
جهدت ، أن أدركه . أنا لأريد ان أعرف الا ماذا حدث لآخى . .
هذا هو كل ماأريد ان أعرفه . . . لم يحدث لى شىء كهذا من قبل ،
حقا لقد مات أبى ولكن هذا كان شيئا آخر . . . لقد مات أبى بعد
ان عاش حياة طويلة طيبة واستطاع فيها أن يكون عائلة . . . ولاشك
اننا حزنا عندما مات ، ولكننا لم نحقق . . . وأنا الآن أحس اننى
حانق غاضب . . . ولكننى لأدرى على من . . . أو ممن . . . من هو
العدو ؟ أتعرفه يا مستر سبانجلر ؟ »

ومر بعض الوقت قبل أن يستطيع مدير المكتب أن يجيب
ساعيه ، ثم قال : أنا أعرف على الأقل ان عدونا ليس هو الناس .
فلو كانوا هم العدو لكنت اذن عدو نفسى . ان أولاد العالم أجمع
كرجل واحد ، فلو كره الواحد منهم الآخر فهم اذن يكرهون
أنفسهم هم . بل ان الانسان لا يستطيع أبدا أن يكره الآخرين
. . . انما هى نفسه دائما التى يكره . . . واذا ماحدث هذا للمرء . .
اذا ماكره نفسه فليس أمامه الا شىء واحد فحسب . . . هو أن
يرحل . . . أن يغادر جسده وأن يترك العالم وأن يبتعد عن الناس .
ولكن أخاك لم يكن يريد أن يرحل ، بل كان يريد أن يبقى . . . وسيبقى
مادام قد أراد . . .

سأل هومير : كيف . . . كيف يبقى ؟

قال سبانجلر : أنا لأدرى كيف . . . ولكننى أو من أنه
سيبقى . . . لعله سيبقى فيك . . . وفى أخيك الصغير
يوليسس . . . أو لعله سيبقى فى هذا الحب الذى تحفظه له .
قال هومير :

هذا لا يكفي . . . انى اريد ان اراه . . . ان اراه - ولا
حيلة لى فى هذا - كما يريد يوليسس تماما أن يراه . . . أريد
أن أراه يسير ويقف . . . أريد أن أشمه وان أحدثه وان أسمع
صوته . . . ورنه ضحكته . . . أريد أن أعاركه . . . كما كنا نفعل . . .
ولكن . . . أين أجده الآن ؟ اننى مهما نظرت حولى فلن أجده . لقد
تغير العالم كله الآن ، وتغير الناس جميعا . . . وقطع عنهم شئ
طيب كان فيهم . وايتاكا نفسها . . . تغير فيها الآن كل شئ لان
أخى لم يعد ينضر اليها مرة أخرى !!

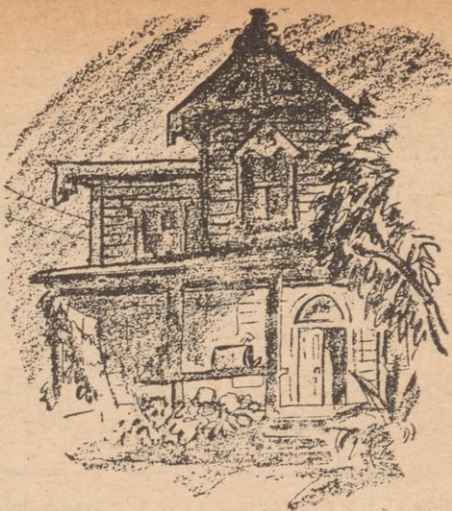
ووصلا فى سيرهما الى حديقة المحكمة فاخرقاها مارين بسجن
المدينة حتى انتهيا الى أرض الملاعب .

وقال سبانجلر : أنا لن أحاول أن أواسيك فأنا أعرف تماما انى
لا أستطيع . ولكنى أريدك فقط أن تتذكر دائما أن الرجل الخير
لا يمكن أن يموت أبدا . انك ستراه مرات كثيرة . . .
ستراه فى الطرقات . . . وفى البيوت . . . وميادين المدينة . . .
ستراه فى الكروم والتكايب . . . فى الانهر والسحب ، وفى كل
ما يجعل هذا العالم مكانا نعيش فيه . . . انك ستحسه وتلمسه
فى كل ما أنبته الحب وفى كل ما هناك ليحب ويعشق . . . ستحسه
فى كل هذه الاشياء الوفيرة . . . وفى كل ما ينمو ويكبر . ان
شخص الانسان قد يمضى أو قد يحمل بعيدا . . . ولكن أفضل
جزء فيه يبقى دائما . . . أبدا . ان الحب خالد يحيل كل شئ الى
عناصر خالدة . . . أما الكراهية فتموت كل لحظة . قل لى . . . هل
تجيد اللعب بحدوات الحيل . . . هل تحسن رميها على العصى ؟
- قال هومير : لا ياسيدى . . . قليلا جدا . . .

قال سبانجلر : ولا أنا أيضا . . . ولكن أتحب أن تلاعبنى قليلا
قبل أن يعم الظلام ؟

قال هومير :

- ليكن ياسيدى . . .



- ٣٩ -

النهاية والبداية

كان الجندي الاعرج الذي وصل في نفس القطار الذي حمل داني بوث وهنري ريف الى بيتيهما في ايتاكا ، قد بدأ يجول في المدينة في خطوات بطيئة يتأمل كل شيء ويحدث نفسه :

تلك هي اذن ايتاكا ... هذه هي المحطة الى سانتافيه ...
وسماء ايتاكا من فوقها . وهذه هي دار السينما وناس ايتاكا
الافاضل يصطفون في صف امامها . وتلك هي المكتبة العامة ...
والكنيسة البرسبتيرية ... والمدرسة العليا ... وأرض
الملاعب ... وهذا طريق سانتا كلارا ... وسوق آرا ... والبيت
هذا هو ... بيتي !

ووقف الجندي يحملق في البيت مدة طويلة ثم قال :

- أمي وبس .. وهومير ويوليسس ... وفي البيت المجاور

ماري وأبوها مستر أرينا . ولم يكن ما يقوله الآن أفكارا تمر
برأسه بل صوت الدم يجري في عروقه . ايتاكا ... أوه ...

- ٢٣٤ -

ايتاكا . . . وهذه حديقة المحكمة . . . وسجن المدينة . . . والمساجين
من وراء نوافذه . . . واثنان من رجال ايتاكا يلعبان بحدوات
الحيل . . .

وسار الجندي بطيئا ناحية الرجلين ووقف مستندا على عصا
السور يرقبهما . وكان هوميرو ماكولي وتوماس سبانجلر مازالا
يلقيان الحدوات على العصا في صمت ، وقد أغفلا حتى عد النقط
التي يكسيها الواحد منهما ، ولكنهما على أية حال يلعبان بالرغم من
الظلام الذي اشتد . وفزع هوميرو عندما لحظ الجندي معتمدا على
السور ، وأسس لسبب لا يعرفه أنه يعرف هذا الجندي . . . فمضى
اليه وراح ينظر في وجهه ثم يقول :

- معذرة . . . لانني أحملق في وجهك . . . فقد ظننت اني
أعرفك . . .

- أوه . . . لا بأس .

فقال هوميرو : أتحب أن تشاركنا في دور . . . تعال وخذ
محل . . . لقد أظلمت الدنيا حقاً . . . ولكن . . .

فقال الجندي : لا . . . شكرا . . . استمروا أنتم . . .
فاني أفضل أن أرقبكما .

قال هوميرو : لا أظن أنني رأيتك من قبل . . . أتسكن ايتاكا ؟
قال الجندي :

- نعم . . . عدت . . . لا بقی فيها . . .

قال هوميرو :

- أتعني أنك لن تذهب للحرب مرة أخرى . . .

قال الجندي :

- لا . . . لقد أعادوني الى الوطن نهائيا . . . ووصلت هنا

بالقطار منذ ساعتين تقريبا كنت أجوس فيهما خلال المدينة . . .
أنظر الى كل شيء مرة أخرى .

- ولم لم تعد الى بلدتك . . . ألا تعرف أسرتك أنك
هنا ؟

- ساعود ... أنا طبعاً أريدها أن تعرف ... ولكنى ساعود
الى بيتى على مهل ... فانى أريد أن أرى أكثر ما أستطيع من أيتاكا
أولا ... ولست أكتفى أبداً من النظر ... اننى لا أصدق أنى
هنا ... وساعود لأتمشى قليلاً ... ثم أرجع لبلدتى ...

ومضى الجندى فى بطء يعرج وهومير يلاحقه بنظراته متعجباً !
ثم التفت الى سبانجلر قائلاً : لا أدري ... يخيل الى أنى أعرف
هذا الشخص ... مستر سبانجلر ... لقد اكتفيت من اللعب
الآن . وصمت لحظة ثم عاد يقول : ماذا أفعل ؟ ماذا
أقول لهم ؟ أنا أعرف أنهم ينتظروننى الآن .. لقد قلت لهم
أنى عائد للعشاء ، فكيف أدخل البيت وكيف أنظر اليهم ؟ أنهم
سيعرفون بمجرد أن يرونى .. أنا لا أريد أن أقول لهم .. ولكننى
متأكد أنهم سيعرفون ...

فوضع سبانجلر ذراعه حول هومير وقال :

- انتظر .. لاتذهب الآن بعد .. اجلس هنا وانتظر قليلاً
.. فهذا يحتاج لوقت ..

وجلسا فى هدوء على مقعد من مقاعد الحديقة لا يتكلمان ، وبعد
قليل سأله هومير : ولكن ماذا أنتظر ؟

قال سبانجلر :

- تنتظر ..! .. انك تنتظر أن يموت فيك هذا الجزء الذى
مات منه .. هذا الجزء الذى ليس الا مادة الجسد .. تلك التى
تأتى وتروح . وهذا الموت ياهومير يؤلمك الآن .. فانتظر قليلاً ..
انتظر حتى يموت الألم ويتركك ، وعند ذاك يصبح مابقى أخف
وأفضل مما كان أبداً . وهذا يستغرق بعض الوقت ، وسيظل
طالما أنت حى ، يأخذ منك بعض الوقت مرة بعد أخرى ، ولكنه
سينصرف عنك دائماً وقد تركك أقرب مما كنت لخير الانسان .
فلتصبر على محنتك ، فستعود الى البيت بعد ذلك وليس فيك
من أثر لموت .. انتظر وساجلس هنا معك حتى يذهب هذا الاثر !!

قال هومير :

- ليكن ياسيدى ..

وجلس مدير مكتب التلغراف وساعيه على المقعد بحديقة
الحكمة في ابتكاكا ينتظران .

وفي بيت ماكولى كانت القبشارة الآن تسمح بنغمات أوتارها الالم
عن الاشياء جميعا ، وقد أضاء وجه من تعزف عليها قويا مليئا
بالحب . اما الفتاة على البيانوفصبية جادة بريئة ، والاخرى
التي تغنى حلوه وديعة الروح . وهناك ايضا جلس الصبي الصغير
وكانما يسمع بأذان الامياء جميعا ويرقب بعيون مليئة
بالايمان والحب . وعلى درجات السلم الهابط من الشرفة جلس
اشاب الجندى الذى عاد الى بيته فى مدينة لم يرها من قبل ،
والى بيت لم يدخله أبدا والى أسرة لم يعرفها فى حياته . . كان
الجالس هناك . . هو الناس جميعا . . أى انسان ، قد عاد
الى البيت . ان ايتاكاكا هى مسقط رأسه ، وهذا المنزل هو
البيت الذى نشأ فيه ، وتلك الأسرة فى الداخل هى أسرته هو .
ووقف يوليسس ماكولى فجأة عند الباب المفتوح مشمرا
بأصبعه ، فأنحنت أخته بس لترى ما ينظر اليه ثم التفتت الى
أمها قائلة :

— ماما . . هناك أحد يجلس على درجات شرفتنا . .

— حسنا . . اذهبى اليه يابس واسأليه أن يدخل . . أيا كان . .
فليس ما يدعوا أن تخافى . .

وخرجت بس ما كولى الى الشرفة تقول للجندى : ألا تدخل
. . أمى سيرها ان تتفضل فتدخل . .

فالتفت اليها الجندى فى بطة وراح ينظر اليها ثم قال فى هدوء :

— بس . . اجلسى هنا الى جوارى . . اجلسى الى جوارى
حتى أهدأ وأستطيع أن أقف ، ان ساقى ترتجف ولو أنى حاولت
ان أقف الآن لوقعت . . بس . . اجلسى الى جوارى . .

فجلست الفتاة الى جواره على الدرج وسألته فى لطف :

— كيف عرفت اسمى ؟ . . ومن أنت ؟

قال الجندي : أنا لا أعرف من أنا • • ولكنني أعرفك أنت • •
وأعرف أمك وأخويك • • بس • • أجلسي بقربي حتى أهدأ •
قالت بس : هل تعرف ماركوس أخى ؟

قال الجندي : نعم • • لقد وهبني أخوك حياتي • • ووهبني
منبتا • • وأسرة • • نعم أعرفه • • فهو أخى أنا أيضا •
قالت بس :

- وأين ماركوس ؟ ولم لم يعد معك ؟
فأجابها الجندي وهو يناولها خاتما أعطاه له ماركوس ماكولى :
- بس أرسل لك ماركوس هذا •
فصمتت بس لا تتكلم لحظة ثم سألته فى صوت مكتوم لا انفعال
فيه :

- هل مات ماركوس ؟

قال الجندي : - لا • • صديقينى يا بس • • وانحنى الجندي
على الفتاة وقبلها فى فمها وهو يقول : لا • • أنه لم يميت !!
ورأت بس أخاها هومير قادما يهبط الطريق فجرت اليه صائحة :
« هومير • • لقد أرسله ماركوس • • كانا صديقين • •
وجاء فجلس على سلمنا • • » واستدارت تجرى ودخلت البيت •
ووقف هومير ماكولى ينظر الى توبى جورج ثم قال :
- توبى ؟ • • لقد قلت لنفسى أننى أعرفك عندما تحدثنا فى
الحديقة •

وانتظر لحظة ثم عاد يقول : لقد جاءت البرقية عصر اليوم • •
انها فى جيبي • • ماذا نفعل ؟

قال الجندي : مزقها يا هومير • • ارمها انها باطله • • مزقها •
فأخرج هومير البرقية من جيبيه وبدأ يمزقها بسرعة ، ثم أعاد
القصاصات الى جيبيه • • ليحفظها • • الى الابد •
وقال الجندي : أرجوك أن تساعدنى على النهوض • • وسندخل
البيت معا •

فانحنى هومير ماكولى على توبى جورج اليتيم الذى عاد الى
البيت أخيرا ، فأمسك الجندي بأكتاف الساعى وقام فى بطنه
واقفا على قدميه •

وعلى نحو ما استطاع هوميران أن يرفع الآن صوته وأن يقول
مخلصا لهجته وكلماته من آثار الحزن :

— أمى .. مارى .. بس .. أعزفوا لنا وغنوا .. لقد عاد
الجندي للبيت .. فهيا رجاوبه ..

وبدأت الموسيقى مباشرة .

وقال الجندي : دعنى أقف هنا لحظة أستمع ..

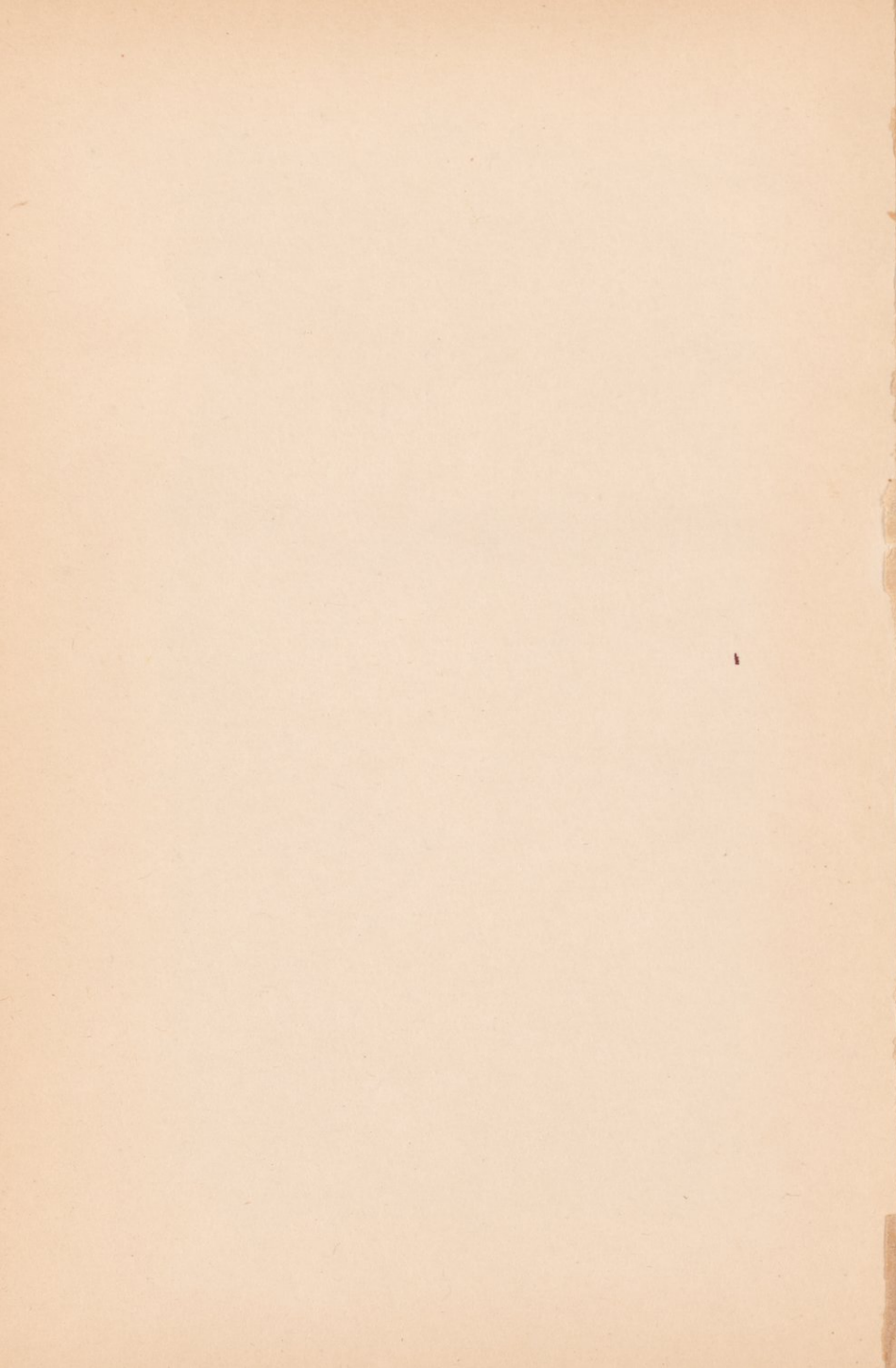
ووقف هومير ماکولى وتوبى جورج يستمعان الى الموسيقى، وعلى
شفة الجندي بسمة من الالم الحنون، وعلى شفة الساعى بسمة من
سعادة لم يفهمها بعد .

وبدأت مارى أرينا تغنى ، وخرج يوليسس ماکولى من البيت
فأمسك بيد الجندي . وعندما انتهت الاغنية خرجت مسرعا ماکولى
ومعهما بس ومارى الى الباب المفتوح ، ووقفت الام تنظر الى
ابنيها الباقيين لها وقد أحاطا بالغريب ، وتبسم الجندي الذى
عرف ابنها الذى مات ، ابتسم وفهم . وتبسمت هى الاخرى
للجندي .. الذى أصبح الآن ابنها .. ابتسمت له كما كانت
ستبتسم لماركوس تماما .

وعند ذاك أخذ الجندي أخويه وسار متجها الى الباب والى مافى
البيت من نور ودفء .

انتهى

مطالب دارالخبره الیوم





AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00294414

818
S2466A

